غرر الحكم
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «ع»

أو

مائة المعاني في فضل حميد الكلام

تأليف

العلامة المحقق الأستاذ الكبير

السيد مهدي الرجائي «دام ظله»

منشورات
مؤسسة آل البيت للمطبوعات
بيروت - لبنان
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

Bibliotheca Alexandrina
0101215

غـزوات

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)

غـزوات

أميـر المؤمنين علي بن أبي طـالب (ع)

أو

أشعة الأنوار في فضل حيـدر الكـرار

تـأليف
العلامة البارع الأستاذ الهمام
الشيخ جعفر نقدي «ره»

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

http://gadir.free.fr

الطبعة الأولى
جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر
١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت ـ شارع المطار ـ قرب كلية الهندسة ـ ملك الاعلمي ـ ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٥٣ ـ تلفاكس: ٨٣٣٤٤٧.

مقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذي أنعم علينا نعمة الولاية والصّلاة على نبينا محمد المختار مصباح الهداية وآله الطاهرين الأبرار أولى الدراية والرواية .

وبعد : فيقول تراب أقدام أهل العلم جعفر بن محمد النقدي غفر الله له بمنه وكرمه هذا كتاب جمعت فيه قطرات من بحار فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ومناقبه وشيئاً من أحواله انتخبته من مؤلفات أصحابنا قدّس الله أرواحهم في أوقات الفراغ وبعد إكماله أهديته إلى والدي جعلت فداه لعلّي أتمكن من قضاء بعض حقوقه وأسأل الباري تعالىٰ أن ينفعني به في آخرتي ودنياي وقد سميته : (نزهة المحبين في فضائل أمير المؤمنين أو أشعة الأنوار في فضائل حيدر الكرار) .

الأخبار الواردة في ولادة أمير المؤمنين عليه السلام وتاريخها وتربية النبي صلى الله عليه وآله وسلم له واختصاصه به وكملة عبد الحميد بن أبي الحديد التي لخص فيها ما أعطاه تعالىٰ من الصفاة الحميدة .

قال ابن الصباغ المالكي في كتابه (الفصول المهمة) وُلِدَ عليه السلام بمكة داخل البيت الحرام ثالث عشر رجب المكرم سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة وقيل بخمس وعشرين سنة وقبل

المبعث باثنتي عشرة سنة وقيل بعشر سنين ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه .

وفيه بالإسناد عن موسىٰ بن جعفر عن أبيه عن محمد عن أبيه عليّ بن الحسين قال : كنت جالساً مع أبي ونحن نزور قبر جدنا وهناك نساء كثيرة إذ أقبلت امرأة منهن فقلت لها : من أنت رحمك الله ؟ قالت : أنا زيدة بنت العجلان من بني ساعدة ، فقلت لها : هل عندك شيء تحدثينا به ؟ قالت : أي والله حدثتني أُمي أُم عمارة بنت عبادة بن مالك بن العجلان الساعدي أنها كانت ذات يوم في نساء من العرب إذ أقبل أبو طالب عليه السلام كئيباً حزيناً فقلت : ما شأنك يا أبا طالب ؟ فقال : إن فاطمة بنت أسد في شدّة المخاض إذ أقبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره فأخذ بيده فجاءا بها إلى الكعبة فاجلساها في الكعبة فطلقت طلقة فولدت غلاماً نظيفاً لم أر كحسن وجهه فسماه أبو طالب علياً وقال :

سميته بعلي كي يدوم له عز العلو وفخر العز أدومه

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خبر طويل رواه جماعة من الأصحاب منهم سلمان وأبو ذر والمقداد وعمّار رضي الله عنهم أنه قال : في جملة كلام له قد خُلقت أنا وعلي عليه السلام من نور واحد وأن نورنا كان يسمع تسبيحه من أصلاب آبائنا وبطون أُمهاتنا في كل عصر وزمن إلى عبد المطلب فكان نورنا يظهر في وجوه آبائنا ، فلما وصل إلى عبد المطلب إنقسم النور نصفين نصف إلى عبد الله ونصف إلى أبي طالب عمي وانهما كانا إذا جلسا في ملأ من الناس يتلألأ نورنا في وجهيهما من دونهم حتى أن السباع والهوام كانت تسلّم عليهما لأجل نورنا حتى خرجنا إلى دار الدنيا وقد نزل عليٌّ جبرائيل عند ولادة ابن عمي علي عليه السلام ، وقال يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك الآن ظهرت نبوتك واعلان وحيك وكشف رسالاتك إذ أيدك الله تعالىٰ

بأخيك ووزيرك وخليفتك من بعدك والذي شد به أزرك وأعلا به ذكرك على أخيك وابن عمك فقم إليه واستقبله بيدك اليمنىٰ فإنه من أصحاب اليمين وشيعته الغر المجلون . قال صلى الله عليه وآله وسلم : فقمت فوجدت أمي بين النساء والقوابل من حولها وإذا بسحاب قد ضربه جبرائيل عليه السلام بيني وبين السماء ، فإذا هي قد وضعته قال صلى الله عليه وآله وسلم : فاستقبلته ففعلت ما أمرني ربي ومددت يدي اليمنىٰ نحو أمه فإذا عليّ مائل على يدي واضعاً يده اليمنىٰ في أذنه يؤذن ويقيم بالحنيفية ويشهد بالوحدانية لله وبرسالتي ، ثم انثنى إلي وقال : السلام عليك يا رسول الله ، فقلت : وعليك السلام . إقرأ يا أخي فوالذي نفسي بيده قد ابتدأ بالصحف التي أنزلها الله تعالىٰ على آدم عليه السلام وأقام بها إبنه شيث عليه السلام فتلاها من أولها إلى آخرها حتى أنه لو حضر آدم عليه السلام لاقرّ له أنه احفظ لها منه . ثم تلا صحف نوح عليه السلام ثم صحف إبراهيم عليه السلام ، ثم تلا التوراة حتى أنه لو حضر موسىٰ لشهد له أنه أحفظ لها منه ، ثم قرأ الإنجيل حتى إنه لو حضر عيسىٰ لأقرّ له أنه أحفظ منه ، ثم قرأ القرآن الذي أنزل الله عليّ من أوله إلى آخره . ثم خاطبني وخاطبته بما يخاطب به الأنبياء، ثم عاد إلى حال طفوليته وهكذا أحد عشر إماماً من ذريته يفعل في ولادته مثل ما يفعل الأنبياء عليهم السلام .

وروى شعبة عن قتادة عن أنس. عن العباس بن عبد المطلب وهي المروية عن الحسن بن محبوب عن مولانا الصادق وهو الحديث المختصر : أنه انفتح البيت من ظهره ودخلت فاطمة فيه ، ثم عادت الفتحة والتصقت وبقيت فيه ثلاثة أيام فأكلت من ثمار الجنة ، فلما خرجت ودخلت دارها وكان أبو طالب هناك مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلّم عليهما أمير المؤمنين ، ثم تنحنح وقال : بسم الله الرّحمن الرّحيم : ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ الآية ، فقال رسول الله : قد أفلحوا بك وأنت والله أميرهم وتميرهم من علمك فيمارون وأنت والله دليلهم وبك والله يهتدون ، وفي الخبر المشهور عن يزيد بن قعنب أن فاطمة لما دخلت

البيت والتزق الحائط رمنا أن ينفتح لنا قفل الباب ، فلم ينفتح فعلمنا أن ذلك أمر من الله عزّ وجلّ . ثم خرجت بعد اليوم الرابع وبيدها أمير المؤمنين ثم قالت : أني فضلت علي من تقدّمني من النساء لأن آسية بنت مزاحم عبدت الله عزّ وجلّ سراً في موضع لا يحب أن يعبد الله إلاّ اضطراراً وأن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً ، واني دخلت بيت الله الحرام وأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف سميه علياً فهو علي والله العلي الأعلىٰ يقول أني شققت اسمه من اسمي وادبته بأدبي ووقفته على غامض علمي وهو الذي يكسر الأصنام .

وروي أنه عليه السلام لما قربت ولادته أتت فاطمة إلى بيت الله وقالت : أي ربي إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب مصدقة بكلام جدي إبراهيم فبحق الذي في هذا البيت وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت ولادتي فانفتح البيت ودخلت فيه ، فإذا هي بحواء ومريم وآسية وأم موسىٰ فلما وُلد عليه السلام سجد على الأرض يقول : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأشهد أن علياً وصيه بمحمد تتم النبوة وبي تتم الوصية وأنا أمير المؤمنين فأتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفتح فاه بلسانه وحنكه وأذن في أذنه اليمنىٰ وأقام في اليسرى ففتح عينيه وضحك في وجه رسول الله فأتاه أبوه وقال : إن ولدي قد عرف ابن عمه ، الخبر .

ولله درّ محمد بن منصور السرخسي حيث يقول :

ولدته منجية وكان ولادها ... في جوف كعبة أفضل الأكنان
وسقاه ريقته النبي ويا لها ... من شربة تغني عن الألبان
حتى ترعرع سيداً سنداً رضى ... أسداً شديد القلب غير جبان
عبدَ الإله مع النبي وأنه ... قد كان بعد يعد في الصبيان
فلذاك زوجه الرسول بتوله ... وغدا إمام الإنس ثم الجان
شهدت له آيات سورة ﴿هل أتىٰ﴾ ... بمناقب جلّت عن التبيان

وللعلامة الكبير حجة الإسلام الحاج ميرزا إسماعيل الشيرازي قدّس سره في ولادة أمير المؤمنين علي عليه السلام :

رغداً لعيش فزده رغدا بسلاف منك تشفي سقمي

* * *

طرب الصب على وصل الحبيب وهنا العيش علي بعد الرقيب
وفنىٰ من أكؤس الراح النصيب واسقينها توأماً لا مفردا
فالهنا كل الهنا في التوأم
آتني الصهباء ناراً ذائبة كللتها قبسات لاهبة
واسقينها والندامى قاطبة فلعمري إنها ري الصدا
لفؤاد بالتصابي مضرم
ما أحيل الراح من كف الملاح هيروح هي روح هي راح
فادرها في غدو ورواح كذكاء تتجلى صرخدا
رصعتها حبب كالأنجم
حبذا آناء أنس أقبلت أدركت نفسي بهاما أملت
وضعت أم العلىٰ ما حملت طاب أصلاً وتعالىٰ محتدا
مالكاً ثقل ولاء الأمم
آنست نفسي من الكعبة نور مثل ما آنس موسىٰ نار طور
يوم غشىٰ الملأ الأعلىٰ سرور قرع السمع نداء كندا
شاطىء الوادي طوى من حرم
ولدت شمس الضحىٰ بدر التمام فانجلت عنا دياجير الظلام
ناديا بشراكم هذا غلام وجهه فلقة بدر يهتدى
بسنا أنواره في الظلم
هذه فاطمة بنت أسد أقبلت تحمل لاهوت الأبد
فاسجدوا ذلاً له فيمن سجد فله الأملاك خرت سجدا
إذ تجلى نوره في آدم

كشف الستر عن الحق المبين وتجلىٰ وجه رب العالمين
وبدا مصباح مشكاة اليقين وبدت مشرقة شمس الهدىٰ
فانجلى ليل الضلال المظلم
نسخ التأييد من نفى ترى فارأنا وجهه رب الورى
ليت موسىٰ كان فينا فيرى ما تمناه بطور مجهدا
فانثنى عنه بكفى معدم
هل درت أُم العلىٰ ما وضعت أودرت ثدى الهدى ما أرضعت
أو درت كف النهى ما رفعت أو درى رب الحجىٰ ما ولدا
جلّ معناه فلما يعلم
سيد فاق علا كل الأنام كان إذ لا كأئن وهو إمام
شرف اللّه به البيت الحرام حين أضحىٰ لعلاه مولدا
فوطا تربته بالقدم
أن يكن يجعل للّه البنون وتعالىٰ اللّه عما يصفون
فوليد البيت أحرى أن يكون لولي البيت يدعى ولدا
لا عزير لا ولا ابن مريم
هو بعد المصطفىٰ خير الورى من ذرى العرش إلى تحت الثرى
قد كست علياءه أمر القرى عزة تحمىٰ حماها أبدا
حيث لا يدنوه من لم يحرم
سبق الكون جميعاً في الوجود وطوىٰ عالم غيب وشهود
كلما في الكون من يمناه جود إذ هو الكائن لله يدا
ويد اللّه مدر الأنعم
سيّد حازت به الفضل مضر بفخار قد سما كل البشر
وجهه في فلك العليا قمر فبه لا بالنجوم يهتدى
نحو مغناه لنيل المغنم
هو بدر وذراريه بدور عقمت عن مثلهم أُم الدهور

كعبة الوفاد في كل الشهـور فـاز من محو فنـاهـا قصـدا
بمطاف منه أو مستلم
ورثوا العلياء قدماً من قصى ونــزار ثــم فــهــر ولــوى
لا يبــاري حيهم قط بـحي وهم أزكى البـرايـا محتــدا
وإليهم كل فخر ينتمي
أيها المرجى لقاه في الممات كـل موت فيـه لقيـاك حيـاة
ليتمـا عجل بي مـا هـو آت علني القي حياتي في الردىٰ
فائزاً منه بأوفىٰ النعم

وفي النهـج : من كلام لـه عليه السلام وقد علمتم مـوضعي من رسول الله بالقرابة القريبة وبالمنزلة الخصيصـة وضعني في حجره وأنـا وليد يضمني إلى صدره ويلفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عـرفه وكـان يمضغ الشيء ، ثم يلقمنيـه ومـا وجـد لي كـذبـة في قـول ولا خطلة في فعــل ولقـد قرب الله بـه صلى الله عليه وآله وسلم من لدن كـان فـطيمـاً أعـظم ملك من مـلائكتـه يسلك بـه طريق المكـارم ومحاسن أخـلاق العالم ليله ونهـاره ولقد كنت اتبعـه اتباع الفصيـل أثـر أمـه يـرفـع لي في كـل يـوم علمـاً من أخـلاقـه ويأمرني بالإقتداء به . وقال عليه السلام من خطبته القـاصعة ولم يجمـع بيت في الإسلام غير رسول الله وخديجـة وأنا ثـالثهما أرى نـور الوحي والـرسالـة وأشم روح النبـوة ولقـد سمعت رنـة الشيـطان حين نــزل الـوحي عليــه صلى الله عليه وآله وسلم .

وروي بـأسانيـد مختلفة عن مجـاهد أنـه قال : كـان من نعمـة الله على علي بـن أبي طـالب أن قـريشـاً أصـابتهم أزمـة شـديـدة وكـان أبـو طالب ذا عيال فقال رسول الله لحمـزة والعباس أن أبـا طالب كثيـر العيال وقد أصاب الناس ما ترون من هذه الأزمة فانطلقا بنـا نخفف من عيالـه ، فدخلوا عليه فطالبوه بذلك فقال : إذا تركتمـوا لي عقيلاً فـافعلوا ما شئتم فبقي عقيـل عنـده إلى أن مـات أبـو طـالب . ثم بقي في وحـدة إلى أن أخذ يوم بدر وأخذ حمزة جعفراً ، فلم يـزل معه في الجـاهلية والإسـلام

وأخـذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليـاً وهو ابن ست سنين كسنـه صلى الله عليه وآله وسلم حين أخـذه أبو طالب فربته خديجة والمصـطفىٰ وتربيتهما أحسن من تربيـة أبي طالب وفاطمة بنت أسد فكان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن مضىٰ وبقي علي عليه السلام بعده .

ويُــروىٰ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قـال : أختــرت من أختـاره الله لي عليكم علياً .

وفي روايـة أن النبي حين تزوج خـديجـة قـال لعمـه أبي طـالب : اني أحب أن تـدفع لي بعض ولـدك يعينني على أمـري ويكفيني واشكـر لك بلاك عندي فقال أبو طالب : خذ أيهم شئت فأخذ علياً عليه السلام .

وروى الفضـل بن عبـاس قـال : سـألت أبي عن ولـد رسـول الله الـذكور أيهم كـان له رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشـد حبـاً ؟ فقـال : علي بن أبي طالب . فقلت له : سـألتك عن بنيـه ؟ فقال : إنـه كان أحــبّ عليه من بنيـه جميعاً وأرأف مـا رأيناه زائله يـوماً من الـدهر منـذ كان طفـلاً إلاَّ أن يكـون في سفر لخـديجة ومـا رأينا أبـاً أبر بـابن منه لعلي ولا إبنـاً أطـوع لأب من علي له .

وعن أبي سعيد الخدري أنـه ذكر عليـاً فقال : إنـه كان من رسـول الله بمنـزلة خـاصة ولقـد كانت لـه عليه دخلة لم تكن لأحـد من الناس ، وروى ابن شهـراشوب بـطرق عديـدة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا نـزل عليـه الوحي ليلاً لم يصبح حتى يخبر بـه علياً وإذا نـزل عليه الـوحي نهاراً لم يمـس حتى يخبر به علياً .

وعن زيد بن علي بن الحسين عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهــو في بعض حجـراتــه فـاستــأذنت عليــه فــأذن لي فلمـا دخلت قال لي : يـا علي أمـا علمت أن بيتي بيتـك فمـالـك تستـأذن علي ؟ فقلت يـا رسـول الله : أحببت أن أفعــل ذلـك ، قــال يـا علي : أحببت مــا أحب الله وأخـذت بــآداب الله يـا علي أمــا علمت أنـه ابى خـالقي ورازقي أن يكـون لي سـر دونـك يــا علي أنت وصي من بعـدي

وأنت المظلوم المضطهد بعدي يا علي الثابت عليك كالمقيم معي ومفارقك مفارقي ، يا علي كذب من زعم أنه يحبني ويبغضك لأن الله تعالىٰ خلقني وإياك من نور واحد .

أقول : وهذه كلمة جامعة لابن أبي الحديد المعتزلي ننقلها برمتها لما تشتمل عليه من فضائله عليه السلام . قال : وأما فضائله فإنها قد بلغت من العظم والأنتشار مبلغاً يسمج معه التعرض لذكرها والتصدي لتفصيلها فصارت كما قال أبو لعيناء العبيد الله بن يحي بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد رأيتني فيما أتعاطىٰ من وصف فضلك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذي لا يخفى على الناظر فأيقنت أني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت من الثناء عليك إلى الدعاء لك وكذلك للأخبار إلى علم الناس بك ، وما أقول في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل ولم يمكنهم جهل مناقبه ولا كتمان فضائله فقد علمت أنه استولىٰ بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره والتحريف عليه ووضع المعايب وللثالب له ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا مادحيه بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكراً حتى خطروا أن يسمى باسمه فما زاده ذلك إلاَّ رفعة وسمواً وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه وكلما كتم تضوع نشره وكالشمس لا تستر بالراح وكضوء النهار إن حجبت عند عين واحدة أدركته عيون كثيرة أخرىٰ ، وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة وتنتهي إليه كل فرقة هو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرتها وسابق مضمارها ومجلي حلبتها كل من برع فيها بعده فمنه أخذ وله اقتفى وعلى مثاله احتذى وقد عرف أن أشرف العلوم هو العلم الإلٰهي لأن شرف العلم بشرف المعلوم ومعلومه أشرف الموجودات فكان هو أشرف العلوم ومن كلامه عليه السلام أقتبس وعنه نقل وإليه انتهى ومنه ابتدأ فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر ومنهم تعلم

الناس هذا الفن تلامذته وأصحابه لأن كبيرهم واصل بن عطا تلميذ أبي هاشم عبد الله بن الحنفية وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذه عليه السلام ، وأما الأشعرية فإنهم يضمون إلى أبي الحسن علي بن أبي بشير الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة فالأشعرية ينتهون أخيراً إلى استاذ المعتزلة وهو علي بن أبي طالب ، وأما الإمامية والزيدية فإنتمائهم إليه ظاهر ومن العلوم علم الفقه وهو عليه السلام أصله وأساسه وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ومستفيد من فقهه ، أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة ، وما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد وجعفر قرأ على أبيه وينتهي الأمر إلى علي عليه السلام . وأما الحنابلة فإلى أحمد بن حنبل وهو تلميذ الشافعي ، وأما مالك بن أنس فقرأ على ربيعة على عكرمة على عبد الله بن عباس ، وقرأ عبد الله على علي بن أبي طالب وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي بقرائته على مالك كان ذلك . فهؤلاء الفقهاء الأربعة وأما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر ، وأيضاً فإن فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب وعبد الله بن عبد عباس وكلاهما أخذا عن علي . أما ابن عباس فظاهر ، وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة وقوله غير مرة لولا علي لهلك عمر ، وقوله لابقيت لمعضلة ليس لها أبو حسن وقوله لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر ، فقد عرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه . وقد روت العامة والخاصة قوله أقضاكم علي والقضاء هو الفقه فهو إذن أفقههم وروى الكل أيضاً أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : وقد بعثه قاضياً إلى اليمن اللّهمَّ أهد قلبه وثبت لسانه قال عليه السلام : فما شككت بعدها في قضاء بين أثنين وهو الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر وهو الذي أفتىٰ في الحامل الزانية وهو الذي قال في المنبرية : صار ثمنها تسعاً وهذه المسألة لو فكر الفرضي فيها فكراً طويلاً لأستحسن منه بعد

طـول النظر هـذا الجواب ، فمـا ظنك بمن قـال بديهـة وافتضبه ارتجـالاً ومن العلوم علم تفسير القرآن وعنـه أخذ ومنـه فرع وإذا رجعت إلى كتب التفسيـر علمت صحة ذلـك لأن أكثره عنـه . وعن عبـد الله بن عبـاس ، وقد علم الناس حـال ابن عباس في مـلازمته وانقـطاعه إليـه وأنه تلميـذه وخـريجـه وقـد قيـل لـه أين علمـك من علم ابن عمـك علي ؟ فقـال : كنسبـة قـطرة من المــطر إلى البحـر المحيط ومن العلوم علم الــطريقـة والحقيقـة وأحـوال التصـــوف ، وقـد عــرفت أن أربـاب هــذا الفن في جميع بلاد الإسـلام إليه ينتهـون وعنده يقفـون وقد صـرّح بذلـك الشبلي والجنيـد والسري وأبـو يزيـد البسـطامي وأبـو محفـوظ معـروف الكـرخي ويكفيك دلالة على ذلـك الخرقـة التي شعارهم إلى اليـوم وكونهم يسنـد بإسناد متصـل إليه ﷺ ومن العلوم علم النحـو والعربيـة وقد علم النـاس كافة أنه هو الذي ابتدعـه وأنشأه وأمـلا علي أبي الأسود الدؤلي جوامعـه وأصـوله من جملتهـا الكلام كلمـة ثلاثـة اسم وفعل وحـرف ومن جملتها تقسيم الكلمـة إلى معـرفـة ونكـرة وتقسيم وجــوه الإعـراب إلى الــرفـع والنصب والجـر والجـزم ، وهـذا يكـاد يلحق بــالمعجـزات لأن القــوة البشـرية لا تفي بهـذا الحصر ولا تنهض بهـذا الإستنباط وإن رجعت إلى الخصـائص الخلقية والفضـائـل النفسـانيـة وجـدتـه ابن جـلاهـا وطـلاع ثناياها .

وأمـا الشجاعـة : فإنـه أنسىٰ الناس فيهـا ذكـر من كـان قبله ومحـا اسم من يـأتي بعده ومقـاماتـه في الحروب مشهـورة يضرب بهـا الأمثـال إلى يوم القيامة وهو الشجـاع الذي مـا فرقط ولا أرتـاع من كتيبة ولا بـارز أحـداً إلاَّ قتله ولا ضرب ضـربة قط فـاحتـاجت الأولىٰ إلى ثـانيـة ، وفي الحديث كانت ضرباته وتراً ولما دعا معاوية المبـارزة ليستريـح الناس من الحرب بقتل أحدهما قـال له عمـر : ولقد أنصفـك ، فقال معـاوية : مـا غششتني منذ نصحتني إلاَّ اليوم أتـأمرني بمبـارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنـه الشجاع المـطرق أراك طمعت في إمارة الشـام بعدي وكـانت العرب

تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته ، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر ، قالت أخت عمرو بن عبد ود ترثيه :

لو كان عمرو غير قاتله بكيته أبداً ما دمت في الأبد
لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضة البلد

وانتبه أبو معاوية فلما رأى عبد الله بن الزبير جالساً تحت رجليه على سريره فقعد فقال له عبد الله يداعبه : يا أمير المؤمنين لو شئت أن أفتك بك لفعلت ، فقال : لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر ، قال : وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقفت في الصف إزاء علي بن أبي طالب ، قال : لا جرم إنه قتل أباك بيسرى يديه وبقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها وجملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتهي وباسمه ينادي في مشارق الأرض ومغاربها .

وأما القوة والأيد فبه يضرب المثل فيها قال ابن قتيبة في المعارف : ما صارع أحداً قط إلاَّ صرعه وهو الذي قلع باب خيبر وأجتمع عليه عصبة من الناس ليقبلوه فلم يقلبوه وهو اقتلع هبل من أعلا الكعبة وكان عظيماً جداً فالقاه إلى الأرض وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته عليه السلام بعد عجز الجيش كله عنها فانبط الماء من تحتها .

وأما السخاء والجود فحاله فيه ظاهره كان يصوم ويطوي ويوثر بزاده وفيه أنزل ﴿**ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً**﴾ .

وروى المفسرون أنه عليه السلام لم يكن يملك إلاَّ أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية فأنزل فيه : ﴿**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية**﴾ .

وروي عنه أنه كان يستقي بيده لتخل قوم من اليهود في المدينة حتى سلخت يده ويتصدق بالأجرة ويشد على بطنه حجراً وقال الشعبي وقد

ذكر عليه السلام كان أسخىٰ الناس، كان على الخلق الذي يحبه الله للسخاء والجـود ما قال لا لسـائل قط وقـال عدوه ومبغضـه الذي يجتهـد في وصمه وعيبـه معـاوية بن أبي سفيـان محفـن بن أبي محفن الضبي لمـا قـال : جئتـك من عنـد ابخل النـاس فأجـابه معـاوية ويحـك كيف تقول أنـه من أبخـل الناس ولو ملك بيتـاً من تبر وبيتـاً من تبن لانفذ تبـره قبل تبنـه وهو الـذي كـان يكنس بيوت الأمـوال ويصلّي فيها وهـو الـذي قـال يـا شقـراء يـا بيضـاء غري غيري وهو الذي لم يخلف ميراثاً وكانت الدنيا كلهـا بيـده إلاَّ مـا كـان من الشام .

وأمـا الحلم والصفـح : فكـان أحلم النـاس من مـذنب وأصفحهم عن مسيىء وقد ظهر صحـة ما قلنـاه يوم الجمـل حيث ظفـر بمـروان بن الحكم وكـان أعـدى النـاس لـه وأشـدهم بغضـاً فصفـح عنـه وكـان عبـد الله بن الـزبيـر يشتمـه على رؤوس الأشهـاد وخـطب يـوم البصـرة فقـال : قـد أتـاكم الـوغب اللئيم علي بن أبي طـالب وكـان علي عليه السلام يقول : ما زال الـزبير رجـلاً منا أهـل البيت حتى شب عبد الله فـظفر بـه يـوم الجمل فـأخذه أسيـراً ، فصفح عنـه وقـال : أذهب فـلا أرينـك لم يزده على ذلك وظفر بسعيد بن العـاص بعد وقعـة الجمل بمكـة وكان لـه عـدواً فأعـرض عنه ولـم يقـل له شيئـاً وقد علم مـا كان من عـائشة في أمره ، فلما ظفـر بها أكـرمها وبعث معهـا إلى المدينـة عشرين امرأة من نسـاء عبـد القيس عممهن بـالعمـائم وقلّدهن بـالسيـوف ، فلمـا كـانت ببعض الـطرق ذكرتـه بما لا يجـوز أن يذكـر به وتـأففت وقـالت : هتـك ستـري برجـالـه وجنـده الـذين وكلهم بي ، فلمـا وصلت المـدينـة ألقى النساء عمائمهن وقلن لها إنما هن نسوة . وحار بـه أهل البصـرة وضربـوا وجهه ووجوه أولاده بالسيف وشتموه ولعنـوه ، فلما ظفـر بهم رفع السيف عنهم ونـادى مناديـه في أقـطار العسكـر ألا لا يتبـع مـول ولا يجهـز على جريح ولا يقتل مستأسـر ومن ألقى سلاحـه فهو آمن ومن عبـر إلى عسكر الإمـام فهو آمن ولم يـأخـذ أثقـالهم ولا سبى ذراريهم ولا غنم شيئـاً من

أمـوالهم ولو شـاء أن يفعل كـل ذلك لفعـل ولكنه أبى إلاَّ الصفـح والعفو وتقبـل سنة رسـول الله ﷺ يوم فتـح مكـة فـإنـه عفـا والأحقـاد لم تبـرد والإساءة لم تنس ولمـا ملك عسكر معاوية عليـه الماء وأحـاطوا بشـريعة الفـرات وقـالت رؤسـاء الـشـام لـه : أقتله بـالعـطش كمـا قتلوا عثمـان عـطشـاً سـألهم علي ﷺ وأصحـابـه أن يسـوغـوا لهم شـرب المـاء ؟ فقـالوا : والله ولا قـطرة حتى تموتـوا ظمأ كمـا مات عثمـان بن عفـان ، فلما رأى أنه الموت لا محالة تقدم بأصحابـه وحمل على عسـاكر معـاوية حمـلات كثيفة حتى أزالهم عن مـراكـزهم بعـد قتال ذريـع سقـطت منـه الرؤوس والأيدي وملكـوا عليهم الماء وصـار أصحاب معـاوية في الفـلاة لا مـاء لهم فقال لـه أصحابـه وشيعته إمنعهم الماء يـا أميـر المؤمنين كمـا منعـوك ولا تسقهم منـه قـطرة واقتلهم بسيـوف العـطش وخـذهم قبضـاً بـالأيدي فـلا حاجـة لك إلى الحـرب ، فقال : لا والله لا أكـافيهم بمثل فعلهم أفسحـوا لهم عن بعض الشـريعـة ففي حـد السيف مـا يغني عن ذلك فهذه إن نسبتهـا إلى الحلم والصفح نـاهيك بهـا جمالاً وحسنـاً وإن نسبتها إلى الدين والورع ، فاخلق بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام .

وأمـا الجهاد في سبيـل الله فمعلوم عند صـديقه وعـدوه بأنـه سيّـد المجاهدين وهـل الجهاد لأحـد إلاَّ له وقـد عرفت أن أعـظم غزاة غـزاها رسول الله وأشدهـا نكايـة والمشركين في بـدر الكبرىٰ قُتِـل فيها سبعـون من المشـركين قتل علي عليه السلام نصفهم وقتـل المسلمون والمـلائكة النصف الآخر وإذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر الـواقدي وتـاريخ الأشـراف ليحيىٰ بن جـابر البـلاذري وغيرهمـا علمت صحة ذلـك ودع من قتله في غيرها كأحد والخندق وغيرهمـا وهذا الفصـل لا معنى للأطنـاب فيه لأنـه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوهما .

وأما الفصاحـة : فهو إمـام الفصحاء وسيّـد البلغاء وعن كلامـه قيـل دون كـلام الخـالق وفـوق كـلام المخلوق ومنـه تعلم النـاس الخـطابـة والكتابـة وقال عبـد الحميد بن يحي : حفـظت سبعين خطبـة من خطب

الأصلع ففاضت . ثم فاضت ، وقال ابن نباتة : حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلاّ سعة وكثرة حفظت مائة فصل مواعظ علي بن أبي طالب ، ولما قال محفن بن أبي محفن لمعاوية : جئتك من عند أعي الناس ، قال له : ويحك كيف يكون أعي الناس فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على أنه لا يحاذي في الفصاحة ولا يباري في البلاغة وحسبك أنه لم يدون لأحد من فصحاء الصحابة العشر ولا نصف العشر مما دون له وكفىٰ لهذا الكتاب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب (البيان والتبيين) وفي غيره من الكتب .

وأما سجاحة الأخلاق : وبشر الوجه وطلاقة المحيا والتبسم فهو المضروب المثل فيه حتى عابه بذلك أعداؤه ، قال عمرو بن العاص لأهل الشام : أن فيه دعابة شديدة وقال علي عليه السلام : في ذاك عجباً لابن النابغة زعم لأهل الشام أن في دعابه وأني أمرؤ تلعابة أُعاقس وأُمارس وعمرو بن العاص إنما أخذها من الرجل لقوله لما عزم على استخلافه لله أبوك لولا دعابة فيك إلاّ أن الرجل اقتصر عليها وعمرو زاد فيها ويسمجها قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه كان فينا كأحدنا لين جانب وشدة تواضع وسهولة قياد وكأنها به مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه وقال معاوية لقيس بن سعد رحم الله أبا حسن فلقد كان هشاً بشاً ذا فكاهة ، فقال قيس : نعم كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمزح ويبتسم إلى أصحابه وأراك تسر في تعبيبه بذلك ، أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قدسته للطوى تلك هيبته التقوى ليس كما يهابك طغام أهل الشام وقد نقىٰ هذا الخلق متوارثاً متناسلاً في محبيه وأوليائه إلى الآن كما يقي الجفاء والخشونة في الجانب الآخر ومن له أدنىٰ معرفة بالأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك .

وأما الزهد في الدنيا : فهو سيد الزهاد وبدل الأبدال وإليه يشد

الرحال وعنده تنقض الأحلاس ما شبع من طعام قط وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً . قال عبد الله بن أبي رافع : دخلت إليه يوم عيد فقدم جراباً مختوماً فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً تقدم وأكل فقلت يا أمير المؤمنين : فكيف تختمه؟ قال : خفت هذين الولدين أن يلوثاه بسمن أو زيت وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة وبليف أخرىٰ ونعلاه من ليف ، وكان يلبس الكرابيس الغليظة ، فإذا وجد كمه طويلاً قطعه بشفرة ولم يخطه فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتى يبقىٰ سدءاً لا لحمة له وكان يأتدم إذا ائتدم بخل أو بملح فإن ترقىٰ عن ذلك فببعض نبات الأرض فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من البان الإبل ولا يأكل اللحم إلاَّ قليلاً ويقول لا تجعلوا قلوبكم مقابر الحيوان وكان مع ذلك أشد الناس قوة وأعظمهم يداً لم ينقص الجوع قوته ولا يجوز الإقلال منه وهو الذي طلق الدنيا وكانت الأموال تجيء إليه من جميع بلاد الإسلام إلاَّ من الشام فكان يفرقها ويمزقها ثم يقول :

هذا جناى وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

وأما العبادة : فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصل عليه حتى يتم ورده والسهام تقع بين يديه تمر على صماخيه فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله وما يتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته عرفت ما ينطوي عليه من الاخلاص وفهمت من أي قلب خرجت وعلى أي لسان جرت ، وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام وكان الغاية في العبادة أين عبادتك من عبادة جدك ؟ قال : عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وأما قراءة القـرآن : والاشغال بـه فهو المنـظور إليه في هـذا الباب اتفق الكـل على أنه كـان يحفظ القـرآن على عهـد رسـول الله ﷺ ولـم يكن غيره يحفظه ، ثم هـو أول من جمعه نقلوا كلهم أنـه تأخـر عن بيعة أبي بكر لأنه تشـاغل بجمـع القرآن وإذا رجعت إلى كتب القـراءة وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه كأبي عمرو بن أبي العلا وعـاصم وغيرهمـا لأنهم يـرجعون إلى عبـد الرّحمٰن السلمي الفـارسي وعبـد الـرّحمٰن كـان تلميذه وعنه أخـذ القرآن فقـد صار هـذا الفن من الفنون التي تنتهي إليـه أيضاً مثل كثير مما سبق .

وأما الرأي والتـدبير : فكـان من أشد النـاس رأياً وأصحهم تـدبيراً وهـو الذي أشـار على عمر لمـا عزم أن يتـوجه بنفسـه إلى حـرب الـروم والفرس بما أشـار وهو الـذي أشار على عثمـان بأمـور كان صـلاحه فيهـا ولو قبلها لم يحـدث ، وإنما قـال أعداؤه: لا رأي له لأنـه كان متقيـداً بالشريعة لا يرىٰ خـلافها ولا يعمـل بما يقتضي الـدين تحريمـه وقد قـال علي عليه السلام: لولا التقى لكنت أدهى العرب وغيـره من الخلفاء كـان يعمل بمقتضىٰ ما يستصلحه ويستوفقه سواء كان مـطابقاً للشـرع أم لم يكن ولا ريب أن من يعمـل بمـا يؤدي إليـه اجتهـاده ولا يقف مـع ضـوابط وقيـود ممتنع لأجلها مما يرى الصـلاح فيه تكـون أحوالـه الدنيـوية إلى الانتـظام أقرب ومن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى الإنتشار أقرب .

وأمـا السياسـة : فإنـه كان شـديد السيـاسة خشنـاً في ذات الله لـم يراقب ابن عمه في عمـل كان ولاه إيـاه ولا راقب أخاه عقيـلاً في كـلام جابهه به وأحـرق قومـاً بالنـار ، ونقض دار مصقلة بن هبيرة ودار جـرير بن عبد الله البجلي وقطع جمـاعة وصلب آخـرين ومن جملة سياسـة حروبـه في أيام خلافته في الجمل وصفين والنهروان وفي أقل القليـل منها مقنـع فإن كل سائس في الدنيـا لم يبلغ فتكه وبـطشه وانتقـامه مبلغ العشـر مما فعـل في هذه الحـروب بيده فهـذه هي خصائص البشـر ومـزايـاهم وقـد أوضحنـا أنه فيهـا الإمام المتبـع فعله والرئيس المقتفى أثـره ، ومـا أقـول

في رجل يحبه أهل الذمة على تكذبيهم بالنبوة وتعظمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملّة وتصور ملوك الفرنج والروم صورته في بيعها وبيوت عباداتها حاملاً سيفه مشمر الحربة وتصور ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها ، وكان على سيف عضد الدولة بن بويه وسيف أبيه ركن الدولة صورته ، وكان علي سيف ألب أرسلان وابنه ملكشاه صورته كأنهم يتفألون بالنصر والظفر ، وما أقول في رجل أحب كل أحد أن يكترث به وود كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالإنتساب إليه حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حدها أن لا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه وصنفوا في ذلك كتاباً وجعلوا لذلك اسناداً أنهوه إليه وقصروه عليه وسموه سيّد الفتيان وعضدوا مذاهبهم بالبيت المشهور المروي أنه سمع في السماء يو أحد :

لا سيف إلاَّ ذو الفقار ولا فتىً إلاَّ علي

وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيّد البطحاء وشيخ قريش ، رئيس مكة قالوا : قل أن يسود فقير وساد أبو طالب وهو فقير لا مال له وكانت قريش تسميه الشيخ ، وفي حديث عفيف الكندي لما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلّي في مبدأ الدعوة ومعه غلام وامرأة قال : فقلت للعباس : أي شيء هذا ؟ قال : هذا ابن أخي يزعم أنه رسول الله إلى الناس ولم يتبعه على قوله إلاَّ هذا الغلام وهو ابن أخي أيضاً وهذه المرأة وهي زوجته . قال فقلت له : فما الذي تقولونه أنتم ؟ قال : ننتظر ما يفعل الشيخ ، قال : يعني أبا طالب وهو الذي كفل رسول الله صغيراً وحماه وحاطه كبيراً ومنعه من مشركي قريش ولقي لأجله عناء عظيماً وقاسى بلاء شديداً وصبر على نصره وله عليه السلام مع شرف هذه الأبوة أن ابن عمه محمد صلى الله عليه وآله وسلم سيّد الأولين والآخرين ، وأخاه جعفر ذو الجناحين الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أشبهت خلقي وخُلقي فمر يحجل فرحاً وزوجته سيدة نساء العالمين وإبنيه سيّدا شباب أهل الجنة فآباؤه أباء رسول الله

ﷺ وأُمهاته أُمهات رسول الله ﷺ وهو مخبوط بلحمه ودمه لم يفارقه منذ خلق الله آدم إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله وأبي طالب وأُمهما واحدة، فكان سيّدا الناس هذا الأول وهذا الثاني وهذا المنذر وهذا الهادي ، وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدىٰ وآمن بالله وعبده وكل من في الأرض يعبد الحجر ويجحد الخالق لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلاّ السابق إلى كل خير محمد رسول الله .

ثم قال ابن أبي الحديد فلو أردنا شرح مناقبه وخصائصه لأحتجنا إلى كتاب يماثل حجم هذا الكتاب بل يزيد عليه وبالله التوفيق (يريد بهذا الكتاب شرحه على نهج البلاغة) انتهى ولنختم مقدّمتنا هذه بهذه الأبيات الجليلة من قصيدة غراء للسيّد الحميري رحمة الله عليه :

علي أمير المؤمنين وعزهم ... إذ الناس خافوا مهلكات العواقب
علي هو المرهوب والذائد الذي ... يذود عن الإسلام كل مناصب
علي هو الغيث الربيع مع الحيا ... إذا نزلت بالناس إحدى المصائب
علي هو العدل الموفق والرضا ... وفارج لبس المبهمات الغرائب
علي هو المأوى لكل مطرد ... شريد وملحوب من الشر هارب
علي هو المهدي والمقتدى به ... إذا الناس حاروا في فنون المذاهب
علي هو القاضي الخطيب بقوله ... يجيء بما يعيي به كل خاطب
علي هو الخطم القؤل بحجة ... يرد بها قول العدو المشاغب
علي هو الحامي المرجى بفعله ... لدىٰ كل يوم باسل الشر عاصب
علي هو البدر المنير ضيائه ... يضيء سناه في ظلام الغياهب
علي أعز الناس جاراً وحامياً ... وأقتلهم للقرن يوم الكتائب
علي أعم الناس حلماً ونائلاً ... وأجودهم بالمال حقاً لطالب
علي أجل الناس قدراً ورتبة ... لدى اللّه والهادي وعند الأطائب
علي أكف الناس عن كل محرم ... واتقاهم للّه في كل جانب

فـصــل
في علم أمير المؤمنين عليه السلام
وشيء من قضاياه

في الإحتجـاج : عن الصادق عليه السلام أنـه قال لأصحـابـه : مـا يقـول الناس في أُولي العزم وصاحبكم أمير المؤمنين قيـل ما يقـدمون على أُولي العزم أحداً ، فقـال : إن الله تبارك وتعـالىٰ قال لمـوسىٰ عليه السلام : وكتبنا لـه في الألـواح من كـل شيء مـوعـظة ولم يقـل كـل شيء مـوعـظة ، وقـال لعيسىٰ عليه السلام : وليبين لكم بعض الـذين تختلفـون فيـه ولم يقـل كـل شيء ، وقـال لصـاحبكم أميـر المؤمنين : قـل كفىٰ بـالله شهيـداً بيني وبينكم ومن عنـده علم الكتـاب ، وقـال الله عـزّ وجـلّ : ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين وعلم هذا الكتاب عنده .

وعن الأصبغ أن أمير المؤمنين عليه السلام لمـا بويـع بالخـلافة خـرج إلى المسجد معتماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابساً بـردته فصعـد المنبـر فحمـد الله تعـالىٰ واثنىٰ عليه ووعظ وأنـذر ، ثم جلس وشبك أصـابعه ووضعهـا أسفـل سرتـه ، ثم قـال : يـا معـاشـر النـاس سلوني قبـل أن تفقـدوني وسلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لـو ثنيت لي الوسـادة لحكمت بين أهـل التـوراة بتـوراتهم وبين أهـل الإنجيـل بـإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبـورهم وبين أهل الفـرقان بفـرقانهم حتى ينتهي كـل كتاب من هـذه الكتب ويقول : يـا رب أن علياً قضى بقضـائك والله أني لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدع علمه ولـولا آية في كتـاب الله لأخبرتكم بمـا يكون إلى يوم القيامة . ثم قـال : سلوني قبل أن تفقـدوني فوالـذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن أيـة آية لأخبـرتكم بوقت نـزولها وفيم نـزل وأنبأتكم بنـاسخها من منسـوخها وخـاصها من عـامها ومحكمهـا من متشـابهها ومكيهـا من مـدنيهـا والله مـا من فئـة تضـل أو تهـدي إلاّ وأنـا أعرف قدئدها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة .

ويروى أنه عليه السلام قال يوماً : لأعلم ما في السماوات والأرض وأعلم ما في الجنة والنار وأعلم ما كان وما يكون . ثم سكت هنيئة ورأى أن ذلك كبر على سامعه ، فقال : علمت ذلك من كتاب الله يقول تعالىٰ فيه تبيان كل شيء .

وفي المناقب للخوارزمي : بالإسناد إلى عباد بن عبد الله عن سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب .

وفي الأمالي : عن الباقر عليه السلام أن النبي قال لعلي : ما أول نعمة أبلاك عزّ وجلّ وأنعم عليك بها ؟ قال : أن خلقني جل ثناؤه ولم أك شيئاً مذكوراً . قال : صدقت ، فما الثانية ؟ قال : أن أحسن بي إذ خلقني فجعلني حياً لا مواتاً . قال : صدقت ، فما الثالثة ؟ قال : أن أنشأني وله الحمد في أحسن صورة وأعدل تركيب . قال : صدقت ، فما الرابعة ؟ قال : أن جعلني متفكراً واعياً لا ساهياً ، قال : صدقت ، فما الخامسة ؟ قال : أن جعل لي شواعر أدرك ما ابتغيت بها وجعل لي سراجاً منيراً ، قال : صدقت . فما لسادسة ؟ قال : أن هداني لدينه ولم يضلني عن سبيله . قال : صدقت ، فما السابعة ؟ قال : أن جعل لي مرداً في حياة لا انقطاع لها . قا : صدقت ، فما الثامنة ؟ قال : أن جعلني ملكاً مالكاً مملوكاً . قال : صدقت ، فما التاسعة ؟ قال : أن سخر لي سماءه وأرضه وما فيهما وما بينهما من خلقه . قال : صدقت ، فما العاشرة ؟ قال : أن جعلنا ذكرانا قواماً على حلائلنا لا إناثاً . قال : صدقت ، فما بعدها ؟ قال : كثرت نعم الله يا نبي الله ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : ليهنك الحكمة ليهنك العلم يا أبا الحسن فأنت وارث علمي والمبين لأمتي ما اختلفت فيه بعدي .

وفي المناقب: قال الصادق عليه السلام لإبن أبي ليلى أتقضي بين الناس

يـا عبد الـرحمن ، قال : نعم يـا بن رسول الله ، قـال بـأي شيء تقضي ؟ قـال : بكتاب الله . قـال : فما لم تجـد بكتاب الله ؟ قـال : من سنة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما لم أجـد فيهمـا أخـذتـه من الصحـابـة بمـا اجتمعـوا عليـه : قال : فـإذا اختلفـوا فبقـول من تـأخـذ منهم ؟ قـال : بقـول من أردت وأُخالف الباقين قـل فهل تخـالف علياً فيمـا بلغك أنـه قضى به ؟ قـال : ربما خـالفته إلى غيـره منهم ، قال أبـو عبد الله عليه السلام : مـا تقول يـوم القيامـة إذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قـال : أي رب إن هذا بلغـه عني قـولي فخالفه قـال واين خالفت قـوله يـابن رسول الله قـال : فبلغك أن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم قـال : أقضاكم علي . قـال : نعم ، قال : فـإذا خالفت قـوله لم تخالف قول رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فـاصفـر وجـه ابن أبي ليلى وسكت .

وعن أبي الفتوح الرازي أنـه حضر عنـد عمر أربعـون امرأة وسـألته عن شهـوة الآدمي فقـال : للرجـل واحـد وللمـرأة تسعـة فقلن مـا بـال الـرجال لهم دوام ومتعـة وسر أي بجـزء من تسعة ولا يجـوز لهن إلاّ زوج واحد مع تسعة أجزاء ؟ فافحم فرفع ذلك إلى أميـر المؤمنين عليه السلام ، فأمـر عليه السلام أن تأتي كل واحـدة منهن بقارورة من مـاء وأمرهن بصبهـا في إجانـة ثم أمر كل واحـدة منهم أن تعرف ماءها فقلن : لا يتميـز ماؤنا فأشـار به أن لا يفـرقن بين الأولاد ويبـطل النسب والميـراث . فقـال عمـر : لا أبقـاني الله بعـدك يـا علي ، وسـأل ابن الكـوا من أميـر المؤمنين عليه السلام ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن بصير بالليل بصير بـالنهار وعن بصيـر بـالنهار أعمى بـالليل وعن بصيـر بالليـل أعمى بـالنهـار ؟ فقـال لـه أميـر المؤمنين عليه السلام : سل عما يعنيك ودع ما لا يعنيـك أما بصيـر بالليـل بصير بالنهار فهذا رجل آمن بالرسل الذين مضـوا وأدرك النبي فآمن بـه فأبصـر في ليله ونهـاره ، وأما أعمىٰ بـالليل بصيـر بالنهـار فرجـل جحـد الأنبيـاء الـذين مضـوا والكتب وأدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآمن بـــه فعمي بالليل وأبصـــر بـالنهار ، وأمـا أعمىٰ بالنهـار بصير بـالليل فـرجل آمن بـالأنبيـاء والكتب وجحـد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فابصـر بالليـل وعمي بالنهـار . فقال ابن الكـوا : يـا

أميـر المؤمنين إن في كتـاب الله آيـة قـد أفسـدت قلبي وشككتني في ديني ؟ فقـال له أمير المؤمنين عليه السلام : ثكلتك أُمـك وعدمـك قومـك ، ما هي ؟ قال : قول الله عزّ وجلّ لمحمـد صلى الله عليه وآله وسلم في سورة النـور : ﴿**والطيـر صافات كـل قد علم صـلاته وتسبيحـه**﴾ ما هـذا الطيـر وما هـذه الصّلاة والتسبيـح ؟ فقال : ويحـك أن الله تعالىٰ خلق المـلائكة في صـور شتىٰ ألا وأن لله ملكـاً في صورة ديـك انج شعث بـرائنه في الأرضين السـابعة السفلىٰ وعـرفه تحت عـرش الرّحمٰن لـه جنـاح في المشـرق وجنـاح في المغـرب فالـذي في المشرق من نـار والذي في المغـرب من ثلج ، فـإذا حضر وقت الصّلاة قـام على برائنـه ثم رفع عنقـه من تحت العرش ، ثم صفق بجناحيه كمـا تصفق الدِّيكـة في منازلكم بنحـو من قولـه وهو قـوله عزّ وجلّ لنبيـه والطيـر صافـات كل قـد علم صلاتـه وتسبيحه من الـديكة في الأرض فقال ابن الكوا فمـا قولـه : ﴿**تعالىٰ بقيـة مما تـرك آل موسىٰ وآل هـارون تحمله المـلائكـة**﴾ قـال : هـو حمـامـة مـوسىٰ وعصـاه ورضراض الألواح وابريق من زمرد وطشت من ذهب . قـال : فما الـذين بـدلوا نعمـة الله كفراً وأحلوا قـومهم دار البوار ؟ قـال : هم الأفجران من قـريش بنو أُميـة وبنو المغيـرة ، فأمـا بنوا المغيـرة فقطع الله دابـرهم يوم بـدر ، وأما بنـو أمية فمنعـوا حتى حين . قال : فمـا الأخسـرين أعمـالاً الآية ؟ قال : أهـل حرورا . قـال : أخبرني عن ذي القـرنين أنبي هو أم ملك ؟ قال عليه السلام : لا نبي ولا ملك كان عبـداً لله صالحـاً أحب الله فأحبـه ونصـح لله فنصحـه الله أرسله الله إلى قـوم فضـرب على قـرنـه الأيمن فغاب عنه ما شاء الله ، ثم ظهر فضربوه على قرنـه الأيسر فغـاب عنهم ، ثم رد الثـالثة فمكنـه الله في الأرض وفيكم مثله يعني نفسه عليـه الصـلاة والسلام .

وروى محمد بن عبد الحميـد عن منصور بن يـونس عن ابن أذينة عن محمـد بن مسلم قال : سمعت أبـا جعفر عليه السلام يقـول : نزل جبـرائيل عليه السلام على محمـد برمانتين من الجنـة فلقيه علي عليه السلام فقـال له : مـا هاتـان

الرمانتـان اللتان في يـدك ؟ قال : أمـا هذه فـالنبوة ليس لـك فيها نصيب ، وأما هذه فالعلم ، ثم فلقها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعـطاه نصفها ، ثم قـال لـه : أما العلم فـأنت شريكي فيـه وأنا شـريكك فيـه ، قـال : فلم يعلم والله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرفاً مما علّمه الله إلاّ علّمه علياً عليه السلام .

وعن الأصبغ بن نباتة قال : كنا مع أميـر المؤمنين عليه السلام وهو يـطوف بـالسوق فيـأمرهم بـوفاء الكيـل والميزان حتى انتصف النهـار فمر بـرجل جـالس فقام إليـه وقال يـا أميـر المؤمنين : سـر معي فـادخـل بيتي وتغـد عنـدي وادع الله لي فإنـك ما تغـديت اليوم ، فقـال أميـر المؤمنين عليه السلام : شـرط أشرطـه ؟ قال لـك شرطـك قال عليه السلام : أن لا تـدخن في بيتـك ولا تتكلف ما وراء بابـك ، ثم دخل ودخلنـا معه فـاكلنا خـلاً وزيتاً وتمـراً ، ثم خرج يمشي حتى أنتهى إلى باب قصـر الأمارة بـالكوفـة فركض رجله فتـزلزلت الأرض ، ثم قـال : أما والله لـو علمتم ما ههنـا ، أما والله لـو قد قام قـائمنا لأخـرج من هذا المـوضع اثني عشـر ألف درع واثني عشر ألف بيضـة لهـا وجهـان ، ثم ألبسهـا اثني عشـر ألف رجـل من ولـد العجم ، ثم ليـأمرهم ليقتلوا كـل من كان على خـلاف ما هم عليـه وإني لاعلم ذلـك وأراه كما أعلم هـذا اليـوم وأراه ، ودخـل يهـودي على أبي بكر فسأله أخبرني عمـا ليس لله وعما ليس عنـد الله وعما لا يعلمـه الله ؟ فقال أبو بكر : هذه مسائل الـزنادقـة وهم به المسلمـون وكان ابن عبـاس حاضراً فقال : ما انصفتموه إن كان عنـدكم جوابـه فاجيبـوه وإلاّ فاذهبـوا بـه إلى من يجيبـه فـأني سمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقـول لعلي بن أبي طالب : اللّهمَّ أهد قلبـه وثبت لسانـه . قال فقـام أبو بكـر ومن حضر من المهـاجرين والأنصـار حت أتوا عليـاً فاستـأذنـوا عليـه ودخلوا فقـال أبـو بكر : يا أبا الحسن أن هذا اليهـودي سألني عن مسـائل الـزنادقـة ، فقال علي صلى الله عليه وآله وسلم لليهودي : ما تقول يا يهـودي ؟ قال : إني أسـألك عن أشيـاء لا يعلمهـا إلاّ نبي أو وصي نبـي فقـال علي عليه السلام : سـل يـا يهـودي فانبئك به . قـال: أخبرني عمـا لي لله وعما ليس عنـد الله وعما لا يعلمـه

الله ؟ فقال : أما قولك أخبرني عما ليس لله فليس لله شريك ، وأما قولك عما ليس عند الله فليس عند الله ظلم للعباد ، وأما قولك عما لا يعلمه الله فذلك قولكم عزير بن الله والله لا يعلم أن له ولداً . فقال اليهودي : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله وأنك وصيه فقام أبو بكر ومن معه من المهاجرين فقبلوا رأس أمير المؤمنين وقالوا : يا مفرج الكرب .

وروي أن يوماً من الأيام حضر الناس عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب بالكوفة ويقول : سلوني قبل أن تفقدوني فإني لا أسئل عن شيء دون العرش إلاّ أجبت لا يقولها بعدي إلاّ مدع أو كذاب مفتر ، فقام إليه رجل من جنب مجلسه في عنقه كتاب كالمصحف فصاح رافعاً صوته أيها المدعي لما لا يعلم والمتقدم لما لا يفهم أنا أسألك فأجب ؟ قال : فوثب أصحابه وشيعته من كل ناحية وهموا به فنهرهم علي عليه السلام وقال دعوه ولا تعجلوه فإن العجلة والبطش لا تقوم بهما حجج الله ولا بإعجال السائل تظهر براهين الله عزّ وجلّ . ثم إلتفت إلى السائل وقال : سل بكل لسانك ومبلغ علمك أجبك إن شاء الله بعلم لا يختلج به الشكوك ولا يهجنه دنس ريب الزيغ ولا قوّة إلاّ بالله . قال الرجل : كما بين المشرق والمغرب ؟ قال علي عليه السلام : مسافة الهواء . قال الرجل : وما مسافة الهواء ؟ قال علي عليه السلام : دوران الفلك . قال : وما دوران الفلك ؟ قال عليه السلام : مسيرة يوم للشمس . قال: صدقت . قال : فمتى القيامة ؟ قال عليه السلام : عند حضور المنية وبلوغ الأجل . قال : صدقت . قال : فكم عمر الدنيا ؟ قال عليه السلام : سبعة لا تحديد ، قال : صدقت . قال : فأين بكة من مكة ؟ قال : مكة أكناف الحرم وبكة موضع البيت قال : صدقت . فلم سُميت فلِمَ سُميت مكة ؟ قال عليه السلام : لأن الله عزّ وجلّ مد الأرض من تحتها ، قال : صدقت . فلِمَ سُميت بكة ؟ قال عليه السلام : لأنها بكت (بكت : أي دقت) رقاب الجبارين وعنوق المذنبين ، قال : صدقت . فأين كان الله

قبل أن يخلق عرشه ؟ قال عليه السلام : سبحان من لا تدركه الأبصار ولا تدرك صنفته حملة العرش على قرب ربواتهم (الربوة : الارتفاع) من كرسي كرامته ولا الملائكة من زاخر رشحات جلاله ويحك لا يُقال لله أين ولا ثم ولا فيم ولا أي ولا كيف . قال : صدقت ، فكم مقدار ما لبث عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسماء ؟ قال عليه السلام : اتحسن أن تحسب ؟ قال الرجل : نعم ، قال عليه السلام : لعلك لا تحسن أن تحسب ؟ قال : بلىٰ إني لأحسن أن أحسب ، قال عليه السلام : رأيت أن صب خردل في الأرض حتى سد الهواء وما بين الأرض والسماء ، ثم أذن لك على ضعفك أن تنقله حبة حبة من مقدار المشرق والمغرب ومد في عمرك وأعطيت القوة على ذلك حتى تنقله وأحصيته كان ذلك أيسر من أن أحصي عدد أعوام ما لبث عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسماء ، وإنما وصفت منقصه عشر عشر العشر من جزء من مائة ألف جزء واستغفر الله عن التحديد والتقليل . قال : فحرك الرجل رأسه بعد ذلك وأنشأ يقول :

أنت أصيل العلم ياذا الهدىٰ تجلو من الشك الغياهيبا
لا تنثني عن كل أشكولة تبدي إذا حلت أعاجيبا
للّه در العلم من صاحب يطلب إنساناً ومطلوبا

ومن طرائف الأخبار أن أعرابياً سأل أمير المؤمنين عليه السلام قال : رأيت كلباً وطىء شاة فاولدها ولداً فما حكم ذلك في الحل ؟ فقال عليه السلام : اعتبره بالأكل فإن أكل لحماً فهو كلب وإن أكل علفاً فهو شاة ، فقال الأعرابي : رأيته يأكل هذا تارة وهذا تارة ، فقال : اعتبره في الشرب فإن كرع فهو شاة وإن ولغ فهو كلب ، فقال الأعرابي : يلغ تارة ويكرع أُخرى ، فقال : اعتبره في المشي مع الماشية فإن تأخر عنها فهو كلب وإن تقدم أو توسط فهو شاة ، فقال : وجدته مرّة هكذا ومرّة هكذا ، فقال : اعتبره في الجلوس فإن أبرك فهو شاة وإن أقعى فهو كلب . قال : إنه يفعل هذا مرّة وهذا مرة ، فقال : اذبحه فإن

وجدت له كرشاً فهو شاة وإن وجدت له أمعاء فهو كلب فبهت الأعرابي عند ذلك من علم أمير المؤمنين عليه السلام .

ويروى أن رجلاً أتي به إلى عمر بن الخطاب وكان صدر منه أنه قال لجماعة من الناس وقد سألوه كيف أصبحت؟ قال : أصبحت أحب الفتنة واكره الحق واصدق اليهود والنصارى وأؤمن بما لم أره وأقر بما لم يخلق فرفع إلى عمر فأرسل عمر إلى علي عليه السلام ، فلما جاءه أخبره بمقالة الرجل قال : صدق يحب الفتنة. قال الله تعالىٰ : إنما أموالكم وأولادكم فتنة ويكره الحق الموت ، قال الله تعالىٰ : وجاءت سكرة الموت بالحق ويصدق اليهود والنصارى قال الله تعالىٰ : وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ويومن بما لم يره يؤمن بالله عزّ وجلّ ولم يره ويقر بما لم يخلق يعني الساعة فقال عمر : أعوذ من معضلة لا علي لها .

وروى عمرو بن بحر الجاحظ المعتزلي عن النظام في كتاب الفتيا ما ذكر عمر بن داود عن مولانا الصادق عليه السلام قال : كان لفاطمة عليها السلام جارية يُقال لها فضة فصارت من بعدها لعلي عليه السلام فزوجها من ابن ثعلبة الحبشي فأولدها أبنا ، ثم مات عنها أبو ثعلبة فتزوجها من بعده سليك الغطفاني ، ثم توفي إبنها من أبي ثعلبة فامتنعت من سليك أن يقربها فاشتكاها إلى عمر وذلك في أيامه فقال لها عمر : ما يشتكي منك سليك يا فضة ؟ فقالت : أنت تحكم في ذلك وما يخفى عليك أكثر مما ظهر لديك ، فقال عمر ما أجد لك رخصة ؟ فقالت : يا أبا حفص ذهب بك المذاهب إن إبني من غيره مات فاردت أن استبرء بحيضة فإذا أنا حضت علمت أن ابني مات ولا أخ له وإن كنت حاملاً علمت أن الولد في بطني أخوه ، فقال عمر : شعرة من آل أبي طالب أفقه من جميع آل خطاب ، وفي رواية من عدي :

ويروى أن عمر بن الخطاب أراد أن يرجم امرأة مجنونة فقال له

أميـر المؤمنين عليه السلام : ما لـك أمـا سمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقـول : رفـع القلم عن ثـلاثة عن النـائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يعقـل ، وعن الطفل حتى يحتلم قال فخـلا سبيلهـا وقـال لـولا علي لهلك عمـر .

وبـالإسناد عن الـواقدي عن جـابر عن سلمـان الفـارسي رضي الله عنه أنه جاء إلى عمر بن الخطاب غلام يافع فقـال له : أن أمي جحـدت حقي من ميـراث أبي وانكرتني ، وقـالت لست بولـدي فاحضـرهـا وقـال لهـا : لِم جحدت ولـدك هذا الغـلام وانكرتـه ؟ قـالت : إنـه كـاذب في زعمه ولي شهود بـأني بكر عـاتق ما عـرفت بعلاً وكـانت قد أرشت سبعـاً من النسـاء كل واحـدة بعشرة دنـانيـر أن يشهـدن أنهـا بكـر فـطلب عمـر الشهـود فاحضـرتهن بين يديـه فقال : اتشهـدن فقلن نشهد أنهـا بكـر لم يمسهـا ذكر ، فقـال الغلام : بيني وبينهـا عـلامـة أذكـرهـا لهـا عسىٰ أن تعـرف ذلك فقـالت له : قـل ما بـدا لك ؟ فقـال الغلام : كـان والـدي شيخاً لسعد بن مـالك أو قـال الحارث المزني وإني رزقت في عام شـديد المحل وبقيت عامين كاملين ارضع شـاة ، ثم أنني كبرت وسـافر والـدي مـع جماعـة فعادوا ولم يعد والدي معهم فسألتهم عنـه فقالـوا : إنه درج فلما عرفت والد تي الخبر أنكـرتني وقد أخـرتني الحاجـة ، فقال عمـر : هـذا مشكـل لا يحله إلاَّ نبي أو وصي نبي فقـومـوا بنـا إلى أبي الحسن علي فمضى الغـلام وهو يقـول : أين منزل كـاشف الكروب أين خليفـة هـذه الأمة حقـاً فجـاؤوا بـه إلى منـزل علي بن أبي طـالب فـوقف هنـاك يقول : يا كاشف الكروب فقـال له الإمـام مالـك : يا غـلام فقال : يـا مـولاي أمي جحـدتني حقي وانكـرتني أني لم أكن ولـدهـا فقـال الإمـام عليه السلام : أين قنبـر فأجـابـه لبيـك يـا مـولاي ، فقـال عليه السلام : امض واحضـر الإمـرأة إلى مسجد رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمضى قنبر واحضـرها بين يـدي الإمام فقال لها : ويلك لِم جحـدت ولدك ؟ فقـالت له : يـا أمير المؤمنين أنـا بكـر ليس لي ولـد ولم يمسني بشـر وأنت يـا مـولاي احضـر لي قـابلة تنظرني فاحضـر قابلة فلمـا خلت بها أعـطتها سـواراً كان في عضـدها ،

وقالت لها أشهدي بأني بكر فلما خرجت من عندها قالت : يا مولاي إنها بكر ، فقال عليه السلام : كذبت العجوز يا قنبر عزرها وخذ منها السوار فال قنبر فأخرجته من كتفها فعند ذلك ضج الخلائق فقال الإمام عليه السلام اسكتوا فأنا عيبة علم النبوة ، ثم قال للجارية : أنا زين الدين أنا قاضي الدين أنا أبو الحسن والحسين أريد أن أزوجك من هذا الغلام المدعي عليك فتقبلينه مني زوجاً ؟ فقالت : لا يامولاي أتبطل شرع محمداً عليه السلام؟ فقال لها بماذا ؟ قالت : تزوجني بولدي كيف يكون ذلك ؟ فقال عليه السلام الله أكبر جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً وما منعك قبل هذه الفضيحة ؟ فقالت : يا مولاي خشيت على الميراث ، فقال : استغفري الله تعالىٰ ، ثم اصلح بينهما فالحق الولد بوالدته وبارث أبيه وصلّىٰ الله على محمد وآله وسلّم .

وفي المناقب لموفق بن أحمد الخوارزمي بسنده أن رجلين أودعا عند امرأة من قريش مائة دينار وأمراها أن لا تدفع إلى أحد منهما دون صاحبه فأتاها أحدهما فقال : إن صاحبي قد هلك فادفعي إلي المال فأبت فاستشفع إليها ومكث يختلف إليها ثلاث سنين قال فدفعت إليه المال ثم جاء إليها صاحبه فقال : أعطني مالي فقالت له : قد أخذه صاحبك فارتفعوا إلى عمر فقال له عمر : ألك بينة ، فقال : هي بينتي . قال : ما أراك إلاّ ضامنة ، فقالت : أنشدك الله الاّ ما رفعتنا إلى علي بن أبي طالب . قال : فرفعهما إليه فأتوه في حائط له وهو يسبل الماء وهو مئتزر بكساء فقصوا عليه القصة فقال للرجل : ائتني بصاحبك وعلي متاعك فانصرفوا .

وأيضاً بسنده قال شرب قوم الخمز بالشام فبعثوا بهم إلى عمر فلما أتوه سألهم عن ذلك ؟ قالوا : نعم شربناها وهي لنا حلال ، فقال : أو ليس يقول الله عزّ وجلّ : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾ الآية ، فقالوا : ويقول الله عزّ وجلّ : ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إلى قوله والله يحب

المحسنين﴾ فنحن من الـذين آمنوا وأحسنـوا فاستشار عمر فيهم أصحاب النبي فردوا المشورة إليـه قال وكـان أمير المؤمنين عليه السلام حـاضراً في القـوم سـاكت ، فقال : مـا تقول يـا أبا الحسن ؟ فقـال عليه السلام : إنهم قوم إفتـروا على الله واحلوا مـا حـرّم الله فـأرىٰ أن تستتيبهم فـإن ثبتـوا وزعمـوا أن الخمر حلال ضربت أعناقهم وإن رجعـوا ضربتهم ثمـانين جلدة فدعـاهم فاسمعهم مقالة علي ، ثم قال مـا تقولـون ؟ فقالـوا : نستغفر الله ونتـوب إليه ونشهد أن الخمر حرام وإنما شربنـاها ونحن نعلم بحـرمتها فضـربهم ثمانين ثمانين جلدة وأطلقهم .

وأيضـاً بسنده قـال : أُتي عمر بـامرأة قـد نحكت في عدتهـا ففرق بينهمـا وجعل صـداقها من بيت المـال ، وقال لا أجيـز مهراً ارد نكـاحـه وقال لا يجتمعان أبداً فبلغ علياً ذلك فقال لـه : يا عمـر وإن كانـوا جهلوا السنة فلها المهر بما استحل من فرجها ويفرق بينهمـا فإذا انقضت عـدتها فهو خاطب من الخـطاب فخطب عمر بالناس ، وقـال : لولا علي لهلك عمر ردوا الجهالات إلى السنة وردوا قول عمر إلى علي عليه السلام .

وأيضاً بسنده قـال لما كـان في زمن عمر أتي بـامرأة حـامل سـألها عمر فاعترفت بالفجور فأمـر بها عمـر أن ترجم فلقيهـا علي بن أبي طالب عليه السلام فقـال : ما بـال هذه المـرأة ؟ فقـالـوا : أمـر بهـا عمـر أن تـرجم ، فـردها عليه السلام فـأتى عمر وقـال له : أنت أمـرت بها أن تـرجم ؟ قال : نعم اعترفت عندي بالفجور ، فقـال عليه السلام : هذا سلطانـك عليها فمـا سلطانك على ما في بطنها فخلا سبيلها وقال لولا علي لهلك عمر .

وأيضـاً بسنده قـال : أوتي عند عمـر بـن الخطاب بـامـرأة وضعت ولـداً لستة أشهـر فهم برجمهـا فقال علي عليه السلام : ليس عليهـا رجم لقـولـه تعـالىٰ : **﴿والوالـدات يرضعن أولادهن حـولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾** ، وقال تعالىٰ : **﴿وحمله وفصالـه ثلاثـون شهراً فحـولين تمام الـرضـاعـة﴾** وهي أربعـة وعشـرون شهـراً فبقيت ستـة أشهـر وهي مـدة

الحمل فخلا سبيلها ، وقال : اللّهمَّ لا تبقي لمعضلة ليس لها علي حياً عقمت النساء أن يلد ن علياً لولا علي لهلك عمر .

قال سعيد بن المسيب قالها سبعين مرّة في سبعين وقعة .

وأيضاً روي أن رجلاً تزوج بخنثىٰ لها فرج كفرج الرجال وفرج كفرج النساء وأصدقها جارية كانت له ودخل بها وأصابها فحملت منه الخنثىٰ ، ثم أن الخنثى وطئت الجارية التي أصدقها زوجها فحملت منها وجاءت بولد ، فاشتهرت قصتهما ورفع أمرهما إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فسئل عن أحوال الخنثىٰ فاخبر أنها تحيض وتبطأ وتوطأ من الجانبين وقد حبلت وأحبلت ، فصار الناس متحيري الأفهام في جوابها فاستدعىٰ أمير المؤمنين عليه السلام زوجها فاقر بذلك فقال له علي عليه السلام : إنك لأجسر من خاصي الأسد ثم أمر عليه السلام قنبراً وامرأتين أن يأخذوا الخنثىٰ ويعدوا أضلاعها من الجانبين ففعلوا ذلك ، ثم خرجوا إليه فقالوايا أمير المؤمنين عدد أضلاع الجانب الأيمن ثمانية عشر ضلعاً وعدد أضلاع الجانب الأيسر سبعة عشر ضلعاً فحكم عليه السلام أنها رجل وأمر حجاماً بحلق رأسها واعطاها رداءاً وألحقها بالرجال فقال زوجها امرأتي وإبنة عمي ألحقتها بالرجال ممن أخذت هذه القضية ؟ فقال عليه السلام : من آدم لأن أُمنا حواء خُلقت من ضلع من أضلاع آدم فاضلاع الرجل أقل من أضلاع المرأة .

ومن قضائه المشهور ما رواه الخاصة والعامة أنه صلوات الله عليه رأى شاباً يبكي فسأله عن السبب ؟ فقال : إن أبي سافر مع هؤلاء الجماعة فلم يرجع حين رجعوا وكان ذا مال عظيم فرفعتهم إلى شريح وحكم علي بحكم لا أدري ما هو فقال عليه السلام متمثلاً :

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل

فقال عليه السلام : أرجعوهم فردوهم جميعاً والفتى معهم إلى شريح ، فقال لشريح : كيف قضيت بين هؤلاء ؟ قال : يا أمير المؤمنين ادعى

هـذا الغلام على هؤلاء النفـر أنهم خرجـوا في سفر وأبـوه معهم فرجعـوا ولـم يـرجع أبـوه فسألتهم عنـه ؟ فقالـوا : مـات ، فسـألتهم عن مـالـه ؟ فقـالوا : مـا خلف شيئاً ؟ فقلت : للفتى هـل لك بينـة على ما تـدعي ؟ قـال : لا فاستحلفتهم فقـال علي عليه السلام : يا شـريح هيهـات هكـذا تحكم في مثل هذا ؟ فقـال : كيف هذا يـا أمير المؤمنين ؟ فقـال علي عليه السلام : يا شـريح لأحكمن فيـه بحكم مـا حكم بـه خلق قبلي إلاَّ داود النبي عليه السلام ، ثم قـال يا قنبـر ادع ادع لي شرطـة الخميس فدعـاهم فوكـل بكل واحـد منهم رجـلا من الشرطـة ، ثم نظر إلى وجـوههم فقـال : مـاذا تقـولـون أتقـولون أني مـا أعلم ما صنعتم بـأبي هـذا الفتىٰ أني إذاً لجـاهـل ، ثم قـال عليه السلام : فرقـوهم وغطوا رؤوسهم ففـرق بينهم وأقيم كـل واحـد منهم في أسـطوانة من أسـاطين المسجد ورؤوسهم مغـطاة بثيـابهم ، ثم دعـا بعبـد الله بن أبي رافع كـاتبه فقـال : هات صحيفـة ودواة وجلس عليه السلام في مجلس القضاء واجتمع إليـه الناس ، فقـال : إذا أنا كبـرّت فكبِّروا ، ثم قال للناس : افرجوا ثم دعـا بواحـد منهم فاجلسـه بين يديـه فكشف عن وجهـــه ، ثم قـال لعبـــد الله : أكتب إقـراره وما يقـول ، ثم أقبـــل عليـــه بـالسؤال ، ثم قال عليه السلام لـه : في أي يوم خـرجتم من منازلكم وأبـو هـذا الفتىٰ معكم ؟ فقـال الرجـل : في يوم كـذا وكذا ، فقـال عليه السلام : وفي أي شهـر ؟ قال : في شهـر كذا وكـذا ، فقال : وإلى أين بلغتم من سفـركم حين مـات أبو هـذا الفتىٰ ، قال : إلى مـوضع كـذا وكـذا ، قـال عليه السلام : وفي أي منـزل ؟ قال : في منـزل فلان وفـلان ، قال عليه السلام : ومـا كان من مرضه ؟ قال : كذا وكذا ، قال عليه السلام : كم يوماً مـرض ؟ قال : كـذا وكذا يـوماً ، قـال عليه السلام : فمن كان يمـرضه وفي أي يـوم مـات ومن غسله وأين غسل ومن كفنه وبمـاذا كفن ومن صلّى عليه ومن نـزل قبره ؟ فلمـا سألـه عن جميع ما يريد كبَّر عليه السلام وكبَّـر النـاس معه فـارتاب أولئـك الباقـون ولم يشكوا أن صاحبهم قـد أقرّ عليهم وعلى نفسـه فأمـر أن يُغطَىٰ رأسـه وأن ينـطلقوا بـه إلى الحبس ، ثم دعا بـآخـر وأجلسـه بين يـديـه وكشف عن

وجهـه ، ثم قال عليه السلام ؛ كـلا زعمت أني لا أعلم ما صنعتم ؟ فقـال : يـا أمير المؤمنين ما أنا إلاَّ واحد من القـوم ولقد كنت كـارهاً لقتله فـأقر ، ثم دعا واحداً بعد واحد فكلهم يقـر بالقتـل ، وأخذ المـال ، ثم رد من كان أمر به إلى السجن فأقر أيضاً فالزمهم المال والدم .

فقـال شـريـح : يـا أميـر المؤمنين وكيف كـان حكم داود النبي ، فقال عليه السلام : إن داود مرّ بغلمة يلعبون وينـادون بعضهم مات الـدين ، قال له داود : من سماك بهذا الاسم ؟ قال : أُمي فانطلق إلى أُمـه فقال : يـا امرأة ما اسم إبنك هذا ؟ قـالت : مات الـدين ، فقال لهـا : ومن سماه بهذا الاسم ؟ فقالت : أبوه ، قال : وكيف كـان ذلك ؟ قـالت : أن أباه خرج في سفر له ومعه قوم وهذا الصبي حمـل في بطني فـانصرف القـوم ولم ينصرف زوجي فسألتهم عنه ؟ فقالـوا : مات ، قلت : أين مـا ترك ؟ قـالوا : لم يخلف مـالاً ، فقلت : أوصاكم بـوصيـة ؟ قـالـوا : نعم زعم أنـك حبلى فمـا ولـدت من ذكـر أو أنثىٰ فسميـه (مـات الـدين) ، فقـال داود : تعـرفين القوم الـذين كانـوا خرجـوا مع زوجـك ؟ قـالت : نعم ، فقال : أحياء هم أم أموات ؟ قـالت : بل أحيـاء ، قال : فـانطلقي معي إليهم . ثم مضىٰ معهـا فـاستخـرجهم من منـازلهم فحكم عليهم بهـذا الحكم فثبت عليهم المـال والدم . ثم قـال للامـرأة سمىٰ إبنـك (عـاش الـدين) ، ثم أُم الفتىٰ والقوم اختلفـوا في مال أبي الفتى كم كـان فأخـذ على خـاتمه وجميـع خـواتيم عـدة ، ثم قـال عليه السلام : اجيلوا هـذه السهـام فايكم أخرج خاتمي فهو الصـادق في دعواه لأنـه سهم الله عزّ وجـلّ وهو سهم لا يخيب .

وروى صـاحب كتاب «درر المـطالب» أن إمرأة ولـدت على فراش زوجها ولداً له يدان ورجلان ورأسان على حقـو واحد فـالتبس الأمر على أهله أنه واحد أم إثنان فصاروا إلى أمير المؤمنين يسألـونه ليعـرفوا الحكم فيه فقال لهم : اعتبروه إذا نام ثم نبهـوا أحد اليـدين والرجلين والـرأسين فـإن انتبها جميعـاً معاً في حـالـة واحـدة فهـو إنسـان واحـد وإن استيقظ

أحدهما دون الآخر فهما إثنان .

وفيه أن إمرأتين جاءتا إلى أمير المؤمنين ومعهما طفل أدعته كل منهما فوعظهما ، فلم يرجعا ، فقال عليه السلام : يا قنبر آتني بالسيف ؟ فقالتا : ما تصنع به ؟ فقال : أشقه نصفين واعطي كلا منكما نصفاً ، فرضيت إحداهما وصاحت الأُخرىٰ وقالت : يا أمير المؤمنين إن كنت لا بد فاعلاً فاعطها إياه فعرف عليه السلام أنه ولدها ولا شيء لتلك فاعطاه إياها وطرد الأُخرىٰ .

وفي المناقب : عن عمر بن حماد بإسناده عن عبادة بن الصامت قال : قدم قوم من الشام حجاجاً فاصابوا دحى نعامة فيه خمس بيضات وهم محرمون فشووهن واكلوهن ، ثم قالوا : ما أرانا إلاَّ وقد أخطأنا وأصبنا الصيد ونحن محرمون فأتوا المدينة فقصّوا على عمر القصة ، فقال : أنظروا إلى قوم من أصحاب رسول الله فاسألوهم عن ذلك فيحكموا فيه ، فسألوا جماعة من أصحابه فاختلفوا في الحكم في ذلك ؟ فقال عمر : إذا اختلفتم فها هنا رجل كنا إذا إختلفنا في شيء يحكم فيه ، فأرسل امرأة يُقال لها عطية فاستعار منها أتاناً فركبها وانطلق بالقوم معه حتى أتىٰ علياً عليه السلام ، فقال علي : مرهم فليعمدوا إلى خمس قلايص من الإبل فليطر قوها للفحل فإذا أنجبت أهدوا ما نتج منها جزاء عما أصابوا ، فقال عمر : يا أبا الحسن إن الناقة قد تجهض ، فقال علي وكذلك البيضة قد تمرق ، فقال عمر : فلهذا أمرنا أن نسألك .

وفيه بالإسناد يرفعه إلى كعب الأحبار قال : قضى علي قضية في زمن عمر الخطاب قالوا إجتاز عبد مقيد على جماعة فقال أحدهم : إن لم يكن في قيده كذا وكذا فامرأته طالق ثلاثاً فقال الآخر : إن كان فيه كما قلت فامرأته طالق ثلاثاً ؟ قال : فقاما فذهبا مع العبد إلى مولاه فقالا له : أنا حلفنا بالطلاق ثلاثاً على قيد هذا العبد فحله نزنه ، فقال

سيده : امرأته طالق ثلاثاً إن حل قيده فطلق الثلاثة نساءهم فارتفعوا إلى عمر بن الخطاب وقصوا عليه القصة ، فقال عمر : مولاه أحق به فاعتزلوا نساءهم، قال : فخرجوا وقد وقعوا في الحيرة فقال بعضهم لبعض : إذهبوا بنا إلى أبي الحسن لعله أن يكون عنده شيء من هذا فأتوه فقصوا عليه القصة فقال عليه السلام لهم : ما أهون هذا ، ثم أنه عليه السلام أخرج جفنة وأمر أن يحط العبد رجله فيها وأن يصب الماء عليها ، ثم قال عليه السلام : إرفعوا قيده من الماء فرفع قيده وهبط الماء فارسل عوضه زبراً من الحديد إلى أن صعد الماء إلى موضع كان فيه القيد ، ثم قال عليه السلام أخرجوا هذا الحديد وزنوه فإنه وزن القيد ، قال : فلما فعلوا ذلك وانفصلوا دخلت نساءهم عليهم ، ثم خرجوا وهم يقولون : نشهد أنك يا أمير المؤمنين غيبة علم النبوة .

وقضىٰ عليه السلام بالبصرة لقوم حدادين من قوم ، فقال أصحاب الحديد : كذا وكذا مناً ، فصدقوهم وابتاعوه ، فلما حملوا الباب على أعناقهم قالوا للمشترين بخلاف ما ذكروه أولاً فسألوهم الحطيطة فأبوا وأنكروا فارتجعوا عليهم فصاروا إلى أمير المؤمنين فقال : أدلكم أحملوه إلى الماء فحمل وطرح في زورق صغير وعلم على الموضع الذي بلغه الماء ، ثم قال : ارجعوا مكانه تمراً موزوناً فما زالوا يطرحون شيئاً بعد شيء موزون حتى بلغ الغاية ، قال : كم طرحتم ؟ قالوا : كذا وكذا مناً ورطلاً . فقال عليه السلام ؛ وزنه هذا .

وروى النضر بن سويد يرفعه : أن رجلاً حلف أن يزن فيلاً ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يدخل الفيل سفينته . ثم ينظر إلى موضع مبلغ الماء من السفينة فيعلم عليه ، ثم يخرج الفيل ويلقي في السفينة حديداً أو صفراً أو ما شاء فإذا بلغ الموضع الذي علم عليه أخرجه ووزنه .

وفي الكافي والتهذيب : باسنادهما عن أبي الصباح الكنائي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أتي عمر بامرأة وزوجها شيخ فلما أن واقعها

مات على بطنها فجاءت بولد فادعىٰ بنوه أنها فجرت وتشاهدوا عليها فأمر بها عمر أن ترجم ، فمر بها علي عليه السلام فقالت : يابن عم رسول الله أن لي حجة ؟ فقال : هاتي حجتك ، فدفعت إليه كتاباً فقرأه ، فقال عليه السلام : هذه المرأة تعلمكم بيوم زوجها ويوم واقعها كيف كان فردوا المرأة ، فلما كان من الغد دعىٰ عليه السلام بصبيان أتراب ودعا بالصبي معهم ، فقال : العبوا حتى ألهاهم باللعب فقال لهم : أجلسوا حتى تمكنوا ، ثم صاح بهم بأن قوموا فقام الصبيان وقام الغلام فاتكى على راحتيه فدعا به أمير المؤمنين فأورثه من أبيه وجلد أخوته حداً ، فقال له عمر : كيف صنعت ؟ قال : عرفت ضعف الشيخ في اتكاء الغلام على راحتيه .

فصل
في إخباره بالمغيبات

وهي موارد كثيرة ، نذكر بعضها : فمن ذلك أخباره جماعة من أصحابه بالقتل منهم ميثم التمار ، قال له عليه السلام : تؤخذ بعدي وتصلب وتطعن بحربة فإذا كان اليوم الثالث ابتدرت منخراك وفمك دماً فتخضب لحيتك فانتظر ذلك الخضاب تصلب على باب عمر بن حريث عاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة وامضِ حتى أريك النخلة التي تصلب بأمر عبيد الله بن زياد على جذعها فأراه إياها وكان ميثم يأتيها فيصلّي عندها ويقول : بوركت من نخلة لك خُلقت ولي غذيت ، ولم يزل معاهدها حتى قطعت وحتى عرف الموضع الذي يصلب عليه بالكوفة ، قال وكان يلقي عمرو بن حريث فيقول : إني مجاورك فاحسن جواري ، فيقول له عمرو أتريد أن تشتري دار ابن حكيم وهو لا يعلم ما يريد وحج في السنة التي قتل فيها فدخل على أُم سلمة (رض) فقالت : من أنت ؟ قال : أنا ميثم ، قالت : والله لربما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكرك ويوصي بك علياً في جوف الليل فسألها عن الحسين عليه السلام ؟ فقالت : هو في حائط له ، قال : أخبريه

أني قد أحببت السلام عليه ونحن ملتقون عند رب العالمين فدعت بطيب وطيب لحيته وقالت : أما أنها ستخضب بدم ، ثم خرج من دار أم سلمة فإذا ابن عباس جالس فسلّم عليه ، ثم قال : يابن عباس سلني ما شئت من تفسير القرآن فإني قرأت تنزيله على أمير المؤمنين عليه السلام وعلمني تأويله ، فقال : يا جارية عليَّ بالدوات والقرطاس ، ثم أقبل يكتب فقال : يابن عباس كيف بك إذا رأيتني مصلوباً ؟ فقال ابن عباس : وتكهن أيضاً وخرق الكتاب فقال : مه احتفظ بما سمعت مني فإن بك ما أقول لك حقاً امسكت وإلاَّ خرقته ، قال هو ذلك ، ولما قدم الكوفة بعث إليه عبيد الله بن زياد (لع) فادخل عليه فقيل له هذا كان من آثر الناس عند علي عليه السلام قال : ويحكم هذا الاعجمي قيل له : نعم ، فقال له: يا ميثم أين ربك ؟ قال : بالمرصاد لكل ظالم وأنت أحد الظلمة ، قال : أخبرني ما أخبرك صاحبك إني فاعل بك ، قال : أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة أنا أقصرهم خشبة وأقربهم إلى المطهرة ، قال : لنخالفنه ، قال : كيف تخالفه فوالله ما أخبر إلاَّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرائيل عن الله تعالىٰ ، فكيف تخالف هؤلاء ولقد عرفت الموضع الذي أصلب فيه وأين هو من الكوفة وأنا أول خلق الله ألجم فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيدة ، فقال ميثم للمختار : إنك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الذي يقتلنا ، فلما دعى عبيد الله بن زياد بالمختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد إليه يأمره بتخلية سبيل المختار فخلاه وأمر بميثم أن يصلب فأخرج فقيل له ما كان أغناك عن هذا ؟ فتبسم وقال وهو يومىء إلى النخلة لك خلقت ولي غذيت ، فلما رفع على الخشبة اجتمع الناس حوله عند باب عمرو بن حريث ، فقال عمرو : قد كان والله يقول أني مجاورك ، فلما صلب ميثم أمر عمرو جاريته بكنس تحت خشبته ورشه وتجميره ، فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم فقيل لابن زياد قد فضحكم هذا العبد ، فقال : ألجموه وكان أول خلق الله ألجم في

الإسـلام وكان قـتـل ميثم قبل قـدوم الحسين بن علي العراق بعشـرة أيام فلمـا كان اليـوم الثالث من صلبـه طعن ميثم بالحـربـة فكبـر ، ثم انبعث في آخر النهار فمه وأنفه دماً .

وفي بعض الـروايات بـالإسناد إلى صـالح بن ميثم قـال : أخبرني أبـو خالـد التمار قـال كنت مع ميثم التمـار بالفـرات يـوم الجمعـة فهبت ريـح وهو في سفينـة من سفن الـرومان قـال فخـرج فنـظر إلى الـريـح ، فقال : شدوا برأس سفينتكم إن هذا ريح عاصف مات معاويـة الساعـة ، قال : فلما كانت الجمعة المقبلة قـدم بريـد من الشام فلقيتـه فاستخبـرته فقلت لـه : يا عبـد الله ما الخبـر ؟ قال : النـاس على أحسن حال تـوفي معـاوية وبـايع النـاس يزيـد ، قـال قلت : أي يـوم تـوفي ؟ قـال : يـوم الجمعة .

وبـالإسناد إلى حنـان بن سديـر عن أبيـه عن جـده قـال : قـال لي ميثم التمار ذات يوم : يا أبا حكيم إني أخبـرك بحديث وهـو حق ، قال فقلت : يـا أبا صـالح بـأي شيء تحدثني ؟ قـال : إني أخرج العـام إلى مكـة فإذا قَدِمْتُ القادسيـة راجعاً أرسـل إليَّ عبيد الله بن زيـاد رجلاً في مائة فارس حتى يجيىء بي إليه فيقـول لي أنت من هذه السبـائية الخبيثـة المحترقة التي قد يبست عليها جلودهـا وأيم الله لأقطعن يـدك ورجلك ، فـأقـول : لا رحمـك الله فـوالله لعلي كـان أعـرف بـك من حسن حين ضـرب رأسك بـالدرة ، فقـال له الحسن : يـا أبة لا تضـربه فـإنه يحبنـا ويبغض عدونا ، فقال له علي عليه السلام مجيبـاً له : اسكت يـا بني فوالله لأنـا أعلم به منك فـوالذي فلق الحبـة وبرأ النسمـة إنه لـولي لعدوك وعـدوٌ لـوليك ، قـال فيأمـرني عند ذلـك فاصلب فـأكون أول هـذه الأُمـة أُلجم بـالشريط في الإسـلام فإذا كـان اليوم الثـالث فقـد غـابت الشمس أو لم تغـب إبتـدر منخراي دمـاً على صدري ولحيتي ، قـال : فرصـدنـا فلمـا كـان اليـوم الثـالث فقـد غـابت الشمس أو لم تغب إبتـدر منخـراه على صـدره ولحيته دمـاً ، قال فـاجتمعنا سبعـة من التمـارين فـانعـدنـا بحمله

فجئت إليه ليلاً والحراس يحرسونه وقد أوقدوا النار ، فحالت النار بيننا وبينهم فاحتملناه بخشبة حتى انتهينا به إلى فيض من ماء في مراد في الخراب وأصبح فبعث الخيل فلم تجد شيئاً .

وفي رواية قال ميثم للناس وهو مصلوب : سلوني قبل أن أُقتل فوالله لأخبرتكم بعلم ما يكون إلى أن تقوم الساعة وما يكون من الفتن ، فلما سأله الناس حدثهم حديثاً واحداً إذ أتاه رسول من قبل ابن زياد فالجمه بلجام من شريط وهو أول من أُلجم بلجام وهو مصلوب .

ومنهم رشيد الهجري يروي أن أمير المؤمنين كان يسميه رشيد البلايا لأنه عليه السلام كان ألقي إليه علم البلايا والمنايا فكان إذا لقي الرجل ، قال له : أنت تموت بميتة كذا وتقتل أنت يا فلان بقتلة كذا وكذا فيكون كما يقول .

وروى بالإسناد عن فضيل بن الزبير قال : خرج أمير المؤمنين إلى بستان البرني ومعه أصحابه فجلس تحت نخلة ، ثم أمر بنخلة فلقطت فأنزل منها رطب فوضع بين أيديهم ، قالوا فقال رشيد الهجري : يا أمير المؤمنين ما أطيب هذا الرطب ، فقال : يا رشيد أما أنك تصلب على جذعها ، قال رشيد : فكنت اختلف إليها طرفي النهار أسقيها ومضىٰ أمير المؤمنين عليه السلام قال فجئتها يوماً وقد قطع سعفها ، قلت اقترب أجلي ، ثم جئت يوماً فجاء العريف فقال : أجب الأمير فأتيته فلما دخلت القصر إذا الخشب ملقىٰ فإذا فيه لزرنوق[1] فجئت حتى ضربت الزرنوق برجلي ، ثم قلت لك : غذيت ولي أنبت ثم أُدخلت على عبيد الله بن زياد ، فقال : هات من كذب صاحبك ، فقلت : والله ما أنا بكذاب ولا هو ولقد أخبرني أنك تقطع يدي ورجلي ولساني ، قال : إذن والله نكذبه أقطعوا يديه ورجليه وأخرجوه ،

---

(١) الزرنوق : بالضم والفتح ، منارتان يبنيان على جانب رأس البئر (منه) .

فلما حمل إلى أهله أقبل يحدث الناس بالعظائم وهو يقول : أيها الناس سلوني وإن للقوم عندي طلبة لم يقضوها فدخل رجل على ابن زياد فقال له : ماذا صنعت قطعت يديه ورجليه وهو يحدث الناس بالعظائم قال فأرسل إليه ردوه وقد انتهىٰ إلى بابه فردوه فامر بقطع لسانه وصلبه ، ومنهم : عمرو بن الحمق الخزاعي .

في البحار : أن عمرو بن الحمق كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم صاحب أمير المؤمنين عليه السلام وفي كلمات الأئمة كان عبداً أبلته العبادة فأنحلت جسمه وصفرت لونه ، ولما قتل أمير المؤمنين طلبه معاوية ليقتله فكان لا يأوي الكوفة فبعث له معاوية الأمان والمواثيق والعهود أن لا يتعرض له بسوء فدخلها فقبض عليه وقتله .

وفيه روى محمد بن علي الصواف عن الحسين بن سفيان عن أبيه شمير ابن سدير الأزدي قال : قال علي عليه السلام لعمرو بن الحمق الخزاعي : أين نزلت يا عمرو؟ فقال : في قومي ، فقال : لا تزلن فيهم ؟ قال : أفأنزل في بني كنانة جيراننا ! قال : لا ، قال : أفأنزل في ثقيف ؟ قال : فما تصنع بالمعرة والمجرة ؟ قال : وما هما ؟ قال : عنقان من نار يخرجان من ظهر الكوفة يأتي أحدهما على تميم وبكر بن وائل فما يفلت منه أحد ويأتي الآخر فيأخذ على الجانب الآخر من الكوفة فقل من يصيب منهم إنما هو يدخل الدار فيحرق البيت والبيتين ، قال : فأين أنزل في بني عمرو بن عامر من الأزد ؟ قال : فقام قوم حضروا هذا الكلام وقالوا : ما نراه إلاَّ كاهناً يتحدث بحديث الكهنة ، فقال : يا عمرو إنك لمقتول بعدي وأن رأسك لمنقول وهو أول رأس ينقل في الإسلام وويل لقاتلك أما أنك لا تنزل بقوم إلاَّ أسلموك برمتك إلاَّ هذا الحي من بني عمرو بن عامر من الأزد فإنهم لن يسلموك ولن يخذلوك ، قال : فوالله ما مضت الأيام حتى تنقل عمرو بن الحمق في خلافة معاوية في الأحياء خائفاً مذعوراً حتى

نزل في قوم من بني خزاعة فأسلموه فقتل وحمل رأسه من العراق إلى معاوية وهو أول رأس حُمل في الإسلام من بلد إلى بلد ، وكان عمرو بن الحمق في جملة من دخل على عثمان يوم الدار على ما نقله جماعة من المؤرخين .

ومنهم : جويرية بن مسهر أخبره عليه السلام بقتله وقال له : والذي نفسي بيده لتحملن إلى العتل الزنيم وليقطعن يديك ورجليك ثم لتصلبن ، ولما وُلِيَّ زياد الكوفة فعل به كما قال عليه السلام .

ومنهم : حجر بن عدي وكان من أبر أصحاب أمير المؤمنين وكان ذا علم وحلم وشجاعة وكرم وفصاحة أخبره أمير المؤمنين بما يجري عليه بعده من القتل .

قال المسعودي في تاريخ (مروج الذهب) وفي سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية حجر بن عدي الكندي وهو أول من قتل صبراً في الإسلام حمله زياد من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها ، فلما صار على أميال من الكوفة يراد به دمشق أنشأت إبنته تقول ولا عقب له من غيرها :

ترفع أيها القمر المنير ... لعلك أن ترىٰ حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب ... ليقتله كذا زعم الأمير
ويصلبه على بابي دمشق ... وتأكل من محاسنه النسور
تخيرت الجبائر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسدير
ألا يا حجر حجر بني عدي ... تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى علياً ... وشيخاً في دمشق له زئير
ألا يا ليت حجراً مات موتاً ... ولم ينحر كما نحر البعير
فإن تهلك : فكل عميد قوم ... إلى هلك من الدنيا يصير

ولما صار إلى مرج عذراء على إثني عشر ميلاً من دمشق تقدّم البريد بأخبارهم إلى معاوية فبعث برجل أعور ، فلما أشرف على حجر

وأصحابه قال رجل منهم : إن صدق الزجر فإنه سيتقل منا النصف وينجوا الباقون ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : أما ترون الرجل المقبل مصاباً بإحدى عينيه ، فلما وصل إليهم قال لحجر : أن أمير المؤمنين يعني معاوية أمرني بقتلك يا رأس الظلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولي لأبي تراب وقتل أصحابك إلاَّ أن ترجعوا عن كفركم وتلعنوا صاحبكم وتتبرؤون منه ، فقال حجر وجماعة ممن كان معه : أن الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعونا إليه ، ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب إلينا من دخول النار وأجاب نصف من كان معه إلى البراءة من علي ، فلما قدم حجر ليقتل قال : دعوني أُصلّي ركعتين فجعل يطول في صلاته ، فقيل له : جزعاً من الموت ؟ فقال : لا ولكني ما تطهرت للصلاة قط إلاَّ صلّيت وما صلّيت قط أخف من هذه وكيف لا أجزع وأنى لأرى قبراً محفوراً وسيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً ، ثم قدم فنحره والحق به بقية من وافقه على قوله من أصحابه .

وممن أخبره أمير المؤمنين عليه السلام بقتله (كميل بن زياد) رحمه الله ولما وُلِيَّ الحجاج طلب كميلاً فهرب منه فحرم قومه عطاياهم ، فلما رأى كميل ذلك أتىٰ الحجاج فلما رآه قال له : لقد كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً ؟ فقال له : كميل والله ما بقي من عمري شيء ، فاقض ما أنت قاض ولقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام أنك قاتلي ، فقال له الحجاج : الحجة عليك إذن وأمر به فضربت عنقه .

ومنهم : قنبر مولاه أخبره بقتله ولما جيء به إلى الحجاج قال له : أي قتلة أحب إليك ؟ قال : قد صيرت ذلك إليك ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأنك لا تقتلني قتله إلاَّ قتلتك مثلها وبهذا أخبرني مولاي أمير المؤمنين أن منيتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حق فأمر بذبحه .

ومن ذلك قوله عليه السلام لطلحة والزبير لما استأذناه في الخروج إلى

العمرة إنما تـريدان البصـرة وأن الله تعالىٰ سيـرد كيدهمـا ويظفـرني بهما وكان الأمر كما قال عليه السلام .

ومن ذلك قوله عليه السلام وقد جلس للبيعـة يأتيكم من قبـل الكوفـة ألف رجل لا يزيـدون واحداً ولا ينقصـون واحداً يبـايعوني على المـوت ، قال ابن عباس : فجزعت لـذلك وخفت أن ينقص القـوم عن العدد أو يـزيدوا عليـه فلم أزل مهمـومـاً، قـال: فجعـلت أحصـيهـم، فـاستـوفـيت تسعمائة وتسعة وتسعين رجلاً ثم انقطع مجيء القوم فبينمـا أنا مفكـر في ذلك إذ رأيت شخصاً قد أقبل فإذا هو أويس القرني تمام العدد .

ومن ذلك أخباره بقتل ذي الثدية من الخوارج .

ومن ذلـك إخباره بـأن الخـوارج مـا عبـروا النهـر فكـان كمـا قـال عليه السلام .

ومن ذلك اخباره عن قتل نفسه بقـوله تخضب هـذه من هذا وأشـار إلى لحيته ورأسه .

ومن ذلك إخباره جويرية بن مسهر العبـدي بما يجـري في كربـلاء روى جويريـة قال : لمـا توجهنـا لصفين بلغنا طفـوف كربـلاء فوقف عليه السلام نـاحية من العسكـر ثم نظر يميناً وشمالاً وقـال : والله هذا منـاخ ركابهم ومـوضع منيتهم فقيـل له : يـا أمير المؤمنين مـا هذا المـوضع ؟ فقـال : كربلاء يقتل فيه قوم يدخلون الجنـة بغير حسـاب وكان النـاس لا يعلمون ما قال حتى صار من أمر الحسين عليه السلام ما صار .

ومن ذلـك إخباره بعمـارة بغداد وملك بني العبـاس وذكر أحـوالهم وأخذ المغول الملك منهم كما في (مناقب ابن شهرآشوب)[1] وغيره .

ومنهـا إخباره بصـاحب الزنـج وغرق البصـرة كما في شـرح النهج

---

(١) المطبوع في المطبعة الحيدرية في النجف بثلاثة أجزاء .

لابن أبي الحديد ، ومن ذلك إخباره بالإخوان الذين هم من الوهابية في هذا العصر ، كما في خطبة (البيان) المروية عنه عليه السلام وهذا الأمر منه عليه السلام كثير جداً فلنكتف بما نقلناه .

فصل
في شيء مما جاء في زهده وورعه
وعبادته وتقواه

روى أبو نعيم في (الحلية) بسنده أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا علي أن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إلى الله منها هي زينة الأبرار عند الله تعالىٰ الزهد في الدنيا فجعلك لا تزرء من الدنيا شيئاً .

وفي الأمالي : روى مثل هذا الخبر بإضافة ووهب لك حب المساكين فجعلك ترضىٰ بهم أتباعاً ويرضون بك إماماً فطوبىٰ لمن أحبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب عليك فحق على الله أن يوقفه موقف الكذابين .

ومن كلامه عليه السلام أن إمامكم قد اكتفي من الدنيا بطمريه ويسد فورة جوعه بقرصيه لا يطعم الفلذة في حوله إلاَّ في سنة أضحية ولن تقدروا على ذلك فأعينوني بورع وإجتهاد وكأني بقائلكم يقول إذا كان قوت ابن أبي طالب هذا قعد به الضعف عن مبارزة الأقران ومنازلة الشجعان والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ولكني أيدت بقوة ملكية ونفس بنور بارئها مضيئة هكذا نقل هذه الخطبة في (الخرائج والجرائح) وبينها وبين ما في (نهج البلاغة) تفاوت يمكن أن يُقال من اختلاف الرواة .

وفي البحار خرج عليه السلام يوماً وعليه إزار مرقوع فعوتب عليه فقال : يخشع القلب بلبسه ويقتدي به المؤمن إذا رآه علي .

وخرج يوماً إلى السوق ومعه سيفه ليبيعه فقال : من يشتري مني

هذا السيف فوالذي فلق الحبة لطالما كشف به الكرب عن وجه رسول الله ولو كان عندي من إزار لما بعته وكان عليه السلام ولى على عكبراً رجلاً من ثقيف قال له : إذا صلّيت الظهر غداً فعد إليَّ ، قال الرجل : فعدت إليه في الوقت المعين فلم أجد عنده حاجباً يحبسني دونه فوجدته جالساً وعنده قدح وكوز ماء فدعا بوعاء مشدود مختوم ، فقلت في نفسي : لقد أمني حتى يخرج إليَّ جوهراً فكسر الختم وحله فإذا فيه سويق فاخرج منه فصبه في القدح وصب عليه ماء فشرب وسقاني فلم أصبر ، فقلت : يا أمير المؤمنين اتضع هذا في العراق وطعامه كما ترى في كثرته ، فقال : أما والله ما أختم عليه بخلا به ولكن ابتاع قدر ما يكفيني فأخاف أن ينقص فيوضع فيه من غيره وأنا أكره أن أدخل بطني إلاَّ طيباً فلذلك احترز كما رأيت فإياك وتناول ما لا تعلم حله .

وفي كتاب (ينابيع المودة) للشيخ سليمان الحنفي عن بريدة الأسلمي قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لي جبرائيل : يا محمد أن حفظة علي بن أبي طالب لتفتخر على الملائكة أنها لم تكتب على علي خطيئة منذ صحبته .

وفيه سئل علي عليه السلام عن قوله تعالىٰ : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته**﴾ ، قال : والله ما عمل بهذا غير أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحن ذكرنا الله فلا ننساه ونحن شكرناه فلا نكفره ونحن أطعناه فلا نعصيه ، قال جابر : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين مؤمن آل ياسين وعلي بن أبي طالب وآسية امرأة فرعون .

وفي روضة الواعظين : قال أبو جعفر الباقر عليه السلام : والله إن كان عليّ ليأكل أكل العبد ويجلس جلسة العبد وإن كان ليشتري القميصين السنبلانيتين فيخير غلامه خيرهما ، ثم يلبس الآخر فإذا جاز اصابعه قطعه وإذا جاز كعبه حذفه ولقد ولى خمس سنين وما وضع أجرة على

أجـرة ولا لبنة ولا أقـطع قطيعـة ولا أورث بيضـاً ولا حمـراء ، وإن كـان ليـطعم الناس خبـز البر واللحم وينصـرف إلى منزلـه ويأكـل خبز الشعيـر والزيت والخل ومـا ورد عليه أمـران كلاهمـا لله رضى ألا أخذ بـأشدهمـا على بـدنه ولقـد أعتق ألف مملوك من كديـده تربت فيـه يداه وعـرق فيـه وجهـه ، ومـا أطـاق عمله من النـاس أحـد وإن كـان ليصلّي في اليـوم والليلة ألف ركعـة وإن كان أقـرب الناس شبهـاً بـه علي بن الحسين عليه السلام وما أطاق عمله بعده أحد من الناس .

وفيه سمع رجل من التابعين أنس بن مـالك يقـول نزلت هـذه الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام (أمن هو قانت آناء الليل ساجـداً وقائمـاً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه)، قال الـرجل : فـأتيت علياً لأنـظر إلى عبادتـه فـأشهد بـالله لقد أتيتـه وقت المغرب فـوجدتـه يصلّي بأصحـابه المغـرب فلمـا فـرغ منهـا جلس في التعقيب إلى أن قـام إلى عشـاء الآخـرة ، ثم دخل منزله فدخلت معه فوجـدته طـول الليل يصلّي ويقـرأ القرآن إلى أن طلع الفجر ، ثم جدد وضـوءه وخرج إلى المسجـد وصلّىٰ بالنـاس صلاة الفجـر ، ثم جلس في التعقيب إلى أن طلعت الشمس، ثم قصـده النـاس فجعل يختصم إليه الرجلان وإذا فرغا قـاما وجـاء آخران إلى أن قـال إلى صلاة الظهر وجدد ضوءه ، ثم صلّىٰ بأصحـابه الـظهر قعـد في التعقيب إلى أن صلّىٰ بهم العصـر ، ثم أتاه النـاس فجعـل يقـوم رجـلان ويقعـد آخـران يقضي بينهم ويفتيهم إلى أن غابت الشمس فخرجت وأنـا أقـول أشهد بالله أن هذه الآية نزلت فيه عليه السلام .

وعن عـروة بن الزبيـر قال كنـا نتذاكـر في مسجد رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعمـال أهل بـدر وبيعة الـرضوان فقـال أبو الـدرداء : ألا أخبركم بـأقـل القـوم مالاً وأكثـرهم ورعاً وأشـدهم اجتهاداً في العبـادة ، قالـوا : من ؟ قـال : علي بن أبي طلب سلام الله عليـه ، وقال : رأيتـه في حـائط بني النجار يدعو بدعوات وذكر الـدعوات إلى أن قـال : ثم انغمر في الـدعاء فلم أسمـع له حسـاً ولا حركـة ، فقلت : غلب عليه النـوم لطول السهـر

أوقظه لصلاة الفجر فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة فحركته فلم يتحرك فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون مات والله علي بن أبي طالب فأتيت منزله مبادراً أنعيه إليهم فقالت فاطمة سلام الله عليها : يا أبا الدرداء ما كان شأنه وقصته فأخبرتها الخبر فقال : هي والله يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله تعالىٰ ، ثم أتوه بماء فنضحوا على وجهه فافاق ونظر إليّ وأنا أبكي فقال لي عليه السلام : ما بكاؤك يا أبا الدرداء ؟ فقلت : بما أراه تنزله بنفسك ، فقال : كيف بك إذا رأيتني أدعى إلى الحساب وايقن أهل الجرائم بالعذاب واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ فوقفت بين يدي الملك الجبار واسلمتني الأحباء ورفضتني أهل الدنيا لكنت أشد رحمة بين يدي من لا تخفى عليه خافية فقال أبو الدرداء : ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وعن سويد بن غفلة قال : دخلت على مولاي أمير المؤمنين عليه السلام بعدما بويع بالخلافة وهو جالس على حصير صغير ليس في البيت غيره فقلت يا مولاي يا أمير المؤمنين بيدك بيت المال ولا أرىٰ في بيتك شيئاً مما يحتاج إليه البيت ، فقال عليه السلام : يابن غفلة إن البيت لا يتأثث في دار النقلة ولنا دار قد نقلنا خير متاعنا إليها وإنا عن قليل إليها صائرون ومن كلامه عليه السلام والله ما دنياكم عندي إلاّ كسفر على منهل حلوٍ وصاح بهم سائقهم فارتحلوا وما لذّاتها في عيني إلاّ كحميم أشربه غساقاً وعلقم اتجرعه زعافاً وسم اسقاه دهاقاً وقلادة من نار أرهقها خناقاً .

وفي الكافي : بإسناده عنه عليه السلام أنه قال : أن الله جعلني إماماً لخلقه وفرض عليّ التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس يقتدي بيّ الفقير بفقري ولا يُطعني الغني غناه .

وفيه : بالإسناد عن حماد بن عثمان قال : حضرت أبا عبد الله عليه السلام وقال له رجل : أصلحك الله ذكرت أن علي بن أبي طالب كان يلبس الخشن يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك ونرى عليك

اللبـاس الجديـد ، فقال إن علي بن أبي طـالب عليه السلام كان يلبس ذلـك فى زمـان لا ينكر ولـو لبس مثل ذلـك اليوم لشهـر به فخيـر لباس كان لباس أهـل زمانه ، غير أن قـائمنـا أهـل البيت إذا قـام لبس لبـاس علي وسـار بسيرة علي عليه السلام .

فـصـل
في تواضعه وحسن خلقه وحلمه وشفقته

كـان من حسن خلقه وحسن مـلاطفته وطيب عشـرته مـع أصحابـه أن أعداءه نسبوا إليه الدعابة وقالـوا : إنه أمـرؤ تلعابـة وقد ذكـرت شمائله عليه السلام فكان منها أنه عليه السلام كان بشوش الوجه وكان يفتتح كلامـه مع أصحـابه بابتسامة .

وفي المنـاقب عن الصـادق عليه السلام كـان أميـر المؤمنين يحلب ويسقي ويكنس وكانت فاطمة تطحن وتعجن وتخبز .

وفيـه باسـانيد مختلفـة أنه اشتـرى تمراً بـالكوفـة فحمله في طـرف ردائه فتبادر الناس إلى حمله وقالـوا : يا أميـر المؤمنين نحن نحمله فقال عليه السلام : رب العيال أحق بحمله .

وفيه ترجل دهاقين الأنبار له عليه السلام واسندوا بين يديـه فقال عليه السلام : مـا هذا الذي صنعتموه ؟ قالوا : خلق منا نعظم به أمراءنا ، فقـال : والله ما ينتفـع بهـذا أمراؤكم وإنكم لتشقّـون بـه على أنفسكم وتَشْقَـوْن بـــه في آخرتكم وما أخسر المشقة وراءها العقاب ومـا أربح الـراحة وراءها الأمان من النار .

وعن ابن أبي عميـــر عن هشـــام بن ســـالم عن أبي عبـــد الله عليه السلام قـال : خرج أميـر المؤمنين عليه السلام على أصحابـه وهـو راكب فمشـوا خلفـه فـالتفت إليهم فقال : ألكم حـاجة ؟ قـالـوا : لا يـا أميـر المؤمنين ولكنـا نحب أن نمشي معـك ، فقـال لهم : إنصـرفوا فـإن مشيَ المـاشي مـع

الـراكب مفسدة للراكب ومـذلة للمـاشي ، قال وركب مـرّة أُخرىٰ فمشـوا خلفـه ، فقال : انصـرفوا فـإن خفق النعال خلف أعقـاب الرجـال مفسدة لقلوب النوكى .

وعن البـاقـر عليه السلام في خبـر رجـع علي عليه السلام إلى داره في وقت القيظ فـإذا امرأة قـائمـة تقـول أن زوجي ظلمني وأخـافني وتعـدى علي وحلف ليضـربني فقال عليه السلام : يـا أمـة الله اصبـري حتى يبـرد النهـار ، ثم أذهب معـك إن شاء الله فقـالت : يشتد غضبـه عليّ فطأطـأ رأسه ثم رفعـه وهو يقول : لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقه غيـر متعتع أين منـزلك فمضى إلى بـابه فـوقف فقال : السـلام عليكم فخرج شـاب ، فقـال علي عليه السلام : يـا عبـد الله اتق الله فإنـك قد أخفتهـا وأخرجتهـا ، فقال الفتىٰ : ومـا أنت وذاك والله لأحـرقنهـا لكـلامـك ؟ فقـال أميـر المؤمنين عليه السلام : آمـرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر تستقبلني بالمنكر وتنكـر المعروف ، قـال : فـأقبل النـاس من الـطريق وهم يقـولـون سـلام عليكم يـا أميـر المؤمنين فسقط الـرجل في يـديه فقـال : يا أميـر المؤمنين أقلني في عثرتي فـوالله لأكـونن لها أرضـاً تطأني فأغمـد على سيفـه فقـال : يـا أمـة الله ادخلي منزلك ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا وشبهه .

وفي كشف اليقين : بـإسنـاده عن أبي أيـوب الأنصـاري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرض فأتتـه فاطمـة عليها السلام تعوده فلمـا رأت ما بـرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الجهـد والضعف استعبرت فبكت حتى سـال الدمـع على خديهـا ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا فاطمـة إن للـه كـرامـة إياك زوجتـك من أقدمهم إسلاماً وأكثـرهم علماً وأعـظمهم حلمـاً إن الله تعـالىٰ إطلع على أهـل الأرض اطـلاعة فـاختارني نبيـاً مرسـلاً ، ثم أطلع إطلاعـة فـاختـار منهم بعلك فأوحىٰ أن أزوجه إياك واتخذه وصياً .

وفي المنـاقب : أن أمير المؤمنين دعـا غلامـاً لـه مـراراً فلم يجبـه فخـرج فوجـده على بـاب البيت ، فقـال : مـا حملك على تـرك إجـابتي

قال : كسلت عن إجابتك وأمنت عقوبتك ، فقال عليه السلام : الحمد لله الذي جعلني ممن تأمنه خلقه إمض فأنت حر لوجه الله .

وفيه : مرت امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم فقال أمير المؤمنين : إن أبصار هؤلاء الفحول طوامح وإن ذلك سبب هبابها فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلمس أهله فإنما هي امرأة ، فقال رجل من الخوارج : قاتله الله كافراً ما أفقهه ، فوثب القوم ليقتلوه : فقال عليه السلام : رويداً إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب .

وفي العقد الفريد : لابن عبد ربه المالكي ، دخلت سودة بنت عمارة الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان بعد شهادة علي عليه السلام فجعل معاوية يؤنبها على تحريضها عليه بصفين وآل أمره إلى أن قال لها : ما حاجتك ؟ قالت : إن الله سائلك عن أمرنا وما أفترض عليك من حقنا وما زال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك ويبطش بقوة سلطانك فيحصدنا حصد النبل ويدوسنا دوس الحرمل يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف هذا بسر بن أرطأة قدم علينا فقتل رجالنا ونهب أموالنا ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فإن عزلته عنا شكرناك وإلاّ كفرناك ، فقال معاوية إياي تهددين يا سودة بقومك لقد هممت أن أحملك على قتب أشوس فاردك إليه فينفذ فيك حكمه فاطرقت سودة ساعة ثم أنشدت تقول :

صلّىٰ الإله على جسم تضمنه ... قبر فاصبح فيه الحق مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً ... فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال معاوية من هذا يا سودة قالت : هو والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والله يا معاوية لقد جئته في رجل كان قد ولاه صدقات فجار علينا فصادفته قائماً يصلّي فلما رآني انفتل من صلاته ثم أقبل عليّ برحمة ورفق ورأفة وتعطف وقال لي : ألك حاجة ؟ قلت : نعم وأخبرته الخبر ، فبكا ثم قال : اللّهمَّ أنت الشاهد عليّ وعليهم

وإني لم آمرهم بظلم خلقك ، ثم أخرج قطعة جلد فكتب فيها : ﴿بسم الله الرّحمٰن الرّحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذ لكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام . ثم دفع الرقعة إليَّ فجئت بها إلى صاحبها فانصرف عنا معزولاً ، فقال معاوية : اكتبوا لها كما تريد فكتبوا فمضت وهي تقول : وهذه من علي بن أبي طالب عليه السلام .

فصل
في شيء مما جاء في جوده وسخائه وكرمه

أجمع المفسرون على أن قوله تعالىٰ : ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية﴾الآية ، نزلت في علي عليه السلام قالوا : كان عند علي بن أبي طالب أربعة دراهم من الفضة فتصدق بواحد ليلاً وبواحد نهاراً وبواحد سراً وبواحد علانية فنزلت ﴿الذين ينفقون أموالهم﴾ إلى آخر الآية ، فسمي كل درهم مالاً وبشره بالقبول .

وعن الكلبي : فقال له النبي ما حملك على هذا ؟ قال : حملني أن أستوجب على الله ما وعدني به ، فقال له رسول الله : ألا إن ذلك لك فأنزل الله هذه الآية ، وعن (تاريخ البلاذري) و (فضائل أحمد) أنه كانت غلة على أربعين ألف دينار فجعلها صدقة وإنه باع سيفه وقال لو كان عندي عشاء ما بعته .

عن ابن عباس : في قوله تعالىٰ ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ إلى قوله : ﴿بغير حساب﴾ ، قال هو والله أمير المؤمنين وذلك أن النبي أعطىٰ علياً يوماً ثلاثمائة ديناراً أُهديت إليه قال علي : فأخذتها وقلت لأتصدقن الليلة من هذه الدنانير صدقة يقبلها الله مني ، فلما صلّيت العشاء الآخرة مع رسول الله أخذت مائة دينار وخرجت من

المسجد فإستقبلتني إمرأة فأعطيتها الدنانير فاصبح الناس بالغد يقولون تصدق علي الليلة بمائة دينار على امرأة فاجرة فاغتممت غماً شديداً ، فلما صلّيت الليلة القابلة صلاة العتمة أخذت مائة دينار وخرجت من المسجد وقلت والله لأتصدقن الليلة بصدقة يتقبلها ربي مني فلقيت رجلاً فتصدقت عليه بالدنانير فأصبح أهل المدينة يقولون تصدق علي البارحة بمائة دينار على رجل سارق فاغتممت غماً شديداً وقلت : والله لاتصدقن الليلة صدقة يتقبلها الله مني فصلّيت العشاء الآخرة مع رسول الله ، ثم خرجت من المسجد ومعي مائة دينار فلقيت رجلاً فاعطيته إياها فلما أصبحت قال أهل المدينة تصدق علي البارحة بمائة دينار على رجل غني فاغتممت غماً شديداً ، فأتيت رسول الله فأخبرته، فقال لي : يا علي هذا جبرائيل يقول لك إن الله عزّ وجلّ قد قبل صدقاتك وزكى عملك إن المائة دينار التي تصدقت بها أول ليلة وقعت في يد امرأة فاسدة فرجعت إلى منزلها وتابت إلى الله عزّ وجلّ من الفساد وجعلت تلك الدنانير رأس مالها وهي في طلب بعل تتزوج به ، وأن الصدقة الثانية وقعت في يد سارق فرجع إلى منزله وتاب إلى الله من سرقته وجعل الدنانير رأس ماله يتجر بها ، وإن الصدقة الثالثة وقعت في يد رجل غني لم يزكي ماله منذ سنين فرجع إلى منزله ووبخ نفسه وقال شحاً عليك يا نفس هذا علي بن أبي طالب تصدّق عليّ بمائة دينار ولا مال له وأنا قد أوجب الله على مالي الزكاة لأعوام كثيرة ولم أزكه فحسب ماله وأخرج زكاته كذا وكذا ديناراً وأنزل الله فيك رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الحديث .

وروى العامة والخاصة من المفسرين : أن الحسن والحسين عليهما السلام مرضاً فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعادهما عامة العرب ، فقالوا : يا أبا الحسن لو نذرت لولديك نذراً فقال عليه السلام : إن برأ ولداي صمت ثلاثة أيام شكراً لله تعالىٰ فألبسا العافية وليس عند آل محمد لا قليل ولا كثير فآجر على نفسه ليلة إلى الصبح يسقي نخلاً بشيء من شعير

وأتىٰ به إلى المنزل فقامت فاطمة إلى ثلثه فطحنته وأخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد منهم قرصاً وصلّىٰ أمير المؤمنين عليه السلام صلاة المغرب مع رسول الله ، ثم أتىٰ المنزل فوضع الطعام بين يديه فجاء مسكين فوقف بالباب وقال؛ السلام عليكم يا أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين إطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فسمعه علي فقال عليه السلام : إطعموه حصتي ، فقالت فاطمة : كذلك والباقون كذلك فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلاّ الماء القراح ، فلما كان اليوم الثاني طحنت فاطمة ثلثاً آخر إختبزته وأتىٰ أمير المؤمنين من صلاة المغرب مع رسول الله فوضع الطعام بين يديه فأتىٰ يتيم من أيتام المهاجرين وقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد أنا يتيم من أيتام المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة اطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فسمعه علي عليه السلام وفاطمة فأعطوه الطعام ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا إلاّ الماء القراح ، فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمة إلى الثلث الباقي وطحنته واختبزته وصلّىٰ علي مع النبي صلاة المغرب ، ثم أتىٰ المنزل فوضع الطعام بين يديه فجاء أسير فوقف بالباب وقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد تأسروننا ولا تطعمونا أطعمكم الله من موائد الجنة فأتى أسير محمد فسمعه علي فآثره وآثروه معه ومكثوا ثلاثة أيام بلياليها لم يذوقوا إلاّ الماء فلما كان اليوم الرابع وقد وفوا بنذرهم أخذ عليٌّ الحسن بيده اليمنىٰ والحسين بيده اليسرىٰ واقبل عليه السلام نحو رسول الله وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع ، فلما أبصرهم النبي قال : يا أبا الحسن ما أشد ما يسوء فيّ ما أرى بكم انطلق بنا إلى ابنتي فاطمة فانطلقوا إليها وهي في محرابها تصلّي وقد انطبق بطنها بظهرها من شدّة الجوع ، فلما رآها النبي قال : واغوثاه يالله أأهل بيت محمد يموتون جوعاً ؟ فهبط جبرائيل وقال : خذ يا محمد هناك الله تعالىٰ في أهل بيتك ، قال : وما آخذ يا جبرائيل ؟ قال فاقرأ هل أتىٰ على الإنسان إلى آخر السورة .

وعن تفسير الثعلبي : أيضاً أن عبد الله بن عباس كان على شفير زمزم وهو يقول : سمعت النبي يقول : وهو يكرر الأحاديث إذ أقبل رجل معتم بعمامة وقد غطىٰ بها أكثر وجهه فكان ابن عباس لا يقول قال رسول الله إلاَّ وقال ذلك الرجل قال رسول الله ، فقال له ابن عباس : بالله عليك من أنت فكشف العمامة عن وجهه وقال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله يقول : باذني هاتين وإلاَّ فصمتا ورأيته بعيني هاتين وإلاَّ فعميتا يقول عليٌّ قائد البررة ، عليٌّ قاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله ، ملعون من جحد ولايته ، أما إني صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الظهر ، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده إلى السماء وقال : اللَّهمَّ أشهدك أني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً وكان أمير المؤمنين عليه السلام راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنىٰ وكان يتختم فيها، ! فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره والنبي صلى الله عليه وآله وسلم شاهده فلما فرغ من صلاته رفع النبي رأسه إلى السماء وقال : اللَّهمَّ موسىٰ سألك فقال : رب إشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري ، اللَّهمَّ فانزلت عليه قرآناً ناطقاً سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا ، اللَّهمَّ وأنا محمد نبيك وصفيك ، اللَّهمَّ فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري ، قال أبو ذر : فما استتم كلامه حتى نزل جبرائيل من عند الله فقال : يا محمد إقرأ: **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾**ولله در الحميري حيث يقول :

من كان أول من تصدق راكعاً ... يومي بخاتمه وكان مشيراً
من ذاك قول الله **﴿إن وليكم﴾** ... بعد الرسول ليعلم الجمهورا

فـصـل
في شيء من معجزاته

في البحـار عن عمـار قـال : تبعت أميـر المؤمنين عليه السلام في بعض طـرقات المـدينـة فـإذا أنـا بـذئب أدرع أذب قـد أقبـل يهـرول حتى أتى المكـان الـذي فيـه أميـر المؤمنين وولداه الحسن والحسين عليهما السلام فجعـل الـذئب يعفر خـديه على الأرض ويـوميء بيديـه إلى أميـر المؤمنين فقـال عليٌّ : اللَّهمَّ اطلق لسان الذئب يكلمني فـاطلق الله لسان الـذئب وإذا به يقـول : السلام عليـك يا أميـر المؤمنين ، قال : وعليـك السلام من أين أقبلت ؟ قـال : من حائط بني النجـار ، قال : وأين تـريـد ؟ قـال : بلد الأنبياء البررة ، قـال عليه السلام : فبماذا قال: لأدخـل في بيعتك مـرّة أُخرىٰ ، قال عليه السلام : كأنكم قد بايعتمـونا ، قـال : صاح بنـا صائـح من السماء أن اجتمعوا فاجتمعنـا إلـى ثنيـة مـن بني إسـرائيل فنشـر فيها أعـلام بيض ورايـات خضـر ونصب فيهـا منبـر من ذهب أحمـر وعـلا عليـه جبـرائيـل فخطب خطبة بليغة وجلت منهـا القلوب وابكى منها العيـون ، ثم قال : يا معشر الوحوش إن الله عزّ وجلّ قـد دعا محمـداً فأجـابه واستخلف من بعده على عباده علي بن أبي طالب وأمركم أن تبايعوه ، فقـالوا : سمعنـا وأطعنـا ما خـلا الذئب فـإنه جحـد حقك وأنكـر معـرفتـك ، فقـال علي عليه السلام : ويحك أيها الـذئب كأنـك من الجن ، فقال :لا أنـا من الجن ولا من الإنس ولكني ذئب شـريف ، قـال عليه السلام : وكيف تكـون شـريفـاً وأنت ذئب ؟ قـال : شـريف لأني من شيعتـك وأخبـرني أبي أننـا من وُلـد ذاك الـذئب الذي إصـطاده أولاد يعقوب ، فقـالوا : هـذا أكل أخـانا بالأمس وإنه متهم .

وفيـه بـإسنـاده عن الكـاظم : أن أميـر المؤمنين كـان يسعىٰ على الصفا فإذا هـو بدراج يتـدرج على وجه الأرض فـوقع بـإزاء أمير المؤمنين فقـال : السلام عليـك أيها الـدراج ، فقال الـدراج : وعليك السـلام يا

أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال له أمير المؤمنين : أيها الدراج ما تصنع في هذا المكان ، فقال : يا أمير المؤمنين إني في هذا المكان مذ كذا وكذا عاماً أُسبح الله وأُقدسه وأُمجده وأعبده حق عبادته ، فقال عليه السلام : أيها الدراج إنه لصفا نقي لا مطعم فيه ولا مشرب فمن أين لك المطعم والمشرب فأجابه الدراج وهو يقول : وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أمير المؤمنين أني كلما جعت ذكرت ولايتكم أهل البيت فاشبع وإذا عطشت أتبرأ من أعدائكم فأروى فقال عليه السلام : بورك فيك فطار الطائر .

وعن عبد الله بن خالد بن سعيد بن العاص قال : كنت مع أمير المؤمنين وقد خرج من الكوفة فلما وصل النخيلة خرج خمسون رجلاً من اليهود وقالوا : أنت علي بن أبي طالب الإمام ؟ فقال : أنا ذا ، فقالوا : لنا صخرة في كتبنا عليها إسم ستة من الأنبياء ونحن نطلبها ولا نجدها فإن كنت إماماً أوجدها لنا ، فقال عليه السلام : اتبعوني ، قال عبد الله بن خالد فسار القوم خلف أمير المؤمنين إلى أن استبطن فيهم البر وإذا بجبل من رمل عظيم فقال عليه السلام : أيتها الريح انسفي الرمل من على الصخرة بحق اسم الله الأعظم ، فما كان إلاّ ساعة حتى نسفت الريح الرمل وظهرت الصخرة ، فقال : هذه صخرتكم ، فقالوا : عليها اسم ستة من الأنبياء على ما سمعنا وقرأنا في كتبنا ولسنا نرى عليها الأسماء ؟ فقال : أما الأسماء التي عليها فهي في وجهها الذي على الأرض فاقلبوها فاعصوصب عليها ألف رجل حضروا فما قدروا على قلبها ، فقال عليه السلام : تنحوا عنها فمد يده إليها فقلبها فوجدوا عليها إسم ستة من الأنبياء عليهم السلام أصحاب الشرائع : آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسىٰ وعيسىٰ ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال النفر اليهود : نشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله وأنك أمير المؤمنين وسيّد الوصيين وحجة الله في أرضه من عرفك سعد ونجىٰ ومن خالفك ضل وغوىٰ وإلى الحميم هوىٰ جلّت مناقبك عن التحديد وكثرت آثار نعمتك عن

التعديد .

وفي كتب عديدة أنه لما جاءت فضة إلى بيت فاطمة عليها السلام وكانت هي بنت ملك من ملوك الحبشة وقيل بنت ملك الهند وكان عندها ذخيرة من الإكسير فلم تجد في بيت علي عليه السلام إلاَّ السيف والدرع والرحىٰ فأخذت قطعة من النحاس وألانتها وجعلتها على هيئة سبيكة وألقت عليها الدواء وصبغتها ذهباً فلما جاء أمير المؤمنين وضعتها بين يديه ، فلما رآها قال : أحسنت يا فضة لو أذبت الجسد لكان الصبغ أعلا والقيمة أغلا ، فقالت : يا سيدي تعرف هذا العلم ؟ قال : نعم وهذا الطفل يعرفه وأشار إلى الحسين عليه السلام فجاء وقال كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال لها أمير المؤمنين : عند ذلك يا فضة نحن نعرف أعظم من هذا ثم أومىٰ بيده فإذا عنق من ذهب وكنوز الأرض سابرة ، فقال يا فضة ضعيها مع أخواتها فوضعتها فسارت فقال عليه السلام : يا فضة إنا ما خُلقنا لهذا الحطام .

وعن كتاب بشارة المصطفىٰ : بسنده عن عبد الواحد بن زيد قال : خرجت إلى مكة فبينما أنا أطوف فإذا أنا بجارية خماسية وهي متعلقة بستارة الكعبة وهي تخاطب جارية مثلها وهي تقول : لا وحق المنتخب بالوصية ، والحاكم بالسوية ، والعادل في القضية ، زوج فاطمة المرضية ما كان كذا وكذا ، فقلت لها : يا جارية من صاحب هذه الصفة ؟ قالت : ذلك والله علم الأعلام وباب الأحكام وقسيم الجنة والنار ورباني هذه الأُمة ورأس الأئمَّة أخو النبي ووصيه وخليفته في أُمته مولاي علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت لها : يا جارية بما يستحق علي منك هذه الصفة ؟ قالت : كان أبي والله مولاه فقتل بين يديه يوم صفين ، ولقد دخل يوماً على أُمي وهي في خبائها وقد ارتكبني وأخاً لي من الجدري ما ذهب به أبصارنا فلما رآنا تأوه وأنشأ يقول :

ما أن تأوهت في شيء رزبت به كما تأوهت للأطفال في الصغر
قد مات والدهم من كان يكفلهم في النائبات وفي الأسفار والحضر

ثم أدنانا إليه ثم أمر يده المباركة على عيني وعيني أخي ، ثم دعا بدعوات ثم شال يده فها أنا والله انظر إلى الجمل على فرسخ ، كل ذلك ببركته فحللت خريطتي فدفعت إليها دينارين بقية نفقة كانت معي فتبسمت في وجهي فقالت : خلفنا أكرم سلف على خير خلف ، فنحن اليوم في كفالة أبي محمد الحسن بن علي ، قالت : أتحب علياً ؟ قلت : أجل ، قالت : أبشر فقد استمسكت بالعروة الوثقىٰ التي لا انفصام لها ، ثم ولت وهي تقول :

ما بث حب عليّ في ضمير فتى إلاَّ له شهدت من ربه النعم
ولا له قدم زلّ الزمان بها إلاَّ له ثبتت من بعدها قدم
ما سرني أنني من غير شيعته وإن لي ما حواه العرب والعجم

وفي المناقب : عن عمار الساباطي قال : قدم أمير المؤمنين المدائن فنزل بإيوان كسرىٰ وكان معه دلف بن بحير ، فلما صلّى وقام قال لدلف : قم معي وكان معه جماعة من أهل ساباط فما زال يطوف منازل كسرىٰ ويقول لدلف كان لكسرى في هذا المكان كذا وكذا ، ويقول دلف هو والله كذلك فما زال كذلك حتى طاف المواضع بجميع من كان عنده ودلف يقول يا سيدي ومولاي كأنك وضعت هذه الأشياء في هذه المساكن ، ثم نظر علي عليه السلام إلى جمجمة نخرة فقال عليه السلام لبعض أصحابه : خذ هذه الجمجمة ، ثم جاء إلى الإيوان وجلس فيه ودعا بطشت فيه ماء فقال للرجل : دع هذه الجمجمة في الطشت ، ثم قال : أقسمت عليك يا جمجمة أخبريني من أنا وأنت ؟ فقالت الجمجمة بلسان فصيح : أما أنت فأمير المؤمنين وإمام المتقين وسيّد الوصيين ، وأما أنا فعبد الله وابن أمة الله كسرى أنوشيروان ، فقال له أمير المؤمنين : كيف حالك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين كنت ملكاً عادلاً

شفيقاً على الرعـايا لا أرضى بـظلم ولكني كنت على دين المجوس وقـد وُلـد محمد ﷺ في زمـان ملكي فسقـطت من شـرفـات قصـري ثـلاثـة وعشرون شرفة ليلة وُلد ، فهممت أن أؤمن من كثرة ما سمعت من أنـواع شرفه وفضله ومرتبته وعزه في السماوات والأرض ، ومن شـرف أهل بيتـه ولكني تغـافلت عنه وتشـاغلت منه في الملك فيـا لهـا من نعمـة ومنـزلـة ذهبت مني حيث لم أؤمن فأنا محـروم من الجنة لعـدم إيماني ولكني مـع هذا الكفر خلصني الله تعالىٰ من النار ببـركة عـدلي وإنصافي بين الـرعية وأنا في النار والنـار محرمـة علي فواحسـرتا لـو آمنت لكنت معك يـا سيّد أهل البيت ويا أمير أمة محمـد ﷺ قال : فبكى النـاس وانصرف القـوم الـذين كانـوا من أهل سـاباط إلى أهليهم وأخبـروهم بما كـان وما جـرى فاضطربوا واختلفوا في معنى أميـر المؤمنين فقال المخلصـون منهم : أن أميـر المؤمنين عبـد الله وابن عبـده ووليـه ووصي رسـول الله ﷺ وقـال بعضهم : بـل هو النبي ، وقـال بعضهم : بل هـو الرب وقـالوا لـولا أنـه الـرب كيف يحيي المـوتىٰ قـال : فسمـع أميـر المؤمنين بـذلك فضـاق صـدره فـأحضـرهم وقـال : يـا قـوم غلب عليكم الشيـطان إن أنـا إلاّ عبـد الله أنعم عليّ بإمـامته وولايتـه ووصاية رسـولـه ﷺ فـارجعـوا من الكفـر فأنـا عبد الله وابن عبـده ومحمد خيـر مني وهو أيضـاً عبد الله وإن نحن إلاّ بشـر مثلكم فخرج بعضهم من الكفـر وبقي قوم على الكفـر وما رجعـوا فألـح أمير المؤمنين عليهم بـالرجـوع فما رجعـوا فأحـرقهم بالنـار وتفرق قوم منهم في البلاد ، وقالوا : لولا أن فيه الربـوبية مـا كان أحـرقنا بالنار فنعوذ بالله من الخذلان .

وفي خرائج الراندي : أنـه اختصم رجل وإمرأة إلى أمير المؤمنين فعلا صوت الرجل علي المـرأة فقال لـه عليّ عليه السلام : إخسأ يا كلب وكان ذلـك الرجـل خـارجياً فـإذا رأسـه رأس كلب ، فقـال رجـل : يـا أميـر المؤمنين صحت بهـذا الخارجي فصـار رأسه رأس كلب فمـا يمنعك عن معـاويـة ؟ فقـال : ويحـك لـو أشـاء أن آتي معـاويـة إلى هٰهنـا من على

سـريـره لـدعـوت الله حتى فعـل ولكن لله خـزانـاً لا على ذهب ولا على فضـة ولكن على أسرار تـدبيـر الله ، أمـا تقـرأ بـل عبـادك مكـرمـون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وفي روايـة قال : إنمـا أدعوهم لثبـوت الحجة وكمال المحنة ولو أذن في الدعاء بهلاك معاوية لما تأخر .

وفيـه عن ابن عمر قـال : أتهم على رجلاً يُقـال لـه الغبـراء بـرفـع أخباره إلى معاوية فأنكر ذلك وجحده فقال : اتحلف بـالله أنك مـا فعلت ذلـك ؟ قال : نعم وبـدر فحلف فقـال لـه أميـر المؤمنين عليه السلام : إن كنت كـاذباً أعمى الله بصـرك فما دارت الجمعـة حتى أخـرج أعمى يقـاد وقـد أذهب الله عينيه .

وفي البحار : عن المغربي قـال : كنت مع أميـر المؤمنين وقد أراد حـرب معاويـة فنـظر إلى جمجمـة في جـانب الفـرات وقـد أتـت عليهـا الأزمنة فمر عليها فدعاها فاجابتـه بالتلبيـة وتدحـرجت بين يديـه وتكلمت بكـلام فصيح فـأمرهـا بالـرجوع فـرجعت إلى مكـانهـا ، فلمـا فـرغ من حرب النهروان أبصرنا جمجمة نخرة بالية فقال : هاتـوها فحـركها بسـوط وقـال : أخبرني من أنت ؟ فقيـر أم غني شقي أم سعيـد ملك أم رعيـة ، فقـالت بلسان فصيـح : السلام عليـك يـا أميـر المؤمنين أنـا كنت ملكـاً ظالماً وأنا برويـز بن هرمـز ملك الملوك ملكت مشارقهـا ومغاربهـا سهلها وجبلها بـرّها وبحرها أنا الذي أخذت ألف مـدينة في الـدنيا وقتلت ألف ملك من ملوكهـا يـا أميـر المؤمنين أنـا الـذي بنيت خمسين مـدينـة وافتضضت ألف جـاريـة بكـراً واشتـريت ألف عبـد تـركي وألف أرمني وألف زنجي وتـزوجت بسعين من بنـات الملوك ومـا ملك في الأرض إلاّ غلبته وظلمت أهله فلما جاءني ملك الموت قـال لي : يا ظـالم يا طـاغي خالفت الحق فتزلـزت أعضائي وارتعـدت فرائصي وعـرض على أهـل حبسي فإذا هم سبعـون ألفاً من أولاد الملوك وقـد شقـوا من حبسي فلمـا رفع ملك المـوت روحي سكن أهل الأرض من ظلمي فـأنا معـذب في النـار أبد الآبـدين فوكـل الله بي سبعين ألفاً من الـزبانيـة في يد كـل

منهم مرزبة من النار فلو ضربت بها جبال الأرض لاحترقت فتدكدكت ، وكلما ضربني الملك بواحدة من تلك المرازب اشتعلت بي النار واحترقت فيحييني الله ويعذبني بظلمي على عباده وكذلك وكلّ الله تعالىٰ بعدد كل شعرة في بدني حية تلسعني وعقرباً تلدغني فتقول لي الحيات والعقارب هذا جزاء ظلمك على عباد الله ، ثم سكنت الجمجمة وبكى جميع عسكر أمير المؤمنين وضربوا على رؤوسهم وقالوا : يا أمير المؤمنين جهلنا حقك بعدما أعلمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما خسرنا حظنا ونصيبنا فيك وإلاّ أنت ما ينقص منك شيء فاجعلنا في حل مما فرطنا فيك ورضينا بغيرك على مقامك فأنا نادمون فأمر عليه السلام بتغطية الجمجمة فعند ذلك وقف ماء النهروان من الجري وصعد على الماء كل سمك وحيوان كان في النهر فتكلم كل واحد منهم مع أمير المؤمنين ودعا له وشهد بإمامته .

وفيه عن المناقب : عن كتاب العلوي البصري : إن جماعة من اليمن أتوا النبي فقالوا : نحن من بقايا الملل المتقدمة من آل نوح وكان لنبينا وصي إسمه سام وأخبر في كتابه أن لكل نبي معجزاً وله وصي يقوم مقامه فمن وصيك ؟ فأشار صلى الله عليه وآله وسلم بيده نحو عليّ فقالوا : يا محمد إن سألناه أن يرينا سام بن نوح يفعل فقال صلى الله عليه وآله وسلم : نعم بإذن الله ، وقال: يا علي قم معهم إلى داخل المسجد واضرب برجلك عند المحراب فذهب علي وبأيديهم صحف إلى أن دخل إلى محراب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم داخل المسجد فصلّى ركعتين ، ثم قام وضرب برجله الأرض فانشقت الأرض وظهر لحد وتابوت فقام من التابوت شيخ يتلألأ وجهه مثل القمر ليلة البدر وينفض التراب من رأسه وله لحية إلى سرته وسلّم على أمير المؤمنين . ثم قال : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله سيّد المرسلين وإنك علي وصي محمد سيد الوصيين وأنا سام بن نوح فنشر أولئك صحفهم فوجدوه كما وصفوه في الصحف ، ثم قالوا: نريد أن يقرأ من كل صفحة سورة فأخذ في قراءتها حتى أتم السورة ثم سلّم على علي عليه السلام ونام كما كان فانضمت الأرض ،

فقالوا بأسرهم : يا أبا الحسن (إن الدين عند الله الإسلام) وآمنوا فأنزل الله ﴿أم اتخذ وامن دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتىٰ﴾الآية .

وفي الخرائج : روى أن خارجياً اختصم مع آخر إليه فحكم بينهما فقال الخارجي : ما عدلت في القضية ، فقال : إخسأ يا عدو الله فاستحال كلباً وطار ثيابه في الهواء فجعل يبصبص وقد دمعت عيناه فرق له علي ودعا فأعاده الله تعالىٰ إلى حال الإنسانية وتراجعت ثيابه من الهواء إليه ، فقال : إن اصف وصي سليمان قص الله عنه بقوله : قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك أيهما أكرم نبيكم أم سليمان على الله عزّ وجلّ ؟ فقيل فما حاجتك في قتال معاوية إلى الأنصار ؟ فقال : إنما أدعو الناس إلى هؤلاء بثبوت الحجة وكمال المحنة ولو أذن لي في الدعاء بهلاكهم لما تأخرت .

وروي أنه كان جالساً مع جماعة في مسجد الكوفة فجاءه الناس يشكون إليه زيادة الفرات وطغيان الماء فنهض عليه السلام وقصد الفرات حتى وقف بموضع يُقال له باب المروحة وأخذ القضيب بيده اليمنىٰ ثم حرك شفتيه بكلام لا يفهم وضرب بالقضيب الماء ضربة فهبط نصف ذراع ، فقالوا : يكفي يا أمير المؤمنين ثم ضربه ثانية فهبط نصف ذراع آخر ، فقالوا : يكفي ، فقال : والذي فلق الحبة لو شئت لبينت الحيتان في قراره .

وعن يحيىٰ بن عبد الله بن الحارث عن أبيه قال : حدّثني سلمان الفارسي رحمه الله قال : كنا مع رسول الله في يوم مطير ونحن ملتفتون نحوه فهتف هاتف السلام عليك يا رسول الله فرد عليه السلام وقال : من أنت ؟ قال : عرفطة بن شمراخ أحد بني نجاح ، قال : أظهر لنا رحمك الله في صورتك ، قال سلمان : فظهر لنا شيخ أذب أشعر قد لبس وجهه شعر غليظ متكاثف قد واراه وعيناه مشقوقتان طولاً وفمه في

صدره فيه أنياب بادية طوال وأظفار كمخالب السباع ، فقال الشيخ: يا نبي الله إبعث معي من يدعوا قومي إلى الإسلام وأنا أرد ماليك سالماً ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أيكم يقوم معه فيبلغ الجن عني وله الجنة ؟ فلم يقم أحد فقال ثانية وثالثة ، فقال علي عليه السلام: أنا يا رسول الله فالتفت النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشيخ فقال : وافني في الحرة في هذه الليلة أبعث معك رجلاً يفصل حكمي وينطق بلساني ويبلغ الجن عني قال : فغاب الشيخ ثم أتىٰ في الليل وهو على بعير كالشاة ومعه بعير آخر كارتفاع الفرس فحمل النبي علياً وحملني خلفه وعصب عيني وقال لا تفتح عينك حتى تسمع علياً يؤذن ولا يروعك ما تسمع فإنك آمن فثار البعير فدفع سائراً يدف كدفيف النعام وعلي يتلو القرآن فسرنا ليلتنا حتى إذا طلع الفجر أذن علي وأناخ البعير وقال : يا سلمان أنزل فحللت عيني ونزلت وإذا أرض قوراء فأقام للصلاة وصلّى بنا ولم أزل أسمع الحسن حتى إذا سلم التفت فإذا خلق عظيم وأقام علي يسبح ربه حتى طلعت الشمس ، ثم قام خطيباً فخطبهم فاعترضته مردة منهم فأقبل علي فقال : بالحق تكذبون ، وعن القرآن تصدقون ، وبآيات الله تجحدون ، ثم رفع طرفه إلى السماء فقال : اللّهمَّ بالكلمة العظمىٰ والأسماء الحسنىٰ والعزائم الكبرىٰ والحي القيوم ومحيي الموتىٰ ومميت الأحياء ورب الأرض والسماء يا حرسة الجن ورصدة الشياطين وخدام الله الشر هالبين وذوي الأرحام الطاهرة اهبطوا بالجمرة التي لا تطفىء والشهاب الثاقب والشواظ المحرق والنحاس القاتل ﴿بكهيعص﴾ والطواسين والحواميم ويس ونون والقلم وما يسطرون والذاريات والنجم إذا هوىٰ والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور وأقسام العظام ومواقع النجوم ، لما أسرعتم الإنحدار إلى المردة المتولقين المتكبرين الجاحدين آثار رب العالمين قال سلمان : فاحسست بالأرض من تحتي ترتعد وسمعت في الهواء دوياً شديداً ثم نزلت نار من السماء صعق كل من رآها من الجن وخرت على وجهها وسقطت على

وجهي فلما أفقت وإذا دخان يفور من الأرض فصاح بهم عليّ ارفعوا رؤوسكم فقد أهلك الله الظالمين ، ثم دعا إلى خطبته فقال : يا معاشر الجن والشياطين والغيلان وبني شمراخ وآل نجاح وسكان الآجام والرمال والقفار اعلموا أن الأرض قد ملئت عدلاً كما كانت مملوءة جوراً هذا هو الحق ، فماذا بعد الحق إلاّ الضلال فأنا تصرفون ، فقالوا آمنا بالله ورسوله ورسول رسوله فعلمهم أحكامهم بعدما أخذ عليهم البيعة ، ورجعنا إلى المدينة ، فلما دخلنا المدينة ، قال النبي : ماذا صنعت ؟ قال : أجابوا وقص عليه خبرهم ، فقال : لا يزالون كذلك هايبين إلى يوم القيامة وأخذ البيعة على الجن بوادي العقيق بأن لا يظهروا في رخاء منا وفي جوار المسلمين وقضى منه ومن رسول الله فشكت الجن مأكلهم فقال : أو ليس قد أبحت لكم النثيل والعظم ، فقالوا : بلى يا أمير المؤمنين على أن لا نستجمر بها ، فقال : لكم ذلك ، فقالوا يا أمير المؤمنين فإن الشمس تضر بأطفالنا فأمر عليه السلام الشمس أن ترجع فرجعت وأخذ عليها العهد وان لا تضر بأولاد المؤمنين من الجن والانس .

وفي كتاب الخرائج والجرائح للراوندي (ره) : كان أمير المؤمنين قائماً على المنبر إذ أقبلت حية من باب الفيل مثل النجيتي العظيم فناداهم علي أفرجوا لها فإن هذا رسول قوم من الجن ففرجوا لها فوضعت فمها قريباً من أذنه فاصغىٰ لها سويعة ، ثم مضت فقال عليه السلام : إن هذا رسول قوم من الجن أخبرني أنه وقع بين بني عامر وغيرهم شر وقتال فبعثوه لآتيهم وأصلح بينهم فوعدته أني آتيهم الليلة ، قالوا : أتاذن لنا أن نخرج معك ؟ قال : ما أكره ذلك فلما صلّىٰ بهم العشاء الآخرة انطلق بهم حتى أتىٰ ظهر الكوفة قبل الغري فخط حولهم خطة وقال : إياكم أن تخرجوا من هذه الخطة فإنه أن يخرج منكم أحد من هذه الخطة يخطف فقعدوا في الخطة ينظرون وقد نصب له منبر فصعد عليه فخطب خطبة لم يسمع الأولون والآخرون مثلها ثم لم يبرح حتى

أصلح ذات بينهم ورجع إلى أصحابه ودخلوا جميعاً البلد .

وفي بصائر الدرجات للصفار (ره) : بإسناده عن أبي عبد الله بينما رسول الله جالس إذ أتاه رجل طويل كأنه نخلة فرّد عليه السلام وقال له : شبه الجن وكلامهم من أنت يا عبد الله ؟ فقال : أنا الهام بن هيم بن لاقيس بن إبليس ، فقال رسول الله : ما بينك وبين إبليس إلاّ أبوان ؟ فقال : نعم يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : كما أتى لك ؟ قال : أكلت عمر الدنيا إلاّ أقله أنا أيام قتل قابيل هابيل غلام أفهم الكلام وانهىٰ عن الاعتصام وأطرق الأجام وآمر بقطيعة الأرحام وأفسد الطعام ، فقال له رسول الله : بئس سيرة الشيخ المتأمل والغلام المقبل ، فقال هام : يا رسول الله أني تائب ، قال له : على أيدي من جرت توبتك من الأنبياء ؟ قال : على أيدي نوح وكنت معه في سفينته وعاينته على دعائه على قومه حتى بكىٰ وأبكاني ، وقال لا جرم إني على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ، ثم كنت مع إبراهيم حين كاده قومه فألقوه في النار فجعلها عليه برداً وسلاماً ، ثم كنت مع يوسف حين حسده أخوته فألقوه في الجب فبادرته إلى قعر الجب فوضعته وضعاً رفيقاً ، ثم كنت معه في السجن أونسه فيه حتى أخرجه الله منه ، ثم كنت مع موسىٰ وعلمني سفراً من التوراة ، وقال إذا ادركت عيسىٰ فاقرئه مني السلام ، ثم كنت مع عيسىٰ وعلمني سفراً من الإنجيل وقال إذا أدركت محمداً فاقرئه مني السلام ، فقال النبي : وعلى عيسىٰ روح الله مني السلام وعليك يا هام بما بلّغت السلام فادفع إلينا حوائجك ، فقال : حاجتي أن يبقيك الله آية لأمتك ويصلحهم لك ويرزقهم الإستقامة لوصيك من بعدك فإن الأمم السالفة إنما هلكوا بعصيان الأوصياء وحاجتي يا رسول الله أن تعلمني سوراً من القرآن أصلّي بها ، فقال : يا علي علّم هاماً وأرفق به ، فقال هام : يا رسول الله من هذا الذي ضمنتني إليه إنا معشر الجن أمرنا أن لا نكلم إلاّ نبياً أو وصي نبي ، فقال له رسول الله : يا هام من وجدتم

في الكتـاب وصي محمد فـإن في التـوراة (إليـا) قـال رسـول الله : هـذا علي وصيي ، قـال هام : يـا رسول الله فله اسم غيـر هذا ؟ قـال : نعم حيدرة فلم تسألني عن ذلك ؟ قال : إنـا وجدنـا في كتاب الأنبيـاء أن في الإنجيـل هيدار ، قـال : هو حيـدرة . قال : فعلمـه علي عليه السلام سوراً من القـرآن ، فقال هـام : يـا وصي محمـد أكتفي بمـا علمتني من القـرآن ، قال : نعـم يا هـام قليل من القـرآن كثير ، ثم قـام إلى النبي فودعـه فلم يعد حتى قبض .

وبـأسانيـد عديـدة روي من الطريقين العـامة والخـاصة : أنـه لمـا رجـع أمير المؤمنين من قتـال الخوارج صلّىٰ عليه السلام بـالناس صـلاة الـظهـر فـرحلوا ودخلوا أرض بابـل ، وقد وجبت صـلاة العصر فصـاح الناس يـا أميـر المؤمنين هذا وقت العصـر ، فقـال : إن هـذه أرض مخسـوف بهـا وقد خسف بها ثـلاث مرّات وعليـه تمام الـرابعة فـلا يحل لنبي أو وصي نبي أن يصلّي بهـا فمن شـاء منكم أن يصلّي فليصل فقـال المنـافقـون منهم : نعم هو لا يصلّي ويقتل من يصلّي يعنون بذلـك أهل النهـروان ، قـال جويـرية بن مسهـر العبدي فتبعتـه في مائـة فـارس وقلت : والله لا أُصلّي أو يصلّي هـو وإلاّ قلّدتـه صـلاتي اليوم ، فقـال أميـر المؤمنين : اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير فسـار إلى أن قطع أرض بـابل وقـد تـدلت الشمس للغـروب ، ثم غـابت واحمـر الأفق ، قـال فـالتفت إليَّ وقـال : يا جـويريـة هات المـاء ، قال فقـدّمت إليه الإنـاء فتـوضـأ ، ثم قـال : إذن يـا جـويريـة ، فقلت : يـا أميـر المؤمنين مـا وجب وقت العشـاء ، فقـال : قُم وأذن للعصـر ، فقلت في نفسي : كيف يقول أذن للعصـر وقد غـربت الشمس ولكن عليَّ الـطاعـة فـأذنت فقـال لي : أقم ففعلت ولم افـرغ من الإقامـة إذ تحركت شفتـاه بكلام كـأنما هـو منـطق طيـر أو خطاطيف لم أفهمـه فرجعت الشمس بصـرير عـظيم حتى وقفت في مركزها من العصر فقالم عليه السلام وكبَّر وصلّىٰ وصلّينـا وراءه فلما فرغ من صـلاتـه وقفت الشمس كـأنهـا سـراج في وسط مـاء وغـابت واشتبكت

النجـوم وازهرت فـالتفت إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقـال لي : يا جـويـريـة ابن مسهر العبدي أذن الآن لصلاة العشاء يا ضعيف اليقين .

يقـول : العبد الفقيـر لرحمـة ربه جعفـر بن الحـاج محمـد نقـدي عفىٰ عنه وردت له في حياة النبي بمكة وقـد كان النبي قـد غشيه الـوحي فوضع رأسه في حجر أميـر المؤمنين وحضر وقت العصـر ، فلم يبرح من مكـانـه ومـوضعـه حتى غـربت الشمس فـاستيقظ النبي وقـال : اللّهمّ إن علياً كان في طـاعتك فـرد عليه الشمس ليصلّي العصـر فردهـا الله تعالىٰ عليـه بيضاء نقيـة حتى صلّىٰ ، ثم غابت وقـال السيد الحميـري في ذلك من قصيدته المعروفة بالمذهبة :

خير البرية بعد أحمد من له	مني الولا وإلى بنيه تـقربي
ردت عليه الشمس لما فـاته	وقت الصّلاة وقد دنت للمغرب
حتى تبلج نـورها من وقتهـا	للعصر ثم هوت هوىٰ الكوكب
وعليـه قد ردت ببـابـل مـرّة	أُخرىٰ وما ردت لخلق معرب
إلاّ ليـوشـع أولاً ولحبسهـا	ولـردها تـأويل أمـر معجب

قـال : جعفر بن محمـد نقدي عفي عنـه وهٰهنا حكـاية ذكـرها ابن الجـوزي في كتابـه بعـد نقـل الخبـر قـال : وفي البـاب حكـايـة عجيبـة حـدّثني بها جمـاعة من مشـايخنـا بـالعـراق أنهم شـاهـدوا أبـا المنصـور المظفر بن أردشير الواعظ ذكـر بعد العصـر هذا الحـديث ونمقه بـألفاظـه وذكـر فضائـل أهل البيت عليهم السلام فغـطت سحابـة الشمس حتى ظن النـاس أنها قد غابت ، فقام على المنبر وأومى إلى الشمس وأنشد :

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي	مـدحي لآل المصطفىٰ ولنجله
وارخي عنانك إن أردت ثنائهم	فـأثبت أن كان الـوقـوف لأجله
إن كان للمولى وقـوفك فليكن	هـذا الـوقـوف لخليله ولـرجله

قالوا : فانزاحت السحابة عن الشمس وذكـر هذه الحكـاية العـلامة الحلي طـاب ثـراه في (كشف اليقين) إلاّ أنـه قـال : إن الشمس كـانت

قاربت الغروب وأنها وقفت في السماء حتى انقضى المدح وكان ذلك بمحضر جماعة كثيرة تبلغ حد التواتر واشتهرت هذه القصة عند الخواص والعوام .

وعن أبي ذر الغفاري قال : قال رسول الله لعلي إذا كان غداً وقت طلوع الشمس سر إلى جانب البقيع وقف على نشز من الأرض فإذا بزغت الشمس سلّم عليها فإن الله تعالىٰ أمرها أن تجيبك ، فلما كان من الغد خرج أمير المؤمنين ومعه أبو بكر وعمر وجماعة من المهاجرين والأنصار حتى أتىٰ البقيع ووقف على نشز من الأرض فلما طلعت الشمس قال صلوات الله عليه : السلام عليك يا خلق الله الجديد المطيع له فسمه دوياً من السماء وقائلاً يقول : السلام عليك يا أوّل يا آخر يا ظاهر يا باطن يا من هو بكل شيء عليم ، فسمع الناس كلام الشمس فصعقوا ، ثم أفاقوا بعد ساعة وقد انصرف أمير المؤنين عليه السلام من ذلك المكان فاتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : يا رسول الله إنا نقول أن علياً بشر مثلنا والشمس تخاطبه بما يخاطب به الباري نفسه ؟ فقال النبي : فما أنتم سمعتموه ؟ قالوا : سمعنا الشمس تقول كذا وكذا سمعنا تقول يا أوّل ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم قالت الصدق هو أوّل من آمن بي ، قالوا : سمعناها تقول يا آخر ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : قالت الصدق هو آخر الناس عهداً بي يغسلني ويكفنني ويدخلني قبري ، قالوا : سمعنا تقول يا ظاهر ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : قالت الصدق هو الذي أظهر علمي ، قالوا سمنا تقول : يا باطن ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : قالت الصدق هو الذي بطن سري كله ، قالوا سمعنا تقول : يا من هو بكل شيء عليم ، قال : قالت الصدق هو أعلم بالحلال والحرام والسنن والفرائض وما يشاكل ذلك ، فقاموا وقالوا : لقد أوقعنا محمد في الطخياء وخرجوا من باب المسجد ولله درّ أبي محمد العوني حيث يقول في ذلك :

أمامي كليم الشمس راجع نورها فهل لكليم الشمس يا قوم من مثل

وقــال كشاجــم :

ومن دخــا لقـنــا شمســه عليـه وقـد جنحت للطفــل
ولــو لم تعـد كــان في بـه وفي وجهـه عن سناهـا بدل

وقال أبو الفضل الميكالي :

من ذا له شمس النهار تراجعت بعد الأفول وقد تقضي المطلع
حتى إذا صلّىٰ الصـلاة لوقتهـا أفلت ونجم عشا الأخيرة يطلع
في دون ذلـك لـلأنـام كفـايـة من فضله ولذي البصيرة مقنـع

وقال الأصفهاني ، وقيل هو الصاحب :

أمن عليه الشمس ردت بعدمـا أكسىٰ الظلام معاطف الجزران
حتى قضىٰ ما فات من صـلاته في دبـر يـوم مشــرق ضحيـان
والناس من عجب رأوه وعاينـوا يتـرججـون تـرجـج السكــران
ثم انثنت لمغـيبـهــا منـحــطة كـالسهم طار بـريشة الـظهـران

فـصــل
في حديث تزويجه بالزهراء

في كتاب كشف اليقين قال ابن عباس : كانت فـاطمة بنت رسـول الله لا يـذكرهـا أحد لـرسول الله إلاَّ أعـرض عنه وقـال : أتوقـع الأمر من السمـاء إن أمـرهـا إلى الله تعـالىٰ ، فقـال سعـد بن معــاذى الأنصـاري لعلي بن أبي طـالب : إني والله مـا أرىٰ النبي يـريـد بهـا غيـرك ، فقـال لـه : ما أنـا بذي دنيـاً يلتمس ما عنـدي وقـد علم هـو مـالي حمـراء ولا بيضـاء ، فقال لـه سعد : أعـزم عليك لتفعلن ، فقـال : ماذا أقـول ؟ فقـال : تقوم جئتـك خاطبـاً إلى الله وألى رسولـه فاطمـة بنت محمـد ، فـانطلق علي إليـه صلى الله عليه وآله وسلم فقـال لـه : كـأن لـك حـاجـة ؟ قـال : أجـل ، فقـال : هات . قال: جئتك خـاطبـاً إلى الله وإلى رسـولـه فـاطمـة بنت محمـد ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : مـرحباً وحبـاً ، فقال عليه السلام ذلـك لسعـد ، فقـال :

أنكحك ابنته أنه لا يخلف ولا يكذب فدعا رسول الله ﷺ تلك الليلة بلالاً فقال : إني قد زوجت فاطمة إبنتي بإبن عمي وأنا أحب أن يكون من أخلاق أُمتي الطعام عند النكاح أذهب يا بلال إلى الغنم فخذ شاة وخمسة أمداد خبز فاجعل لي قطعة فلعليّ أجمع عليها المهاجرين والأنصار ، ففعل ثم دعا الناس فأكل الجميع ، ثم قال : يا بلال إحملها إلى أُمهاتك فقل لهن كلن واطعمن من عيشكن ففعل ، ثم أن النبي ﷺ دخل على النساء وقال : إني قد زوجت إبنتي بإبن عمي وإني دافعها إليه فدونكن ابنتكنٍ فقمن إلى الفتاة فعلقن عليها منٍ حليهن وطيبنها وجعلن في بيتها فراشا حشوه ليف ووسادة وكساء خيبريا ومركناً وجراراً ومطهرة للماء وستر صوف رقيق وكان ﷺ بعث سلمان وبلالاً ليشتريا لها ذلك كله ، فلما وضع بين يديه بكىٰ وجرت دموعه ، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللَّهمَّ بارك لقوم جل آنيتهم الخزف ثم أن رسول الله ﷺ هتف بفاطمة ، فلما رأت زوجها مع رسول الله بكت فأخذ النبي بيدها ويد علي فلما أراد أن يجعل كفها في كف علي بكت فقال النبي ﷺ : ما زوجتك من نفسي بل الله تعالىٰ تولىٰ تزويجك في السماء كان جبرائيل عليه السلام الخاطب والله تعالىٰ الولي وأمر شجرة طوبىٰ فحملت الحلي والحلل والدر والياقوت ، ثم نثرته وأمر الحور العين فإجتمعن فلقطن فهن يتهادينه إلى يوم القيامة ويقلن هذا نثار فاطمة وقد زوجتك خير أهلي لقد زوجتك سيداً في الدنيا وسيّداً في الآخرة ومن الصالحين وأمكنه من كفها وقال لهما : إذهبا إلى بيتكما جمع الله بينكما واصلح بالكما ولا تهيجا شيئاً حتى أتيكما فامتثلا حتى جلسا مجلسهما وعندهما أُمهات المؤمنين وبينهن وبين علي حجاب وفاطمة مع النساء ، ثم أقبل النبي ﷺ فدخل وخرج النساء مسرعات سوى أسماء بنت عميس وكانت قد حضرت وفاة خديجة ، فبكت فقالت : أتبكين وأنت سيدة نساء العالمين وأنت زوجة النبي ومبشرة على لسانه بالجنة ، فقالت : ما لهذا بكيت ولكن المرأة

ليلة زفافها لا بد لها من إمرأة تفضي إليها بسرها وتستعين بها على حوائجها وفاطمة حديثة عهد بصباً وأخاف أن لا يكون لها من يتولىٰ أُمورها حينئذٍ قالت أسماء بنت عميس فقلت : يا سيدتي لك عليَّ عهد الله لئن بقيت إلى ذلك اليوم أن أقوم مقامك في هذا الأمر ، فلما كانت تلك الليلة وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم النساء بالخروج فخرجن وبقيت فلما أراد الخروج رأى سوادى فقال : من أنت ؟ فقلت أسماء بنت عميس ، قال : ألم آمرك أن تخرجي ؟ فقلت : بلى يا رسول الله وما قصدت خلافك ولكن أعطيت خديجة عهداً فحدثته فبكىٰ ، وقال : فأسأل الله أن يحرسك من فوقك ومن تحتك ومن بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان الرجيم ناوليني المركن واملئيه ماء ، فملأ فاه ثم مجه فيه ، ثم قال : اللَّهمَّ مني وأنا منهما ، اللَّهمَّ كما أذهبت عني الرّجس وطهّرتني تطهّيراً فاذهب عنهما الرّجس وطهرهما تطيراً ، ثم دعا فاطمة فضرب كفاً بين يديها وأُخرىٰ بين عانقها وأُخرىٰ على هامتها . ثم نضح جلدها وجذبه ثم التزمها وقال : اللَّهمَّ إنها مني وأنا منها ، اللَّهمَّ فكما أذهبت عني الرجس وطهرتني تطهيراً فطهرها ، ثم أمرها أن تشرب منه وتتمضمض وتستنشق وتتوضأ ، ثم دعا بمركن آخر فصنع بعلي مثل ذلك ، ثم اغلق عليهما باباً وانطلق ولم يزل يدعو لهما حتى توارى في حجرته لم يشرك معهما أحداً في الدعاء .

قال ابن عباس : لما أن كانت ليلة زفت فاطمة إلى علي عليه السلام كان النبي قدامها وجبرائيل عن يمينها وميكائيل عن يسارها وسبعون ألف ملك من ورائها يسبحون الله ويقدّسونه حتى طلع الفجر ، والأخبار شائعة بهذا ونحوه وهو أعظم الفضائل . قلت ولله در من قال :

وعرس كانت الأملاك فيها ... لتزويج الزكية شاهدينا
وكان وليها جبريل منهم ... وميكائيل خير الخاطبينا
وزخرفت الجنان فظل فيها ... لها ولدانها متزينينا
وكان نثارها هللا وحلياً ... وياقوتاً ومرجاناً ثمينا

وعقيـانـاً وحـور العين فيهـا وولــدان كــرام لاقــطونــا
وكـان من النثار كمـا روينـا صكــاك ينتثـرن وينــطوينـا
بهــا للشيعــة ابــرار عـتق جرى من عند رب العالمينا

قـال ابن شـهـر آشــوب : وقـد جـاء في بعض الكتب أنـه خــطب راحيـل في البيت المعمور وقـال الحمد لله الأوّل أوليـة الأولين ، البـاقي بعد فناء العـالمين نحمده إذ جعلنـا روحانين ، وبـربوبيتـه مذعنين ، ولـه على مـا أنعم علينـا شـاكـرين حجبنـا من الـذنـوب وسترنـا من العيـوب أسكننــا في السمـاوات وقــربنــا إلى الســرادقــات وحجب عنــا النهم والشهوات وجعل نهمنا وشهواتنـا تنافي تقـديسه وتسبيحـه الباسط رحمتـه الواهب نعمته جلّ عن إلحاد أهل الأرض من المشركين وتعـالىٰ بعظمتـه عن أفك الملحدين .

ثم قـال الخطيب بعـد كلام : واختـار ملك الجبـار صـوفـة كـرمـه وعبـد عظمتـه لأمته سيـدة النساء بنت خيـر النبيين وسيّد المـرسلين وإمام المتقين فـوصـل حبله بحـل رجـل من أهله وصـاحبـه المصـدق دعـوتـه المبادر إلى كلمته على الوصول إلى فاطمة البتول إبنة الـرسول . وللسيـد الحميري :

نصب الجليل لجبرائيل منبراً في ظل طوبىٰ من متون زبرجد
شهد الملائكة الكرام وريهم وكفا بهم وبربـهم من شهـد
وتناثرت طـوبىٰ عليهم لؤلؤاً وزمــرداً متتـابعــاً لم يعقـد

وروي : أنـه كـان بين تـزويـج أميــر المؤمنين فـاطمــة عليها السلام في السماء إلى تزويجهـا في الأرض أربعين يومـاً زوجها رسـول الله من علي أول يوم من ذي الحجة . وروى أنه كان اليوم السادس منه .

وخطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبة في تزويج فـاطمة رويت عن الـرضا فقـال : الحمد لله المحمود بنعمته المعبـود بقـدرتـه المـطاع في سلطانـه المـرغوب إليـه فيما عنـده المرهـوب من عذابـه النافـذ أمـره في سمـائه

وأرضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ أن الله تعالىٰ جعل المصاهرة نسباً لا حقاً وأمراً مفترضاً وشج بها الأرحام وألزم بها الأنام ، قال الله تعالىٰ وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً ثم أن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي ، الخبر .

وروي أنه كان صداقها خمسمائة درهم ، وقيل خمسمائة مثقال فضة .

وروي أربعمائة مثقال فضة .

وروي : أربعمائة وثمانين مثقال فضة وهو المروي عن الحسين وعن الباقر ببرد وحبرة وأهاب شاة على عرار . رواه عمر بن مقدام وجابر الجعفي .

وروي عن الصادق درع حطمية وإهاب كبش أو جدي .

رواه أبو يعلى مسنداً عن مجاهد ، وأما مهرها في السماء ففي خبر عن الباقر وجعلت نحلتها من علي خمس الدنيا وثلث الجنة وجعلت لها في الأرض أربعة أنهار الفرات ونيل مصر ونهروان ونهر بلح ، وعن الصادق عليه السلام أن الله تعالىٰ أمهر فاطمة ربع الدنيا فربعها لها والجنة والنار فتدخل أوليائها الجنة وأعدائها النار .

وفي خبر سئل النبي عن مهر فاطمة فقال : خمس الأرض فمن مشىٰ عليها مبغضاً لها ولولدها مشىٰ عليها حراماً إلى أن تقوم الساعة .

وعن ابن مردويه أن النبي ﷺ قال لعلي : تكلم خطيباً لنفسك ، فقال عليه السلام : الحمد لله الذي قرب من حامديه ودنا من سائليه ووعد الجنة من يتقيه وأنذر بالنار من يعصيه نحمده على قديم إحسانه وأياديه حمد من يعلم أنه خالقه وباريه ومميته ومساويه ونستعينه ونستهديه ونؤمن به ونستكفيه ونشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له

شهادة تبلغه وترضيه وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ترفعه وتصطفيه . الخبر .

وعن أمالي الطوسي : عن الصادق في خبر وسكب الدراهم في حجره فأعطىٰ منها قبضة كانت ثلاثة وستين أو ستة وستين إلى أم أيمن لمتاع البيت وقبضة إلى أسماء بنت عميس للطيب وقبضة إلى أم سلمة للطعام وأنفذ عماراً وأبا بكر وبلالاً لإبتياع ما يصلحها وكان مما اشتروه قميص بسبعة دراهم وخماراً بأربعة دراهم وقطيفة سوداء خيبرية وسرير وفراشين وأربع مرافق وحصيراً ورحىٰ وسقاة ومخصب وقعب ومطهرة وجرة خضراء وكيزان خزف ونطع من أدم وعباء وقربة ماء .

وعن ابن مردوية في حديثه : فمكث علي عليه السلام تسعة وعشرين ليلة فقال له جعفر وعقيل: سله أن يدخل عليك أهلك ؟ فعرفت أم أيمن ذلك فقالت : هذا من أمر النساء وخلت به أم سلمة فطالبته بذلك فدعاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال : حباً وكرامة فأتي الصحابة بالهدايا فأمر بطحن البر وخبزه وأمر علياً عليه السلام بذبح البقر والغنم فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعضل ولم ير على يده أثر دم فلما فرغوا من الطبخ أمر النبي أن ينادي على أرس داره أجيبوا رسول الله ، وذلك كقوله تعالىٰ : ﴿**وأذن في الناس بالحج**﴾ ، فأجابوا من النخلات والزروع فبسط النطوع في المسجد فجلس الناس وهم أكثر من أربعة آلاف رجل وسائر نساء المدينة ورفعوا منها ما أرادوا ولم ينقص من الطعام شيء ، ثم عادوا في اليوم الثاني والثالث وأكلوا ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصحاف فملئت ووجه إلى منازل أزواجه ، ثم أخذ صحفة وقال : هذا لفاطمة وبعلها وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر نساؤه أن يزين فاطمة ويصلحن من شأنها في حجرة أم سلمة فاستدعين من فاطمة طيباً فأتت بقارورة ، فسألت عنها ؟ فقالت : كان دحية الكلبي يدخل على رسول الله فيقول لي : يا فاطمة هاتي الوساقة فاطرحيها لعمك فكان إذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فيأمرني بجمعه ، فسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك ؟ فقال : هو عنبر

يسقط من أجنحة جبرائيل عليه السلام وأتت بماء ورد ، فسألت أم سلمة عنه ؟ فقالت : هذا عرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كنت أخذه عند قيلولته عندي .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : قال لي الله يا علي إصنع لأهلك طعاماً فاضلاً، ثم قال من عندنا اللحم والخبز وعليك التمر والسمن فاشتريت تمراً وسمناً فحسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذراعيه وجعل يشدخ التمر في السمن حتى اتخذه حيساً وبعث إلينا كبشاً سميناً فذبح وخبز لنا خبزاً كثيراً ، ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أدع من أحببت صعدت على ربوة هناك وناديت أجيبوا إلى وليمة فاطمة ، فأقبل الناس إرسالا فاستحييت من كثرة الناس وقلّة الطعام فدعا عليه رسول الله بالبركة . الخبر .

وفي المناقب عن الصدوق : في خبر فأمر النبي بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة وأن يفرحن ويرجزن ويكبرن ويحمدن ولا يقلن ما لا يرضي الله قال جابر : فاركبها على ناقته وفي رواية على بغلته الشهباء وأخذ سلمان زمامها وحولها سبعون حوراء والنبي صلى الله عليه وآله وسلم وحمزة وعقيل وجعفر ، وأهل البيت يمشون خلفها مشهرين سيوفهم ونساء النبي قدامها يرجزن فأنشأت أم سلمة تقول :

سرن بعون اللّه جاراتي واشكرنه في كل حالات
واذكرن ما أنعم رب العلى من كشف مكروه وآفات
فقد هدانا بعد كفر وقد أنعشنا رب السماوات
فسرن مع خير نساء الورىٰ تفدي بعمات وخالات
يا بنت من فضله ذو العلي بالوحي منه والرسالات

ثم قالت عائشة :

يا نسوة إسترن بالمعاجر اذكرن ما يحسن بالمحاضر
واذكرن رب الناس إذ خصنا بدينه مع كل عبد شاكر

والحمد للّه على أفضاله والشكر للّه العزيز القادر
سرن بها فاللّه أعلىٰ ذكرها وخصها منه بطهر طاهر

ثم قالت حفصة :

فاطمة خير نساء البشر ومن لها وجه كوجه القمر
فضلك اللّه على كل الورىٰ بفضل من خص بآي الزمر
زوجك اللّه فتىٰ فاضلاً أعني علياً خير من في الحضر
فسرن جاراتي بها فإنها كريمة عند كريم الخطر

ثم قالت معادة أُم سعد بن معاد :

أقول قولاً فيه ما فيه واذكر الخير وأبديه
محمد خير بني آدم ما فيه من كبر ولاتيه
بفضله عرفنا رشدنا فاللّه بالخير يجازيه
ونحن مع بنت نبي الهدى ذي شرف قد مكثت فيه
في ذروة شامخة أصلها فما أرى شيئاً يدانيه

وكان النسوة يرجعن أول كل بيت من كل رجز ثم يكبرن ويهللن حتى دخلن الدار ، ثم أنفذ رسول الله إلى علي ودعاه إلى المسجد ، ثم دعا فاطمة وأخذ يديها ووضعها في يده ، وقال : بارك الله لك في إبنة رسول الله ، ثم قال مرحباً ببحرين يلتقيان ونجمين يلتقيان اللّهمَّ إنهما أحب خلقك إليَّ فأحبهما وبارك في ذريتهما واجعل عليهما منك حافظاً وأني أعيذهما وذريتهما بك من الشيطان الرجيم ، ثم خرج إلى الباب وقال : طهركما وطهر نسلكما إني سلم لمن سالمكما وحرب لمن حاربكما أستودعكم الله وأستخلفه عليكما وباتت عندها أسماء بنت عميس أسبوعاً بوصية خديجة إليها ، فدعا لها النبي في دنياها وآخرتها . ثم أتاهما في صبيحتهما وقال : السلام عليكم أدخل رحمكم الله ففتحت أسماء الباب وكانا نائمان تحت كساء فقال : على حالكما فأدخل رجليه بين أرجلهما فسأل علياً كيف وجدت

أهلك ، فقال : نعم العون على طاعة الله وسأل فاطمة ، فقالت : خير بعل ، ثم دعا لهما وخرج .

وفي خصائص النسائي وهو أحد أرباب الصحاح الأربعة ، أخبرنا أحمد بن شعيب قال : أخبرني عمّار بن بكار بن راشد وساق السند إلى معاوية ، قال ذكر علي بن أبي طالب فقال سعد بن أبي وقاص : والله لأن يكون لي واحدة من خلال ثلاث أحب إلى من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس لأن يكون ، قال له حين رده من تبوك : أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلى أنه لا نبي بعدي أحب إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ولأن يكون . قال لي ما قال له يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار أحب إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ولأن يكون لي أبنته ولي منها من الولد ماله أحب إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس .

فصل
في حديث الغدير

إعلم : وفقنا الله تعالىٰ وإيَّاك أنه لا يوجد في الأحاديث حديث بلغ من الشهرة والتواتر ما بلغه هذا الحديث الشريف ولا يوجد له منكر في المسلمين والذي يريد دفعه لم ينكره أيضاً وإنما يلتجيء إلى التفسير حسب ما يريد وقد صح النقل وجاءت الرواية عن جمع كثير من الصحابة والتابعين أن قوله تعالىٰ : ﴿يا أيها النبي بلّغ ما أُنزل إليك من ربك﴾ نزلت في علي عليه السلام يوم غدير خُم ، وحُكي عن تفسير ابن الأثير أنه قرأ ابن مسعود : ﴿يا أيها النبي بلّغ ما أُنزل إليك من ربك﴾ في علي ، وإن لم تفعل الآية ، ونحن هنا نقتصر في تفصيل ذلك على ما روي في كتاب روضة الواعظين عن أبي جعفر الباقر قال : حج رسول الله من المدينة وقد بلغ جميع الشرائع خلال الحج والولاية فأتاه

جبـرائيل ، فقـال له : يـا محمد إن الله عـزّ وجلّ يقـرؤك السلام ويقـول لـك أني لـم أقبض نبيـاً من أنبيـائي ورسلي إلاَّ بعـد إكمـال ديني وتكثيـر حجتي وقـد بقي عليك من ذلـك فريضتـان مما يحتـاج إليـه أن تبلغهمـا قومك فريضة الحج وفريضة الولايـة والخليفة من بعـدك ، فإني لم أخـل أرضي من حجـة ولن أخليها أبـداً وأن الله يأمـرك أن تبلغ قـومـك الحـج تحـج ويحـج معـك كـل من استـطاع السبيـل من أهـل الحضـر وأهـل الأطـراف والأعـراب وتعلمهم من حجهم مثـل مـا علمتهم من صـلاتهم وزكاتهم وصيامهم وتـوقفهم من ذلك على أمثـال الذين أوقفتهم عليـه من جميـع ما بلغتهم من الشـرائع فنـادى رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النـاس ألا أن رسـول الله يريـد الحـج ، وأن يعلمكم من ذلـك مثـل الـذي علمكم من شـرائـع دينكم ويـوقفكم من ذلـك على أوقفكم عليـه وخـرج رسـول الله وخرج معه الناس وأصغوا إليـه لينظروا مـا يصنع فيصنعـوا مثله فحج مـع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل المدينة والأطـراف والأعراب سبعين ألف إنسـان أو يزيدون على نحـو عدد أصحـاب موسىٰ عليه السلام السبعين ألف الـذين أخذ عليهم بيعة هارون ، فاتصلت التلبية مـا بين مكة والمـدينة ، فلمـا وقف المـوقف أتاه جبـرائيل فقـال : يـا محمـد أن الله تعـالىٰ يقـرئـك السـلام ويقول أنه قد دنا أجلك ومـدتك وأني استقـدمتك على مـا لا بد منـه ولا محيص عنه فاعهد عهدك وتقـدّم وصيتك وأعمـد إلى ما عنـدك من العلم وميـراث علوم الأنبياء من قبلك والسـلاح والتابـوت وجميع مـا عندك من آيات الأنبيا عليهم السلام فسلمها إلى وصيك وخليفتـك من بعدك حجتي البـالغة على خلقي علي بن أبي طـالب عليه السلام فأقمـه للنـاس وخـذ عهـده وميثـاقـه وبيعتـه وذكـرهم مـا أخـذت عليهم من بيعتي وميثـاقي الـذي واثقتهم بـه وعهـدي الذي عهـدت إليهم من ولاية وليي ومـولاهم ومـولى كـل مؤمن مؤمن ومؤمنـة علي بن أبي طالب عليه السلام ، فـإني لم أقبض نبيـاً من أنبيـائي إلاَّ بعد إكمال ديني وإتمـام نعمتي على خلقي واتباع ولي وطـاعته وذلـك أني لا أتـرك أرضي بغيـر قيم ليكـون حجـة على خلقي فـاليـوم أكملت

لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً عليّ وليي ومولى كل مؤمن ومؤمنة عليّ عبدي ووصي نبيي والخليفة من بعده والحجة حجتي البالغة على خلقي مقرون طاعته مع طاعة محمد نبيي ومقرون طاعة محمد بطاعتي من أطاعه فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني ، جعلته علماً بيني وبين خلقي فمن عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً ومن أشرك ببيعته كان مشركاً ومن لقيني بولايته دخل الجنة ومن لقيني بعداوته دخل النار ، فأقم يا محمد علياً علماً وخذ عليهم البيعة وخذ عهدي وميثاقي بالذي وثقتهم عليه فإني قابضك إليَّ ومستقدمك ، فخشي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قومه وأهل النفاق والشقاق أن يتفرقوا ويرجعوا جاهلية لما عرف من عداوتهم وما يبطنون عليه أنفسهم لعلي من البغضاء وسأل جبرائيل أن يسأل ربه العصمة من الناس وانتظر أن يأتيه جبرائيل بالعصمة من الناس عن الله عزّ وجلّ فأخر ذلك إلى أن بلغ مسجد الخيف فأتاه جبرائيل وأمره أن يعهد عهده ويقيم علياً للناس ، ولم يأته بالعصمة من الله تعالىٰ بالذي أراد حتى أتىٰ كراع العميم بين مكة والمدينة فأتاه جبرائيل وأمره بالذي أمر به من قبل ولم يأته بالعصمة ، فقال : يا جبرائيل إني لاخشى قومي أن يكذبوني ولا يقبلوا قولي في علي ، ثم رحل صلى الله عليه وآله وسلم فلما بلغ (غدير خُم) قبل الجحفة بثلاثة أميال أتاه جبرائيل على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والإنتهاز والعصمة من الناس فقال : يا محمد أن الله عزّ وجلّ يقرئك السلام ويقول لك : ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك ـ في علي ـ وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ فكان أولهم بلغ قرب الجحفة فأمره أن يرد من تقدّم منهم وجلس من تقدم منهم في ذلك المكان ليقيم علياً للناس ويبلغهم ما أنزل الله عزّ وجلّ في علي عن الله تعالىٰ وفي الموضع سلمات فأمر رسول الله أن يقيم ما تحتهن وينصب له أحجار كهيئة المنبر ليشرف على الناس فتراجع الناس واحتبس أواخرهم في ذلك المكان لا يزالون وقام رسول الله فوق

تلك الأحجار وقال ﷺ : الحمد لله الذي علا بتوحيده ، ودنا بتفريده ، وجل في سلطانه ، وعظم في أركانه ، وأحاط بكل شيء وهو في مكانه ـ يعني أن الشيء في مكانه ـ وقهر جميع الخلق بقدرته وبرهانه حميداً لم يزل محموداً لا يزال ، ومجيداً لا يزول ومبدياً معيداً، وكل أمر إليه يعود باري المسموكات وداحي المدحوات قدوس سبوح رب الملائكة والروح متفضل على جميع من براه ، مطول على جميع من ذاره يلحظ كل نفس والعيون لا تراه كريم حليم ذو أناة قد وسع كل شيء رحمته ومن خلقه بنعمته لا يعجل بانتقامه ولا يبادر بما استحقوا من عذابه ، فدفنهم السرائر وعلم الضمائر ، ولم تخف عليه المكنونات وما اشتبهت عليه الخفيات له الإحاطة بكل شيء والغلبة لكل شيء والقوة في كل شيء والقدرة على كل شيء لا مثله شيء وهو منشيء الشيء حين لا شيء وحين لا حي ، قائماً بالقسط لا إلٰه إلاَّ هو العزيز الحكيم جل عن أن تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، لا يلحق وصفه أحد بمعاينه ولا يجد كيف هو من سر وعلانية إلاَّ بما دل على نفسه أشهد له بأنه الله الذي أبلىٰ الدهر قدسه والذي يفني الأبد نوره والذي ينفذ أمره بلا مشورة ولا معه شريك في تقدير ولا تفاوت في تدبير صور ما ابتدع بلا مثال وخلق ما خلق بلا معونة من أحد ولا تكلف ولا احتيال أنشأها فكانت ، وبرها فبانت ، وهو الله الذي لا إلٰه إلاَّ هو المتقن الصنع الحسن الصنعة العدل الذي لا يجور الأكرم الذي ترجع إليه الأمور أشهد أنه الله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذلَّ كل شيء لعزته واستسلم كل شيء لقدرته وخضع كل شيء لهيبته ملك الأملاك ومسخر الشمس والقمر في الأفلاك كل يجري لأجل مسمىٰ يكور الليل على النهار يطلبه حثيثاً ، قاصم كل جبار عنيد وكل شيطان مريد ، لم يكن له ضد ولا معه ند أحد صمد لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كفواً أحد إلهاً واحداً ورباً ماجداً يشاء فيقضي ويريد فيقضي ويمنع ويعطي له الملك وله الحمد بيده الخير

وهو على كل شيء قدير يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل مستجيب الدعاء جزيل العطاء محصي الأنفاس ربّ الجنة والناس الذي لا يشكل عليه لغة ولا يضجره المستصرخون ولا يبرمه إلحاح الملحين عليه ، العاصم للصالحين والموفق للمتقين مولىٰ المؤمنين رب العالمين الذي استحق من كل خلق أن يشكره ويحمده على كل حال أحمده وأشكره على السراء والضراء والشدة والرخاء ، وأؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله ، فاسمعوا وأطيعوا لأمره وبادروا إلى مرضاته وسلموا لما قضاه رغبة في طاعته وخوفاً من عقوبته لأنه الله الذي لا يؤمن مكره ولا يخاف جوره ، أقر له على نفسي بالعبودية ، وأشهد له بالربوبية وأؤدي ما أوحى إلي به خوفاً وحذراً من أن تحل بي قارعة لا يدفعها عني أحد ، وإن عظمت منته وصفت خلقه لأنه لا إلٰه إلاَّ هو ، أعلمني أن لم أبلغ ما أنزل إليَّ فما بلغت رسالته فقد تضمن لي العصمة وهو الله الكافي الكريم وأوحىٰ إليَّ : ﴿**بسم الله الرّحمٰن الرّحيم : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾ الآية ، معشر الناس ما قصرت عن تبليغ ما أنزله ، وأنا مبين سبب هذه الآية أن جبرائيل هبط إليَّ مراراً ثلاثاً يأمرني عن السلام ربي وهوالسلام أن أقوم في هذا المشهد وأعلم كل أبيض وأحمر وأسود ، أن علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والإمام من بعدي الذي محله مني محل هارون من موسىٰ إلاَّ أنه لا نبي بعدي وليكم بعد الله ورسوله ، وقد أنزل الله تعالىٰ بذلك آية : ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصّلاة ويأتون الزكاة وهم راكعون**﴾ ، وعلي بن أبي طالب الذي أقام الصّلاة وآتىٰ الزكاة وهو راكع يريد الله عزّ وجلّ في كل حال وسألت جبرائيل أن يستعفي لي من تبليغ ذلك إليكم أيها الناس لعلمي بقلّة المتقين وكثرة المنافقين وادغال الآثمين وختل المستهزئين الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هنيئاً وهو عند الله عظيم لكثرة أذاهم غير مرة حتى سموني إذناً وزعموا أنه

لكثـرة ملازمتـه إيـاي وإقبـالي عليـه حتى أنـزل الله في ذلـك : ﴿**الـذين يؤذون النبي ويقـولون هـو إذن فقال لقـل على الـذي تـزعمـون أنـه إذن خيـر لكم**﴾ إلى آخـر الآيـة ، ولـو شئت أن أسمي القـائلين بـأسمـائهم لسميت وأومـأت إليهم بأعيـانهم ولـو شئت أن أدل عليهم لـدللت ولكني في أمـرهم قد تكـرمت وكل ذلـك لا يرضىٰ الله مني إلاَّ أن أبلغ مـا أنزل إليَّ فقـال : ﴿**يا أيهـا الرسـول بلّغ ما أنـزل إليك من ربـك** ـ في علي ـ **وأن لـم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾ الآية .

فـاعلموا معـاشر النـاس : وافهموه واعلمـوا إن الله قـد نصب لكم وليـاً وإمامـاً مفترضـة طاعتـه على المهـاجـرين والأنصـار وعلى التـابعين بـإحسان وعلى البـادي والحـاضـر والأعجمي والعـربي والحـر والمملوك والصغيـر والكبير وعلى الأبيض والأسـود وعلى كل مـوحد مـاض حكمـه جائز قوله نافذ أمره ملعون من خالفه مـرحوم من صـدقه قـد غفر الله لمن سمع له وأطاع .

معـاشر النـاس : إنه آخـر مقام أقـومه في هـذا المشهد فـاسمعـوا وأطيعـوا وانقادوا لأمـر بركم فـإن الله عزّ وجـلّ هو مـولاكم وإلهكم ، ثم من دونـه رسولكم محمـد وليكم القائم المخـاطب ، ثم من بعـدي علي وليكم وإمـامكم بـأمـر الله بكم ، ثم الأئمَّـة الـذين من صلبـه إلى يـوم يلقون الله ورسوله ، لا حلال إلاَّ مـا أحلّه الله ولا حرام إلاَّ مـا حرّمـه الله عـرفني الحلال والحـرام وأنا أقضيت ممـا علمني ربي من كتابـه وحلالـه وحرامه إليه .

معـاشـر النـاس : مـا من علم إلاَّ وقـد أحصـاه الله فيّ وكـل علم علّمت فقـد أحصيتـه في إمـام المتقين مـا من علم إلاَّ علمتـه عليـاً هـو الإمام المبين .

معـاشـر النـاس : لا تضلوا عنـه ولا تفـروا منـه ولا تستنكفـوا من ولايته فهو الـذي يهدي إلى الحق ويعمـل به ويـزهق الباطـل وينتهي عنه

ولا يأخذه في الله لـومة لائم وهـو أول من آمن بالله ورسـوله والـذي فدى رسول الله بنفسه والذي كان مع رسول الله ولا أحـد يعبد الله مـع رسولـه من الرجال غيره .

معاشر الناس : فضلوه فقد فضّله الله واقبلوه فقد نصبه الله .

معـاشر النـاس : إنه إمـام من الله ولن يتـوب الله على أحـد أنكـر ولايتـه ولن يغفر الله لـه حتماً على الله أن يفعـل ذلـك بمن خـالف أمـره فيـه وأن يعذبـه عذابـاً نكـراً أبـد الابـاد ودهـر الـدهـور ، فـاحـذروا أن تخالفوني فتصلوا نـاراً وقودهـا الناس والحجـارة أُعدت للكـافرين ، أيهـا الناس هي والله بشرىٰ من الأولين من النبيين والمرسلين فجميع المرسلين إليهم من العـالـم من أهل السمـاوات والأرضين فمن شك في ذلـك فهـو كافر كفـر الجاهليـة الأولىٰ ومن شكّ في قـولي هذا فقـد شكّ في الكـل منه والشاك في ذلك فله النار .

معـاشر النـاس : حباني الله بهـذه الفضيلة بمنه عليّ وإحسـان منه إليَّ ولا إلٰـه إلاَّ هو لـه الحمـد مني أبـد الآبـاد ودهـر الـدهـور على كـل حال .

معـاشر النـاس : فضلوا علياً فـإنـه أفضـل النـاس بعـدي من ذكـر وأُنثىٰ بنـا أنزل الله الـرزق وبقي الخلق اللعون ملعون مغضـوب مغضوب على من رد قـولي هذا عن جبـرائيل عليه السلام عن الله تعـالىٰ فلتنـظر نفس مـا قدّمت لغد واتقوا الله أن تخالفوا إن الله خبير بما تعملون .

معاشر الناس : تدبـروا القرآن وافهمـوا آياتـه ومحكماتـه ولا تتبعوا متشابهه فـوالله لهـو مبين لكم نـوراً واحـداً ولا يـوضـح لكم تفسيـره إلاَّ الـذي أنا آخـذ بيده ومصعـده إليّ وشائـل بعضـده ومعلمكم ان من كنت مولاه فهذا مـولاه وهو علي بن أبي طـالب أخي ووصيي وموالاتـه من الله تعالىٰ أنزلها عليَّ .

معـاشر النـاس : إن علياً والـطيبين من ولـدي هم الثقـل الأصغـر

والقـرآن الثقل الأكبـر وكل واحـد منهما مبيّن عن صـاحبـه مـوافق لـه لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض بـأمر الله في خلقـه وبحكمة في أرضـه ألا وقـد أديت ، ألا وقـد بلّغت ، وألا وقـد أسمعت ، ألا وقـد أوضحت ، ألا إن الله عـزّ وجلّ قـال وأنا قلت عن الله : ألا أنـه ليس أميـر المؤمنين غيـر أخي هذا ولا تحـل إمرة المؤمنين لأحـد غيره ، ثم ضـرب بيده إلى عضد علي عليه السلام فرفعـه فكان أميـر المؤمنين منذ أول مـا صعد رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم قـد شال عليـاً حتى صـارت رجـلاه مـع ركبـة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال :

معـاشـر النـاس : هـذا علي أخي ووصيي وواعي علمي وخليفتي على أُمتي وعلى تفسيـر كتاب الله عـزّ وجلّ والـداعي إليه والمعـامل بمـا يـرضيه والمحـارب لأعدائـه والموالي على طـاعته والنـاهي عن معصيتـه خليفة رسول الله وأمير المؤمنين والإمام الهادي بأمر الله .

أقول : ما يبدل القول لـديه بـأمر ربي أقـول : اللّهمَّ وال من والاه وعـادِ من عاداه والعن من أنكـره واغضب على من جحـده ، اللّهمَّ إنـك أنت أنزلت الإمامة لعلي وليك عنـد تبيين ذلك بتفضيلك إيـاه بما أكملت لعبـادك من دينهم وأنعمت عليهم بنعمتـك ورضيت لهم الإسـلام دينـاً فقلت : ومن يتبـع غير الإسـلام ديناً فلن يقبـل منـه وهـو في الآخـرة من الخاسرين ، اللّهمَّ إني أشهدك أني قد بلّغت .

معاشر الناس: إنما أكمل الله عزّ وجلّ دينكم بإمـامته فمن لم يـأتم به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى يوم القيامة والعرض على الله تعالىٰ فـأولئـك حبـطت أعمـالهم وفي النـار هم خـالـدون ولا يخفف الله عنهم العذاب ولا هم ينظرون .

معـاشر النـاس : هذا أنصـركم لي وأحق الناس بي والله عـزّ وجلّ وأنا عنه راضيان ، وما نـزلت آية رضـاً إلاّ فيه ومـا خطب الله الـذين آمنوا إلاّ بدأ به ، ولا نزلت آية مـدح في القرآن إلاّ فيـه ، ولا شهد الله بـالجنة

في هل أتى على الإنسان إلاَّ له ولا أنزلها في سواه ولا مدح بها غيره .

معاشر النـاس : هو نـاصر دين الله والمجـادل عن رسول الله وهـو التقي النقي الهادي المهدي نبيكم خير نبي ووصيكم خير وصي .

معـاشر النـاس : ذريـة كـل نبي من صلبـه وذريتي من صلب علي عليه السلام .

معاشر الناس : إن إبليس أخرج آدم بـالحسد فـلا تحسدوه فتحبط أعمـالكم وتـزل أقـدامكم فـإن آدم عليه السلام أهبط إلى الأرض بخـطيئـة وهـو صفـوة الله تعالىٰ ، فكيف أنتم إن زللتم وأنتم عبـاد الله مـا يبغض عليـا إلاَّ شقي ولا يتــوالى عليــاً إلاَّ تقي ولا يؤمن بــه إلاَّ مؤمـن مخـلص في علي والله سـورة العصر ﴿بسم الله الـرّحمٰن الرّحيم والعصـر إن الإنسـان لفي خسـر إلاَّ الذين آمنـوا وعملوا الصالحـات وتواصـوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ .

معاشر الناس : قد أشهدت الله وبلّغتكم الرسالة وما على الرسـول إلاَّ البلاغ المبين .

معــاشــر النــاس : إتقــوا الله حق تقــاتــه ولا تمــوتن إلاَّ وأنتم مسلمون .

معاشر الناس : آمنوا بالله وبرسوله وبالنور الـذي أنزل معـه من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أعقابها .

معــاشـر النــاس : النـور من الله عــزّ وجـلّ فيّ ، ثم مسلول في علي ، ثم في النسـل منـه إلى القـائم المهـدي الــذي يـأخــذ بحق الله وبحق كـل مؤمن لأن الله جـلّ وعـزّ قـد جعلنــا حجـة على المقصــرين والغــادرين والمخــالفين والخــائبين والآثمين والــظالميـن من جـميــع العالمين .

معاشر النـاس : إني رسول قـد خلّت من قبله الرسـل أفإن مت أو

قتلت إنقلبتم على أعقابكم وأن تنقلبوا فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين الصابرين إلاَّ أن علياً الموصوف بالصبر والشكر إمام من بعدي ثم من بعده ولدي من صلبه .

معاشر الناس : لاتمنوا على الله بإسلامكم فيسخط الله عليكم فيصيبكم بعذاب من عنده إن ربك لبالمرصاد .

معاشر الناس : سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون .

معاشر الناس : إن الله وأنا بريئان منهم .

معاشر الناس : إنهم وأنصارهم وأشياعهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار ولبئس مثوىٰ المتكبرين .

معاشر الناس : إني أدعها أمانة ووراثة في عقبي إلى يوم القيامة وقد بلّغت ما بلّغت حجة على كل حاضر وغائب وعلى كل أحد ممن شهد أو لم يولد فليبلغ الشاهد الغائب والوالد الولد يوم القيامة وسيجعلوها ملكاً واغتصاباً سنفرغ لكم أيها الثقلان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران .

معاشر الناس : إن الله عزّ وجلّ لم يكن يذركم على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب .

معاشر الناس : إنه ما من قرية إلاَّ والله مهلكها بتكذبيها وكذلك مهلك القرىٰ وهي ظالمة كما ذكر الله عزّ وجلّ وهذا إمامكم ووليكم وهو مواعد والله يصدق وعده .

معاشر الناس : قد ضل قبلكم أكثر الأولين والله فقد أهلك الأولين وكذلك الآخرين .

معاشر الناس : إن الله قد أمرني ونهاني وقد أمرت علياً ونهيته وعليه الأمر والنهي من ربه عزّ وجلّ فاسمعوا لأمره وانهوا لنهيه وصيروا

إلى مراده ولا يتفرق بكم السبل عن سبيله أنا صراط المستقيم الذي أمركم باتباعه ، ثم علي من بعدي ، ثم ولدي من صلبه أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون ، ثم قرأ الحمد لله إلى آخرها وقال فيّ نزلت وفيهم نزلت ولهم عمّت وإياهم خصت وعمّت أولئك أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ألا أن حزب الله هم الغالبون ألا إن أعدائهم أهل الشقاق العادون وإخوان الشياطين الذي يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ألا إن أولياءهم الذين ذكرهم الله في كتابه المؤمنون، فقال تعالىٰ : ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ إلى آخر الآية ، ألا إن أوليائهم الذين وصفهم جل وعزّ ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ ألا إن أوليائهم الذين آمنوا ولم يرتابوا إن أوليائهم الذين يدخلون الجنة آمنين ﴿وتتلقاهم الملائكة بألسنتهم أن طبتم فادخلوها خالدين﴾، ألا أن وليائهم الذين قال الله عزّ وجلّ : ﴿يدخلون الجنة بغير حساب﴾ ألا إن أعدائهم يصلون سعيراً ألا إن أعدائهم الذين يسمعون لجهنم شهيقاً وهي تفور ﴿ولها زفير كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾ الآية ، ألا إن أعداءهم الذين قال الله عزّ وجلّ : ﴿كلما ألقىٰ فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير﴾ الاية ، ألا إن أوليائهم الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير .

معاشر الناس : إني نبي وعلي وصيي ألا أن خاتمة الأئمة منا القائم المهدي ألا أنه الظاهر على الدين ، ألا إنه المنتقم من الظالمين ، ألا إنه فاتح الحصون وهادمها ، ألا إنه فاتح كل قبيلة من الشرك ، ألا إنه مدرك بكل ثار لأولياء الله عزّ وجلّ ، ألا وإنه لناصر لدين الله ، ألا إنه الغراف من بحر عميق، ألا إنه يسم كل ذي فضل بفضله وكل ذي جهل بجهله ، ألا إنه خيرة الله ومختاره ، ألا إنه وارث كل علم والمحيط بكل فهم ، ألا إنه المخبر عن ربه تعالىٰ والمشبهة لأمر إيمانه ، ألا إنه الرشيد ، ألا إنه المفوض إليه ، ألا إنه

الباقي حجة ولا حجة بعده ولا حق إلاَّ معه ولا نور إلاَّ عنده ، ألا انه لا غالب له ولا منصور عليه ، ألا انه ولي الله في أرضه وحكمه في خلقه وأمينه في سره وعلانيته .

معاشر الناس : قد بيّنت لكم وأفهمتكم وهذا علي يفهمكم بعدي ألا وإن عند إنقضاء خطبتي أدعوكم إلى مصافقتي على بيعته والإقرار به ، ثم مصافقته بعد يدي ، ألا إني قد بايعت الله وعليّ قد بايعني وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله عزّ وجلّ« : ﴿**فمن نكث فإنما ينكث على نفسه**﴾ الآية .

معاشر الناش : إن الحج والعمرة من شعائر الله ﴿**فمن حج البيت أو اعتمر**﴾ الآية .

معاشر الناس : حجوا البيت فما وردوه أهل بيت إلاَّ نموا وأنسلوا ولا تخلفوا عنه إلاَّ اهتزوا وافترقوا .

معاشر الناس : ما وقف بالموقف مؤمن إلاَّ غفر الله له ما سلف من ذنبه إلى وقت ذلك ، فإذا إنقضت حجته إستؤنف عمله .

معاشر الناس : الحجاج معانون ونفقاتهم مخلفة والله لا يضيع أجر المحسنين .

معاشر الناس : حجوا بكمال الدين والنفقة ولا تنصرفوا عن المشاهد إلاَّ بمؤنة وإقلاع .

معاشر الناس : أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة كما أمركم الله عزّ وجلّ فإن طال عليكم الأمد فقصر ، ثم إن نسيتم فعلي وليكم ومبين لكم ما لا تعلمون ألا أن الحرام والحلال أكثر من أن أحصيهما وأعرفهما فآمر بالحلال وأنهي عن الحرام في مقام واحد وأمرت أن أتخذ البيعة عليكم والصفقة لكم بقبول ما جئت به عن الله عز وجلّ في علي أمير المؤمنين والأئمة من بعده الذين هم مني ومنه أُمة قائمة فيهم خاتمها المهدي

إلى يوم القيامة الذي يقضي بالحق .

معاشر الناس : فكل حلال دللتكم عليه أو حرام نهيتكم عنه فإني لم أرجع عن ذلك ولم أبدل ، ألا فاذكروا ذلك واحفظوا وتواصوا به ولا تبدلوه ، ألا وإني أجدد القول ، ألا فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وآمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، ألا وإن رأس الأمر بالمعروف أن تنتهوا إلى قولي وتبلغوه من لم يحضر وتأمروه بقبوله وتنهوه عن مخالفته ، فإنه أمر من الله عزّ وجلّ ومني .

ومعاشر الناس : القرآن يعرفكم أن الأئمة من بعده ولده وعرفتكم أنهم مني ومنه حيث يقول الله جلّ وعز وجعلها كلمة باقية في عقبة ولن تضلوا ما تمسكتم بهما .

معاشر الناس : التقوى التقوى واحذروا الساعة ، كما قال عزّ وجلّ إن زلزلة الساعة شيء عظيم اذكروا الممات والحساب والموازين والمحاسبة بين يدي رب العالمين والثواب والعقاب فمن جاء بالحسنة أفلح ومن جاء بالسيئة فليس له في الجنان من نصيب .

معاشر الناس : إنكم أكثر من أن تصافقوني بكف واحد وأمرني الله عزّ وجلّ أن آخذ من ألسنتكم الإقرار بما عقد لعلي أمير المؤمنين ومن جاء بعده من الأئمة مني ومنه على ما أعلمتكم أن ذريتي من صلبه فقولوا بأجمعكم إنا سامعون مطيعون راضون منقادون لما بلغته عن أمر ربي وأمر علي أمير المؤمنين وولده من صلبه من الأئمة على ذلك قلوبنا وأنفسنا وألسنتنا وأبداننا على ذلك نحيا ونموت ونبعث لا نغير ولا نبدل ولا نشك ولا نرتاب ولا نرجع عن عهد ولا ميثاق ونعطي رسوله وعلياً أمير المؤمنين وولده الأئمة الذين لهم ذكر من صلبه من الحسن والحسين الذين قد عرفتكم مكانهما مني ومحلهما عندي ومنزلتهما من ربي عز وجل فقد أديت ذلك إليكم وإنهما لسيّدا شباب أهل الجنة وأنهما الإمامان بعد أبيهما علي ، وأنا أبوهما قبله ، فقولوا

أعـطينا الله بـذلك وأنت وعليـاً والحسن والحسين والأئمـة الـذين ذكـرت عهداً وميثاقاً مأخـوذاً لأمير المؤمنين من قلوبنـا وأنفسنا وألسنتنـا ومصافقـة أيدينا من أدركهما بيده وإلاَّ فقـد أقربهمـا بلسانـه لا يبتغي بدلاً ولا يـرىٰ الله عزّ وجلّ منها حولاً أبـداً ، أشهدنـا الله وكفىٰ بالله شهيـداً وأنت علينا بـه شهيد وكـل من أطاع ممن ظهـر واستتر ومـلائكة الله وجنـوده وعبيـده والله أكبر من كل شهيد .

معـاشر النـاس : ما تقـولون فـإن الله يعلم كل صـوت وخافيـة كل نفس فمن إهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنمـا يضل عليهـا ومن بايـع ، فإنمـا يبايع لله يد الله فوق أيديهم .

معـاشر النـاس : فاتقـوا الله وتـابعـوا عليـاً أميـر المؤمنين والحسن والحسين والأئمـة كلمـة بـاقيـة يهلك الله من غـدر ويـرحم من وفىٰ ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفي بما عـاهد عليـه الله فسيؤتيه أجـراً عظيماً .

معـاشر النـاس : قولـوا الذي قلت لكم وسلمـوا على علي بـإمـرة المؤمنين وقولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنـا وإليك المصيـر وقولـوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

معاشر النـاس : إن فضائـل علي بن أبي طالب عنـد الله عزّ وجـلّ قـد أنزلهـا في القرآن أكثـر من أحصيها في مقـام واحـد فمن أنبـأكم بهـا فصدقوه .

معاشر الناس : من يطع الله عزّ وجلّ ورسوله وعليـاً والأئمّة الـذين ذكرهـم فقد فاز فوزاً مبيناً .

معاشر الناس : السابقـون السابقـون إلى مبايعتـه وموالاتـه والسلام عليه بإمرة المؤمنين أولئك الفائزون في جنات النعيم .

معاشر النـاس : قولـوا ما يـرضىٰ الله عنكم من القول فـإن تكفروا

أنتم ومن في الأرض جميعاً فلن يضر الله شيئاً ، اللَّهمَّ أغفر للمؤمنين وأعطب الكافرين ، والحمد لله رب العالمين ، فنادى القوم : نعم سمعنا على أمر الله ورسوله بقلوبنا وألسنتا وأيدينا وتداكوا على رسول الله ﷺ وعلى علي عليه السلام بأيديهم إلى أن صلّيت العشاء والعتمة في وقت واحد وواصلوا البيعة والمعانقة ثلاثاً ورسول الله ﷺ يقول : كلما بايع قوم الحمد لله الذي فضلنا على جميع العالمين .

أقول : ولنختم هذا الفصل الشريف بهذه القصيدة الغراء الفريدة للأديب الأريب عبد الباقي أفندي العمري الموصلي البغدادي حشره الله مع مواليه :

أنت العلي الذي فوق العلىٰ رفعا ... ببطن مكة وسط البيت إذ وضعا
وأنت حيدرة الغاب الذي أسد ... البرج السماوي عنه خاسئاً رجعا
وأنت باب تعالىٰ شأن حارسه ... بغير راحة روح القدس ما قرعا
وأنت ذاك البطين الممتلىء حكماً ... معشارها فلك الأفلاك ما وسعا
وأنت ذاك الهزبر الأنزع البطل ... الذي بمخلبه للشرك قد نزعا
وأنت يعسوب نحل المؤمنين إلى ... أي الجهات انتحى يلقاهموا تبعا
وأنت نقطة باء مع توحدها ... بها جميع الذي في الذكر قد جمعا
وأنت والحق يا أقض الأنام به ... غداً على الحوض حقاً تحشران معا
وأنت حنو نبي غير شرعته ... للأنبياء إلٰه العرش ما شرعا
وأنت زوج إبنة الهادي إلى سنن ... ما حاد عنه عداه الرشد فانخزعا
وأنت بالطبع سيف تارة عطباً ... يسقي الثغور ويشفي مرة طبعا
وأنت غوث وغيث في ردى وندى ... لخائف وللاج لاذ وانتجعا
وأنت ركن يجير المستجير به ... وأنت حصن لمن من دهره فزعا
وأنت من بنداه عز من طمعا ... وفي جدى من سواه ذل من قنعا
وأنت ذو منصل صل ينضنض في ... غمد كلغد لمكر الكفر قد بلعا
وأنت عين يقين لم يزده به ... كشف الغطاء يقيناً آية إنقسعا
وأنت ذو حسب يعزي إلى نسب ... قد ينطفىء سبب أوج العلىٰ قرعا

وأنت ضئضىء مجد في مدى أمد ... قد فصل الدهر أوصالاً وما انقطعا
وأنت من حمت الإسلام وفرته ... ودرعت ليدتاده الدين فأدرعا
وأنت من فجع الدين المبين به ... ومن بأولاده الإسلام قد فجعا
وأنت أنت الذي منه الوجود نضيء ... عمود صبح ليافوخ الدجىٰ صدعا
وأنت أنت الذي حطت له قدم ... في موضع يده الرّحمٰن قد وضعا
وأنت أنت الذي للقبلتين مع ... النبي أول من صلّى ومن ركعا
وأنت أنت الذي في نفس مضجعه ... في ليل هجرته قد بات مضطجعا
وأنت أنت الذي آثاره ارتفعت ... على الأثير وعنها قدره إتضعا
وأنت أنت الذي أثاره مسحت ... هام الأثير فابدى رأسه الصلعا
وأنت أنت الذي يلقي الكتائب في ... ثبات جأش له ثهلان قد خضعا
وأنت أنت الذي للّه ما فعلا ... وأنت أنت الذي للّه ما صنعا
وأنت أنت الذي للّه ما وصلا ... وأنت أنت الذي للّه ما قطعا
حكمت في الكفر سيفاً لو هويت به ... يوماً على كبد الأفلاك لا انخلعا
محدب يتراءى في مقعره ... موج يكاد على الآفاق أن يقعا
أسلت من غمده ناراً مروقة ... تجرع الكفر من راووقها جرعا
حكى الحمام حماماً من حسامك في ... لسان نار على هاماتهم سجعا
غليله طالما أوردته علقا ... يوم النهروان من نهر فما انتقعا
بذي فقارك عنا أي فاقره ... قصمتها ودفعت السوء فاندفعا
أراد سيفك في ليل العجاجة أن ... يروي السنا عن لسان الصبح فاندلعا
عالجت بالبيض أمراض القلوب ولو ... كان العلاج بغير البيض ما نفعا
والرعد قد ظن طرف البرق فيك كبا ... لما أغرت على العليا فقال لعا
نبذت للشرك شلواً بالعراء لذا ... عليه نسر من الخذلان قد وقعا
والليل لما تسمىٰ كافراً بشبا ... فرضاب بطشك قد غادرته قطعاً
وباب خيبر لو كانت مسامره ... كل الثوابت حتى القطب لأنقلعا
باريت شمس الضحى في جنة بزغت ... في يوم بدر بزوغ البدر إذ سطعا
للّه درّ فتىٰ الفتيان منك فتىٰ ... ضرع الفواطم في مهد الهدى رضعا

لقد ترعرعت في حجر عليه لذى ... حجر إبراهيم تعظيم لها قطعا
ربيب طه حبيب اللّه أنت ومن ... كان المربى له طه فقد برعا
رعاه مولاه من راع لامته ... لجده وأبيه الحق فيك رعا
أخاك من عز قدراً أن يكون له ... أخاً سواك إذا داعى الإخاء دعا
سمتك أمك بنت الليث حيدرة ... أكرم بلبوة ليث أنجبت سبعا
لك الكساء مع الهادي وبضعته ... وقرتي ناظريه أبنيك قد جمعا
لئن توجع في يوم الطفوف لهم ... فما سوىٰ اللّه واللّه اشتكى الوجعا
قد خادعوا منك في صفين ذا كرم ... أن الكريم إذا خادعته انخدع
نهج البلاغة نهج منك بلغنا ... رشداً به أجتث عرق الغي فانقمعا
به دمغت لأهل البغي أدمغة ... لنخوة الجهل قد كانت أشروعا
كم مصقع من خطاب قد صقعت به ... فوق المنابر صقع الغدر فانصقعا
ما فرق اللّه شيئاً في خليقته ... من الفضائل إلّا عندك اجتمعا
أبا الحسين أنا حسان مدحك لا ... أنفك أظهر في إنشائه البدعا
وكل من راح للعلياء مبتكراً ... جاء الثناء على علياه مخترعا
عذراً فقد ضقت ذرعاً عن إحاطته ... وكلما ضقت من تحديده اتسعا
وجوهر المدح في علياك رونقه ... بلبة الدهر في لألائه نصعا
مدح لقد خضعت كل الحروف له ... وكل صوت إلى إنشاده خشعا
به أساجل أقواماً أجالسهم ... فيذهبون بتهذيبي له شيعا
مستنبط من قليب القلب ينضحه ... فكر وهل تنزح الأفكار مانبعا
أوراقه مرتع الأحداق كم نظر ... فيه لذي نظر في الشعر قد رتعا
ريع ربيع المعاني في بطائحه ... ترى لسائمة الأفكار مرتبعا
في كل بيت قصيد من مقاصده ... باب بمصرعه التخبيل قد صرعا
ما زاده فكر ذي حدس مطالعة ... إلّا وزاد كأفكاري به ولعا
وما تعلق فيه طرف رامقه ... إلّا وشاهد برقاً ومضه لمعا
وما وعت مهجة أفلاذ جذوته ... إلّا ومقباسها أثنائها لذعا
وما بكت مقلة من فيه قد ذكروا ... إلّا سقت ما به تذكارهم زرعا

وما امتطى لاحقاً في أثره أحد إلى وعن شأوه في عدوه ضلعا
بسيط بحر له ثغر بمرشقا للأبحر السبع مأمون الشجا كرعاً
فاقبل فدتك نفوس العالمين ثناً بمثله العالم العلوي ما سمعا
عليك اسنىٰ سلام اللّه ما غربت شمس وما قمر من أفقه طلعا
والك الغر ما ناحت مطوقة من فوق غصن اسىٰ في حزنها نبعا
ومالأوج العلىٰ نادى مؤرخه مقام نعت عليّ باسمه رفعا

ومن قصيدة لابن الرومي يذكر فيها الغدير ويمدح أمير المؤمنين عليه السلام :

يا هند لم أعشق ومثلي لا يرى عشق النساء ديانة وتحرجا
لكن حبي للوصي محتم في الصدر يسرح في الفؤاد تولجاً
فهو السراج المستنير ومن به سبب النجاة من العذاب لمن نجا
وإذا تركت له المحبة لم أجد يوم القيامة من ذنوبي مخرجا
قل لي أأترك مستقيم طريقه جهلاً واتبع الطريق الأعوجا
وأراه كالتبر المصفىٰ جوهراً وأرى سواه لنا قديه مهرجا
ومحله من كل فضل بين عال محل الشمس أو بدر الدجىٰ
قال النبي له مقالاً لم يكن يوم الغدير لسامعيه مجمجا
من كنت مولاه فذا مولىٰ له مثلي وأصبح بالفخار متوجا
وكذاك إذ منع البتول جماعة خطبوا وأكرمه بها إذ زوجا

فصل
في شجاعته عليه السلام
(ومواقفه المأثورة أيام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم)

أشهر الغزوات التي غزاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه ست وعشرون أولها :

غزوة الألواء ، الثانية غزوة بواط ، الثالثة غزوة العشرة ، الرابعة

غـزوة بدر الأُولىٰ ، الخـامسة غـزوة بدر الكبـرىٰ ، السـادسـة غـزوة بني سليم ، السابعة غـزوة السويق ، الثـامنة غـزوة ذي أمرة ، التـاسعة غـزوة أُحد ، العاشرة غزوة نجران ، الحاديـة عشر غـزوة الأسد ، الثـانية عشـر غزوة بني النضير ، الثـالثة عشـر غزوة ذات الـرقاع ، الـرابعة عشـر غزوة بدر الأخيرة ، الخامسة عشـر غزوة دومـة الجندل ، السـادسة عشـر غزوة الخنـدق ، السابعـة عشر غـزوة بني قـريضـة ، الثـامنـة عشـر غـزوة بني لحيـان ، التاسعـة عشر غـزوة القردة ، العشـرون غزوة بني المصـطلق ، الإحدى والعشرون غزو الحديبية ، الثانية والعشرون غزوة خيبر ، الثـالثة والعشـرون غزوة الفتـح ، الـرابعـة والعشـرون غـزوة حنين ، الخـامسـة والعشرون غزوة الطائف ، السادسة والعشرون غزوة تبوك .

وقد ذكرت في كتب المناقب وغيرهـا غزوات أُخـرىٰ لكنها لم تبلغ من الشهــرة مبلغـاً يمكن الاعتمــاد عليـه ، وأمــا سـرايــاه صلى الله عليه وآله وسلم فست وثـلاثون سـرية وأكثـر هذه الغـزوات والسرايـا التي وقع فيهـا القتال كـان الفتح فيها لأمير المؤمنين عليه السلام ونحن في كتابنا هذا نـذكر مشـاهير مـا وقع فيهـا القتـال من غـزواتـه صلى الله عليه وآله وسلم ونقتصـر في الغـالب على مـا كـان لأمير المؤمنين من المواقف فنقول :

غزوة بدر الكبرى

وكانت في يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان السنة الثانية من الهجرة وكان السبب فيها ما ذكره علماء السير وأرباب التاريخ إن أبا سفيان أقبل بعير قريش من الشام وفيها أموالهم ومعها أربعون راكباً من قريش فندب النبي ﷺ أصحابه للخروج إليها ليأخذوها ، وقال لعل الله أن ينفلكموها ، فانتدب الناس فلما سمع أبو سفيان بمسير النبي استأجر ضمضم بن عمر والغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم ويخبرهم أن محمداً قد تعرض لعيرهم في أصحابه ، فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت فيما يرىٰ النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال أن رجلاً أقبل على بعير له ينادي يا آل غالب اغدوا إلى مصارعكم ، ثم وافى بجمله إلى أبي قبيس فأخذ حجراً فدهدهه من الجبل فما ترك داراً من دور قريش إلاَّ أصابته منه فلذة ، فانتبهت فزعة من ذلك فأخبرت العباس فأخبر العباس عتبة بن ربيعة ، فقال عتبه هذه مصيبة تحدث في قريش وفشت الرؤيا فيهم وبلغ ذلك أبا جهل ، فقال : هذه نبية ثانية في بني عبد المطلب واللات والعزى لننتظرن ثلاثة أيام فإن كان ما رأت حقاً وإلاَّ لنكتبن كتاباً بيننا أنه ما من أهل بيت في العرب اكذب رجالاً ولا

نساء من بني هاشم ، فلما كان اليوم الثالث أتاهم ضمضم ينادي يا آل غالب يا آل غالب اللطيمة العير العير أدركوا وما رآكم تدركون أن محمداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم فتهيأوا للخروج وما بقي أحد من عظماء قريش إلاَّ أجهز ما لا لتجهيز الجيش وقالوا من لم يخرج نهدم داره وخرج معهم العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب وأخرجوا معهم الفتيان يضربون الدفوف وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، فلما كان بقرب بدر أخذ عيناً للقوم وأخبره بهم ، ولما بلغ أصحاب النبي ﷺ كثرة قريش فزعواواستغاثوا وتضرعوا فأنزل الله ﴿إذ تستغيثون﴾ الآية .

قال ابن عباس : لما كان يوم بدر واصطف القوم للقتال قال أبو جهل : اللَّهمَّ أولانا بالنصر فانصره واستغاث المسلمون فنزلت الملائكة ونزل قوله تعالىٰ : ﴿إذ تستغيثون﴾ الآية .

ولما نظرت قريش إلى قلّة أصحاب رسول الله ﷺ قال أبو جهل : ما هم إلاَّ أكلة رأس لو بعثنا إليهم عبيدنا لجاؤنا بهم وأخذوهم أخذاً باليد، وقال عتبة : أترى لهم كميناً أو مدداً فطاف عمرو بن وهب الجمحي على عسكر رسول الله ، ثم رجع وقال : ما لهم كمين ولا مدد ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع أما ترونهم خرساً لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الأفاعي ما لهم ملجأ إلاَّ سيوفهم ، وما أراهم يولون حتى يقتلوا ولا يقتلون حتى يقتلوا بعددهم فارتاؤا رأيكم فقال له أبو جهل : كذبت وجبنت وخطب عتبة بن ربيعة فقال في خطبة : يا معاشر قريش إن محمداً هو إبن عمكم فخلوه ، فإن يك صادقاً فأنتم أعلا عيناً به وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره ، فغاظ أبا جهل قوله وقال له : جبنت ، فقال : يا مصفر أسته مثلي يجبن ستعلم قريش أينا الئم واجبن ولبس درعخ وتقدم هو وأخوه شيبة وابنه الوليد ، وقال : يا محمد أخرج إلينا اكفائنا من قريش فبرز إليه

ثلاثة نفر من الأنصار وانتسبوا لهم فقالوا : إرجعوا إنما نريد الأكفاء من قريش .

فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وقال : قم يا عبيدة ونظر إلى حمزة بن عبد المطلب ، فقال : قم يا عم ، ثم نظر إلى علي بن أبي طالب ، فقال : قم يا علي فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطفيء نور الله ويأبىٰ الله إلاَّ أن يتم نوره ، ثم قال : يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة ، وقال لحمزة : عليك بشيبة ، وقال لعلي : عليك بالوليد فمروا حتى انتهوا إلى القوم فقالوا : أكفاء كرام فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطنها فسقطا جميعاً وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد فضربه على عاتقه فأخرج السيف من أبطه قال علي عليه السلام : لقد أخذ الوليد يمينه بشماله فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت على الأرض ثم اعتنق حمزة وشيبة فصاح المسلمون يا علي أما ترى الكلب بهر عمك فحمل عليه علي ، فقال : يا عم طأطيء رأسك وكان حمزة أطول من شيبة فادخل حمزة رأسه في صدره فضربه علي فطرح نصفه ثم جاء علي عليه السلام إلى عتبة وبه رمق فاجهز عليه ، وفي ذلك تقول هند بنت عتبة :

أبي وعمي وشقيقي بكري بهم قصمت يا علي ظهري

وحمل عبيدة حمزة وعلي حتى أتيا به رسول الله فاستعبر صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ألست شهيداً ؟ قال : بلىٰ أنت أول شهيد من أهل بيتي ، فقال : إذن لا أُبالي بالموت فنادى أبو جهل بقريش لا تعجلوا ولا تبطروا كما بطر أبناء ربيعة . عليكم بأهل يثرب فأجزرهم جزراً وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً حتى ندخلهم مكة فنعرفهم ضلالتهم التي هم عليها .

وجاء إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جشعم فقال لهم : أنا جار لكم ادفعوا إلى رايتكم فدفعوها إليه فنظر إليه النبي ﷺ فقال لأصحابه : غضوا أبصاركم وعضوا على النواجذ ورفع يده وقال : يا رب أن تهلك هذه العصابة لا تعبد ، ثم أصابه الغشي فسرىٰ عنه وهو يسلت العرق عن وجهه وقال هذا جبرائيل عليه السلام قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين ولما رآى إبليس الملائكة فر على وجهه فصاح المشركون إلى أين يا سراقة فصاح إني أرىٰ ما لا ترون وغاب عن أعينهم وأقبل أبو جهل على أصحابه يحضهم على القتال ويقول : لا يغرنكم خذلان سراقة بن جشعم إياكم فإنما كان على ميعاد من محمد وأصحابه سيعلم إذا رجعنا إلى فديد ما نصنع بقومه ولا يهولنكم مقتل عتبة وشيبة والوليد فإنهم عجلوا وبطروا حين قاتلوا ، وأيم الله لا نرجع اليوم حتى نقرن محمداً وأصحابه في الجبال فلا ألفين أحداً منكم قتل منهم أحداً ولكن خذوا خذاً لنعرفهم بالذي صنعوا لفارقتهم دينكم ورغبتهم عما كان يعبد آباؤهم .

قال : ونادى رسول الله : اللّهمَّ لا يفوتنك فرعون هذه الأُمة يعني أبا جهل لعنه الله اللّهمَّ اكفني نوفل بن خويلد ، قال : وتدرع أبو جهل بدرعه والتمس بيضته يدخلها رأسه ، فما وجد من عظم هامته فخرج معتجراً بيرد له وهو يقول والله لا أرجع حتى يحكم بيننا وبين محمد وجال بين الصفين كأنه الشيطان الرجيم وارتجز يقول :

ما تنقم الحرب العوان مني بأزل عامين حديث سن
لمثل هذا ولدتني أُمي

قال : وأمر رسول الله أن لا يحملوا حتى يأمرهم وخرج ﷺ وهو يقول : (سيهزم الجمع ويوّلون الدبر) وحرض المسلمين وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلاَّ أدخله الله الجنة .

فقال عمير بن الحمام : الأنصاري بخ بخ ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلاَّ أن يقتلني هؤلاء ، ثم قاتل حتى قتل ، ثم رمى حارثة بن مراقة الأنصاري فقتل وقاتل عوف بن عفراء حتى قتل واقتتل الناس قتالاً شديداً وكان كل من قتل من المشركين يصيح قتلني علي بن أبي طالب ، فسأل النبي فقال : يريهم الله الملائكة على صورة علي لأن ذلك أهيب لقلوبهم وأخذ رسول الله حفنة من التراب ورمى بها قريشاً وقال : شاهت الوجوه ، وقال لأصحابه : شدوا عليهم فقتل من المشركين وأسر من أسر منهم قال عبد الرحمن بن عوف : كنت واقفاً في الصف فأتاني غلامان حديثة أسنانهما فغمزني أحدهما فقال : يا عم هل تعرف أبا جهل ؟ قلت : نعم ، وما حاجتك إليه يابن أخي ، قال : بلغني أنه سب رسول الله والذي نفسي بيده لو رأيته لم يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا ، قال : فغمز في الآخر فقال لي : مثلها فتعجبت لذلك ، فلم أشعر إذ نظرت إلى أبي جهل لعنه الله يجول في الناس فقلت لهما : ألا تريان هذا صاحبكما الذي تسألان عنه فابتدراه بسيفهما فاستقبلهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله فقال : أيكما قتله ؟ فقال : كل واحد منهما أنا قتلته ، قال : هل مسحتما سيفكما ؟ قالا : لا فنظر رسول الله في السيفين فقال : كلا كما قتله .

وروي أن معاذ بن عفراء ضرب أبا جهل هو وأخوه عوف بن الحرث ، حتى أتياه فعطف عليهما فقتلهما ثم وقع صريعاً فركض إليه إبن مسعود, فوجده بآخر رمق قال : فوضعت رجلي على عنقه ، ثم قلت : هل أخزاك الله يا عدوا الله ؟ قال : وبما أخزاني أأعمد من رجل قتلتموه أخبرني لمن الدائرة ، قلت : لله ولرسوله ، فقال : لي لقد أرتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعباً ، قال : فقلت إني قاتلك ، فقال : ما أنت بأول عبد قتل سيده أما والله أشد شيء لقيته اليوم قتلك إياي إلاَّ قتلني رجل من الطيبين الأحلاف فضربه بسيفه فوقع رأسه بين

رجليه فحمله إلى رسول الله فسجد شكراً لله .

ويحكىٰ أن أبا جهل قال يوماً لعبد الله بن مسعود لأقتلنك فأجابه أني رأيت في المنام أني كنت أضرب بحدج الحنظل على قفاك فإن صدقت الرؤيا لأذبحنك ذبح الشاة ، فقال رسول الله : من يتأول على الله يكذبه وفي يوم بدر كان ابن مسعود يدور على القتلىٰ ومن كان به رمق يجهز عليه قال : فوجدت أبا جهل وقد دس نفسه في القتلىٰ فوضعت قدمي على ظهره فعلوته فنظر إليّ وقال : يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعباً ، ثم قال لي : لقد علمت أنك قاتلي ولكن لي إليك ثلاث حاجات أن تقتلني بسيفي فإن سيفك كليل وأن تقطع رأسي من الصدر وأن تقول لمحمد ما لمت نفسي على عداوتك قال : فقلت والله لا أقتلك إلاَّ بسيفي هذا الكليل وأما قطع رأسك فوالله لا أقطعه إلاَّ من الذقن ، وأما عداوة رسول الله فالله أعدى لك، ثم حزَّ رأسه وأراد أن يحمله فلم يمكنه ولم يقو عليه فشد عليه حبلاً وجعل يحبره على الأرض ، فقال له رسول الله : هذا تأويل رؤياك من يتأول على الله يكذبه أشار إلى قول أبي جهل لعبد الله بن مسعود .

وقتل أمير المؤمنين في هذه الغزوة من مشاهير شجعان قريش جماعة منهم العاص بن سعيد بن العاص وحنظلة بن أبي سفيان وطعيمة بن عدي ونوفل بن خويلد ، فكان عليه السلام تولىٰ شطر المقتولين والمسلمون مع الملائكة الشطر الآخر وكان الختام بتناول النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفا من الحصا ورماه في وجوه المشركين قائلا : شاهت الوجوه فولوا الدبر وأسر المسلمون جمعاً من المشركين فيهم العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهؤلاء أسرهم أمير المؤمنين عليه السلام وعن أبي بردة قال : جئت يوم بدر بثلاثة رؤوس وضعتها بين يدي رسول الله ، فقلت : يا رسول الله أما إثنان فقتلتهما ، وأما الثالث فإني رأيت رجلاً طويلاً أبيض ضربه فتدهده أمامه فأخذت رأسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ذاك فلان من الملائكة وكان

ابن عبـاس يقول كـان الملك يتصور في صـورة من يعرفـه المسلمون من الناس .

ويروى أن أكثرهم تصوروا بصورة علي عليه السلام .

غـزوة أُحد

وهي تلت بـدراً ، وكان قـدوم قـريش يـوم الخميس لخمس خلون من شـوال والواقعـة يوم السبت لسبـع خلون منه سنـة ثـلاث من الهجـرة وكان أصحاب رسول الله سبعمائـة والمشركـون ثلاث آلاف فـارس وألفي راجـل ، واخـرجـوا معهم النسـاء يحـرضن على حـرب رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخـرج أبـو سفيـان هنـد بنت عتبـة وخـرجت معهم عمـرة بنت علقمـة الحارثية .

وكانت راية رسـول الله بيد أميـر المؤمنين كما كـانت بيده يـوم بدر وكان له الفتح في هذه كمـا كان يـوم بدر وكـانت الألويـة من قريش بيـد بني عبـد الدار ورايـة المشركين مـع طلحـة بن أبي طلحـة وكـان يـدعى كبش الكتيبة فجاء أبو سفيان إلى أصحاب الألويـة وقال إنكم قـد تعلمون أن القـوم تؤتى من قبل ألـويتهم وإنكم أتيتم يوم بـدر من قبل ألـويتكم ، فـإن كنتم تـرون تضعفـون عنهـا فـادفعـوهـا إلينـا نكفيكمـوهـا ، فغضب طلحـة بن أبي طلحـة وقـال : ألنـا تقـول هـذا والله لأوردنكم بهـا اليـوم حيـاض المـوت فتقـدم ، وتقـدم علي بن أبي طـالب فقـال : من أنت ؟ قـال : أنا طلحـة بن أبي طلحة أنـا كبش الكتيبـة فمن أنت ؟ قـال : أنـا علي بن أبي طـالب بن عبد المـطلب ، فقـال : كفـو كـريم ، ثم تقـارنـا

فـاختلف بينهما ضـربتان فضـربه علي بن أبي طـالب ضـربـة على مقـدم رأسـه فبدرت عينـاه وصاح صيحـة لم يسمع مثلهـا وسقط اللواء من يـده فـأخذه أخ لـه يسمىٰ مصعب فرمـاه عاصم بن ثـابت بسهم فقتله فأخـذها عبد لهم يُقال له صواب وكان من أشد النـاس فضربه عليّ على يده اليمنى فقطعها فأخذها بيده اليسرى فضربهـا عليّ فقطعهـا فأخـذها على صـدره وجمع بين يديـه وهما مقـطوعتان فضـربه علي على رأسـه فسقط صريعـاً وانهزم القوم .

وفي روايـة الـواقـدي : أول من دعىٰ للبـراز طلحـة فبـرز إليـه علي بن أبي طـالب فقال لـه : يـا قضم قـد علمت لا يجسـر عليّ أحـد غيـرك ، ثم شـدّ عليـه فـاتقـاه علي بـالجحفـة ثم ضـربـه على فخـذيـه فقطعهما جميعاً وسقطت الـراية فـذهب علي ليجهز عليـه فناشـده الرحم فانصرف عنـه ، ولما قتـل طلحة سـر رسول الله وكبَّـر تكبيراً عـالياً وكبَّـر المسلمون ، ثم أخذ الـراية أبـو سعيد بن أبي طلحـة فقتله علي وسقطت الـراية إلى الأرض ، فـأخذهـا عثمان بن أبي طلحـة فقتله علي وسقـطت الراية إلى الأرض ، فـأخذهـا مسافـع بن أبي طلحة فقتله علي وسقـطت الراية إلى الأرض ، فـأخذهـا الحارث بن أبي طلحـة فقتله علي وسقطت الـرايـة إلى الأرض ، فـأخـذهـا عـزيـز بن عثمـان فقتله عغلي وسقـطت الـرايـة إلـى الأرض ، فـأخـذهـا عبـد الله بـن جميـلة بـن زهـيـر فـقتـله علي وسـقـطت الـرايـة إلـى الأرض ، فـأخـذهـا مـولاهـم صـواب فضربـه علي على يمينه فقـطعها وسقـطت الرايـة إلى الأرض ، فأخذها بشماله فضربه أمير المؤمنين على شماله فقـطعها وسقـطت الرايـة إلى الأرض فـاحتضنها بيـديه المقـطوعتين وصاح يـا بني عبد الـدار هـل أعـذرت فيما بيني وبينكم فضـربه علي على رأسـه فقتله وسقطت الـراية إلى الأرض ، واقتتـل النـاس حتى حميت الحـرب وصـار أميـر المؤمنين يضرب يميناً وشمـالاً حتى انهزم المشـركون وولـوا الدبـر ، قال : وأكب المسلمـون على الغنـائم فلمـا رأى أصحـاب الشعب النـاس يغتنمـون

قالوا : يـذهب هؤلاء بالغنـائم ونبقى نحن ، فقالـوا لعبد الله بن عمـر بن حازم الذي كان رئيساً عليهم : نـريد أن نغنم كمـا غنم الناس ؟ فقـال : إن رسول الله أمرني أن لا أبـرح من موضعي هـذا ، فقالـوا : أمرك بهـذا وهو لا يدري أن الأمر يبلغ إلى ما تـرىٰ ؟ ومالـوا إلى الغنائم وتـركوه فلم يبرح هو من مـوضعه وحمـل عليه خـالد بن الـوليد فقتله وجـاء خالـد من ظهـر رسول الله يـريده فنـظر إلى النبي في حف من أصحـابـه ، فقـال : لمن معـه دونكم هذا لـذي تـطلبـون فشـأنكم بـه ، فحملوا عليـه حملة رجل واحد ضربا بالسيوف وطعنا بالرماح ورضخا بالحجـارة ورميا بـالنبال وجعـل أصحاب النبي يقـاتلون عنه حتى قُتـل منهم سبعـون رجـلاً فنـظر صلى الله عليه وآله وسلم إلى أميـر المؤمنين عليه السلام وهو يضـرب بالسيف وقـد كـان صلى الله عليه وآله وسلم أُغمي عليـه مما نـاله ، فقـال : يا علي مـا فعل النـاس ؟ قال : نقضـوا العهد وولـوا الدبـر ، قال : فـاكفني هؤلاء الذين قصـدوا قصدي فحمـل عليهم أميـر المؤمنين فكشفهم ، ثم عاد إليـه وقد حملوا عليـه من ناحيـة أُخرىٰ فكـرَّ عليهم أبو الحسن فكشفهم ، وأبو دجـانـة وسهـل بن حنيف قـائمـان على رأسه بيد كل واحد منهم سيفـه ليذب عنـه ورجع إليـه من أصحابـه المنهـزمين أربعة عشـر نفـراً منهم طلحـة بن عبيـد الله وعـاصم بن ثـابت وصعـد الباقـون الجبل فصـاح صـائـح بـالمـدينـة قتـل رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانخلعت القلوب لذلك وتحير المنهزمون وأخذوا يميناً وشمالاً .

قال زيد بن وهب : قلت لابن مسعـود انهزم النـاس عن رسول الله حتى لم يبق إلاَّ عليّ عليه السلام وأبو دجانة وسهل بن حنيف فـأين كان أبـو بكر وعمر ، قال : كانا ممن تنحىٰ ، قلت : فـأين كان عثمـان ؟ قال : جـاء بعـد ثلاثـة من الـوقعـة ، فقـال لـه رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لقـد ذهبت فيهـا عـريضـة ، قـال فقلت لـه : أين كنت ؟ قـال : كنت ممن أتىٰ ، قـال فقلت له : إن ثبوت علي عليه السلام في ذلك المقام لعجب؟ قال: ان تعجبت من ذلك فقـد تعجبت منـه المـلائكـة، فقـال: أمـا علمت أن جبـرائيـل عليه السلام قـال في ذلـك اليـوم وهـو يعـرج إلى السمـاء لا سيف إلاَّ ذو الفقـار ولا فتىٰ إلاَّ

علي ، فقلت ومن أين علم ذلك من جبرائيل ؟ قال : سمع الناس صاحاً يصيح في السماء بذلك فسألوا النبي عنه؟ فقال : ذلك جبرائيل .

وفي هذه الغزوة قتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحزن عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام وكانت هند بنت عتبة أعطيت وحشياً وهو عبد لجبير بن مطعم أن تعطيه ما يرضيه إن قتله أو قتل النبي أو علياً ، فلما أتته هند وشقت بطنه وأخذت كبده وجعلتها في فمها ولاكتها فحولها الله وصارت كالحجر فلفظتها ورمت بها إلى الأرض ، ثم مثلت بحزة شر تمثيل ، ولما وقف عليه رسول الله بكىٰ وقال : والله ما وقفت موقفاً هو أغيظ عليّ من هذا لأن مكنني الله من قريش لأمثلن بسبعين رجلاً منهم فنزلت عليه هذه الآية : ﴿**فإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولأن صبرتم فهو خير للصابرين**﴾ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : بل أصبر وفي هذه الغزوة غنم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غنائم كثيرة من المشركين بعدما فتح الله عليهم .

غـزوة الخندق

كانت في سنة خمس من الهجـرة ، جمع قـريش العرب وحـرضوا الناس على حرب رسـول الله وكان ﷺ أجـلا بني النضير وهم بـطن من اليهـود من المدينـة وساروا إلى خيبـر فخرج رئيسهم حي بن أخـطب إلى قـريش بمكة وعـاهـدهم على حـرب النبي وقـال لهم : إنـه قـد بقي من قومه سبعمـائة نفـر في المدينـة وهم بنو قـريظة وبينهم وبين محمـد عهد وميثـاق وأنه يحملهم على نقض العهـد ليكـونـوا معهم ، فسـار معـه أبـو سفيـان وغيره من رؤساء قـريش في قبـائـل العـرب حتى اجتمـع على قتـال النبي قـدر عشرة آلاف مقـاتل من قـريش كنانـة والأقـرع بـن حـابس في قــومـه ، وعبــاس بن مــرداس في بني سليم ، فبلغ ذلــك رســول الله فـاستشار أصحـابه وكـانوا سبعمـائة رجـل فأجمـع رأيهم على المقام في المـدينـة وحـرب القـوم إذا جـاؤوا إليهم فقبـل منهم النبي ذلـك ، فقـال سلمـان : يا رسـول الله إن القليل لا يقـاوم الكثير ، قـال: ماذا نصنـع ؟ قال : نحفر خندقاً يكـون بينك وبينهم حجـاباً فيمكنـك منعهم المطاولـة ولا يمكنهم أن يأتونا من كل وجه فإنـا كنا معـاشر العجم في بـلاد فارس إذا دهمتنـا دهماء من عـدونا نحفـر الخنادق فيكـون الحرب من مـواضـع معروفة فنزل جبرائيل على رسول الله فقال : أشار سلمان بالصـواب فأمـر

ﷺ بمسحه من ناحية أحد إلى رانج وجعل على كل عشرين خطوة وثلاثين خطوة قوماً من المهاجرين والأنصار يحفرونه فأمر وحملت المساحي والمعاول وبدأ رسول الله بنفسه وأخذ معولاً فحفر في موضع المهاجرين وأمير المؤمنين ينقل التراب من الحفرة حتى عرق رسول الله وعي وقال : لأعيش إلاَّ عيش الآخرة ، اللَّهمَّ إغفر للأنصار والمهاجرين .

فلمّا نظر الناس إلى رسول الله يحفر اجتهدوا في الحفر ونقل التراب فلما كمل الخندق أقبلت قريش ومعهم اليهود ، فلما نزلوا العقيق جاء حي بن أخطب إلى بني قريضة في جوف الليل وكان موضعهم من المدينة على قدر ميلين وهو الموضع الذي يسمىٰ ببئر بني المطلب ، وكان لهم حصن قد أغلقوه وتمسكوا بعهد رسول الله فدق باب الحصن فسمع كعب بن أسيد فقال لهٗ : من أنت ؟ قال : حي بن أخطب قد جئتك بعز الدهر ، فقال كعب : بل جئتني بذل الدهر، فقال : يا كعب هذه قريش في قادتها وسادتها قد نزلت بالعقيق مع حلفائهم من كنانة وهذه فزارة مع قادتها وسادتها قد نزلت الرعاية وهذه سليم وغيرهم قد نزلوا حصن بني ذبيان ولا يفلت محمد وأصحابه من هذا الجمع أبداً فافتح الباب وانقض العهد بينك وبين محمد فطال بينهما الجدال حتى أمر كعب بفتح باب الحصن فدخل حي بن أخطب ، فقال : ويلك يا كعب انقض العهد الذي بينك وبين محمد ولا ترد رأي فإن محمداً لا يفلت من هذا الجمع أبداً فإن فاتك هذا الوقت لم تدرك مثله أبداً ، واجتمع كل من كان في الحصن من رؤساء اليهود فقال لهم كعب : ما ترون ؟ قالوا : أنت سيدنا والمطاع فينا وصاحب عهدنا وعقدنا فإن نقضت نقضنا معك ، وإن أقمت أقمنا معك وإن خرجت خرجنا معك .

وقال زهير بن ناطا : وكان شيخاً كبيراً مجرباً قد ذهب بصره قرأت في التوراة التي أنزلها الله يبعث نبي في آخر الزمان يكون

مخرجه بمكة ومهجره إلى المدينة يركب الحمار العري ويلبس الشملة ويجتزىء بالكسيرات والتميرات وهو الضحوك القتال في عينيه حمرة وبين كتفيه النبوة يضع سيفه على عاتقه لا يبالي بمن لاقىٰ يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر فإن كان هذا هو فلا يهولنه هؤلاء وجمعهم ولو نرىٰ على هذه الجبال الرواسي لغلبها ، فقال : حي ليس هذا ذاك . ذلك النبي من بني إسرائيل وهذا من العرب من وُلد إسماعيل ولا يكون بنو إسرائيل أتباعاً لولد إسماعيل أبداً لأن الله قد فضلهم على الناس جميعاً وجعل منهم النبوة والملك ، وقد عهد إلينا موسىٰ أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار وليس مع محمد آية وإنما جمعهم جمعاً وسحرهم ويريد أن يغلبهم بذلك فلم يزل حي يقلبهم عن رأيهم حتى أجابوه وأخرجوا له كتاب العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله فمزقه وقال : تجهزوا للقتال ، ورجع إلى قريش وأخبرهم بنقض بني قريظة العهد ففرحوا بذلك وجاء نعيم بن مسعود إلى رسول الله وكان أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة أيام ولم تدر قريش بإسلامه فاستأذنه أن يخذل بني قريش واليهود فأذن له فجاء إلى أبي سفيان وقال : بلغني أن محمداً قد وافق اليهود أن يدخلوا بين عسكركم ويميلوا عليكم ووعدهم أن يرد عليهم جناحهم الذي قطعه بنو النظير وقينقاع فلا يدخلوا عسكركم حتى تأخذوا منهم رهناً من الرجال لتأمنوا مكرهم وغدرهم ، فقبل منه أبو سفيان ذلك وأخبر قريشاً فصمموا على أخذ الرهن من اليهود ، وجاء نعيم إلى بني قريضة فقال لكعب : تعلم مودتي لكم وقد بلغني أن أبا سفيان قال نخرج هؤلاء اليهود ونضعهم في نحر محمد فإن ظفروا كان الذكر لنا دونهم وإن كانت علينا كانوا هؤلاء مقاديم الحرب فخذوا منهم رهناً عشرة من أشرافهم يكونون في حصنكم إن لم يظفروا بمحمد يردوا عليكم بين محمد وبينكم لئلا يغزوكم محمد ويقتلكم إن ولت قريش فقالوا : أحسنت وأبلغت في النصيحة لا يخرج حتى نأخذ منهم رهناً ولم يخرجوا .

وأقبلت الأحزاب فهال المسلمين أمرهم وكان أكبر همٍّ دخل المسلمين أن عمرو بن عبد ودّ العامري الذي كانت العرب تضرب بشجاعته المثل كان مع المشركين وكان عدد المشركين ثمانية عشر ألفاً والمسلمون ثلاثة آلاف والمسلمون كأن على رؤوسهم الطير لمكان عمرو ، وكان النبي يدعو الله على الأحزاب بالهزيمة ويشجع المسلمين وأقبل عمرو بن عبد ود مع جمع من الفوارس منهم عكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب ومرداس الفهري ونوفل بن عبد الله ، ولما رأوا الخندق قالوا : مكيدة ما كانت العرب تكيدها ، ثم ضربوا خيولهم فاقتحمت بهم الخندق وجاءت بهم فيما بين الخندق وسلع والمسلمون وقوف لا يقدم أحد منهم عليهم وجعل عمرو بن عبد ود يدعو إلى البراز ويعرض المسلمون فركز رمحه في الأرض وأقبل يجول جولة ويرتجز ويقول :

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن الشجاع مواقف القرم المناجز
إني كذلك لم أزل متسرعاً نحو الهزاهر
إن الشجاعة في الفتىٰ والجود من خير الغرائز

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لهذا الكلب فلم يجبه أحد من المسلمين .

قال الكراجكي رحمه الله : قال النبي ثلاث مرّات أيكم يبرز إلى عمرو وأضمن له على الله الجنة وفي كل مرّة كان يقوم علي عليه السلام والقوم ناكسوا رؤوسهم .

قال : علي بن إبراهيم فوثب إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أنا له يا رسول الله ، فقال : يا علي هذا عمرو بن ود فارس بليل ، قال عليه السلام : وأنا علي بن أبي طالب ، فقال له رسول الله : إدن مني فدنا منه فعممه بيده ودفع إليه ذا الفقار وقال اذهب وقاتل بهذا ، وقال :

اللَّهمَّ أحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فمر أمير المؤمنين يهرول وهو يقول :

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذونية وبصيرة والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى صيتها بعد الهزائز

قال عمرو : ومن أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله وختنه ، فقال : والله إن أباك كان لي صديقاً وإني أكره أن أقتلك ما آمن ابن عمك حين بعثك إليّ أن أختطفك برمحي هذا فأتركك بين السماء والأرض لا حي ولا ميت ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : قد علم ابن عمي أنك إن قتلتني دخلت الجنت وأنت في النار وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة ، فقال عمرو : كلتاهما لك يا علي تلك إذن قسمة ضيزى ، فقال له : دع عنك هذا يا عمرو أني سمعتك وأنت متعلق بأستار الكعبة تقول لا يعرض عليّ أحد بثلاثة خصال إلَّا أجبته إلى واحدة منها وأنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجبني إلى واحدة ! فقال : هات يا علي ، فقال : الأولىٰ أن تشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمداً رسول الله ، قال : نح عني هذا ،قال فالثانية : أن ترجع وترد هذا الجيش عن رسول الله فإن يك صادقاً فأنتم أعلا به عيناً وأن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره ، فقال : إذن تتحدث نساء العرب بذلك وتنشد الشعراء بأشعارها إني جبنت عن الحرب ورجعت على عقبي وخذلت قوماً رأسوني عليهم ، فقال له أمير المؤمنين : فالثالثة أن تنزل إليّ فإنك راكب وأنا راجل حتى أنابذك ، فوثب عن فرسه وعرقبه وقال : هذه خصلة ما ظننت أحداً من العرب يسومني عليها ثم بدأ فضرب أمير المؤمنين بالسيف على رأسه فاتقاه أمير المؤمنين بالدرقة فقطعها وثبت السيف على رأسه ، فقال له أمير المؤمنين : يا عمرو أما كفاك إني بارزتك وأنت فارس العرب حتى

استعنت عـلي ظهيـر فـالتفت عمـرو إلى خلفـه فضـربـه أميـر المؤمنين مسرعـاً على سـاقيـه فقـطعهمـا جميعـاً وارتفعت بينهمـا عجـاجـة فقـال المنـافقون : قتـل علي بن أبي طالب ، ثم انكشفت العجـاجة وإذا أميـر المؤمنين على صدر عمرو قد أخذ بلحيته يحز برأسه ، فلمـا ذبحه أخـذ رأسـه وأقبل إلى رسـول الله والدمـاء تسيل على رأسـه من ضـربـة عمـرو وسيفه يقطر منه الدم وهو يقول والرأس بيده :

أنـــا علي وابن عبـد المـــطلب المـوت خير للفتىٰ من الهـرب

فقـال رسول الله : يـا علي ما كـرتـه ؟ فقـال : نعم يـا رسـول الله الحرب خديعة .

قـال : جمـاعـة ، منهم الكـراجكي فلمـا بـرز أميـــر المؤمنين إلى عمـرو قـال رسـول الله : بـرز الإيمـان كله إلى الشـرك كله ، فمـــا كـان أسـرع إلى أن صـرعـــه علي وجلس على صـدره فقـــال لـه لمـــا هم أن يذبحه : يـا علي قد جلست مني مجلسـاً عظيمـاً فإذا قتلتني فـلا تسلبني حلتي ، فقـال : هي أهـون علي من ذلـك ، وذبحـه وأتى بـــرأسـه إلى النبي فاستقبله صلوات الله عليه وآله وسلّم وجعل يمسح الغبار عن عينيـه وقال له : يا علي لو وزن اليوم عملك بعمل جميع أمة محمـد وذلك أنـه لم يبق بيت من المشـركين إلاّ وقـد دخله ذل بقتـــل عمـرو ولم يبق بيت من المسلمين إلاّ وقـد دخله عز بقتـل عمرو ، أمـا أصحاب عمـرو الذين كـانوا معـه لما رأوا مـا حـل بصـاحبهم انهـزمـوا حتى اقتحمت خيـولهم الخنـدق وتبادر أصحـاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينـظرون إليهم فـوجـدوا نـوفـل بن عبـد الله في جوف الخنـدق لم ينهض به فـرسه فـرموه بـالحجارة فصـاح قتله أجمـل من هذه فنـزل إليه أميـر المؤمنين فقتله ولحق هبيـرة وضـرب قـربوس سـرجه وسقـطت درع كانت لـه ونجىٰ البقيـة فلمـا رآهم قـومهم وهت عزائمهم ولم يجدوا بداً من الهزيمـة والفرار كمـا قال الله تعـالىٰ : ﴿**ورد الله الذين كفروا بغيـظهم وكفىٰ الله المؤمنين القتال وكـان الله قويـاً**

عزيزاً﴾ .

ولما نعي عمرو إلى أخته شقت جيبها وجاءت إلى مصرعه وجلست عند رأسه فلما نظرت إليه غير مسلوب قالت : من قتله ؟ فقيل علي بن أبي طالب عليه السلام فانشدت :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنت أبكي عليه دائم الأبد
لكن قاتله من لا يعاب به وكان يدعي أبوه بيضة البلد

ووقع الوهن في المشركين وكفىٰ الله المؤمنين القتال بعلي .

غـزوة خيبر

كانت في ذي الحجة سنة ست من الهجرة بعـد الحديبيـة وقيل في جمـادي الأولى سنة سبـع حاصـر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيبـراً بضعاً وعشـرين ليلة وكـانت الـرايـة يـومئـذ لأميـر المؤمنين عليه السلام فلحقـه رمـد فمنعـه عن الحـرب وكـان المسلمـون يتنـاوشـون اليهـود من بين أيـدي حصـونهم وجبنـاتها ، فلمـا كان ذات يـوم فتحوا البـاب وقـد كـانـوا خنـدقـوا على أنفسهم خندقاً وخرج مرحب بنفسه يتعرض للحـرب فدعى رسـول الله أبا بكر وقال : خذ الراية فأخذها في جمع من المهاجـرين والأنصار فـاجتهد فلن يغن شيئاً وعاد يؤنب القوم الذين اتبعـوه ويؤنبونـه فلما كـان من الغد تعرض لها عمر فسار بها غير بعيـد فعاد يجبن أصحـابه ويجبـونه فقـال : ليست الـراية لمن حملهـا جيئوني بعلي بن أبي طـالب فقيل لـه إنه أرمـد فقـال : أرونيـه تـروني رجـلاً : يحب الله ورسـولـه ويحبـه الله ورسـولـه يأخذها بحقها كرار وليس فرار .

وروي ابن شهرآشوب : عن جمـاعة من أهـل العلم يزيـدون على سبعين نفراً أنه لمـا خرج مـرحب برجله وبعث النبي أبـا بكر وعمـر وكان ما كان من أمرهما بحسب ما تقدم قال النبي : لأعطين الـراية غـداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار يأخذها عنوة .

وفي صحيح البخاري ومسلم بات الناس يـذكرون ليلتهم أيهم يعـطاها ، فلما أصبح الصبح غدوا على رسـول الله كلهم يرجـوا أن يعطاهـا فقال : أين علي بن أبي طـالب ؟ فقالـوا : هـو يشتكي عينيـه ، قـال : فـارسلوا إليـه فأتي بـه فتفل في يـده ومسحها على عينيـه ودعا لـه فبرىء فـأعـطاه الراية ، قـال : وكانت رايـة بيضاء ، وقـال له : خـذ الرايـة وامضِ بها فإن جبرائيل معك والنصر أمامك والرعب مثبـوت في صدور القـوم واعلم يـا علي أنهم يجدون في كتـابهم أن الذي يـدمر عليهم اسمـه إيليـا فـإذا لقيتهم فقـل أنـا علي فـإنهم يخـذلـون إن شـاء الله تعـالىٰ ، قـال أميـر المؤمنين : فمضيت بهـا حتى أتيت الحصـون فصحت أنـا علي بن أبي طـالب فخرج مـرحب وعليه مغفـر وحجر قـد ثقبـه مثـل البيضـة على ام رأسه وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أني مرحب　　شاكي السلاح بـطل مجرب
أطعن أحيـاناً وحينـاً أضرب　　إذ الليـوث أقبـلت تلتـهب

فقـلت :

أنـا الـذي سمتني أُمي حيـدرة　　ضـرغـام آجـام وليث قسـوره
على الأعادي مثل ريح صرصره　　أكيلكم بـالسيف كيل السنـدره
أضرب بالسيف رقاب الكفرة

روي أنه لما سمعها مرحب هرب لأنه كـانت له ظئـر وكانت كـاهنة تعجب بشأنه وعـظم خلقه وتقـول له : قـاتل كـل من قاتلك وغـالبك إلاَّ من تسمىٰ عليـك بحيدرة فـإنك إن وقعت لـه هلكت ، قال : فتمثـل لـه إبليس في صـورة حبر من أحبـار اليهـود ، فقـال : إلى أين يـا مـرحب ؟ فقـال : قـد تسمى علي هـذا القـرن بحيـدرة ، فقـال لـه إبليس : فمـا حيدرة إلاَّ هذا وحده لما كان مثلك يرجـع عن مثله ، تأخـذ بقول النسـاء وهن يخـطئن بأكثـر مما يصبن وحيـدرة في الدنيـا كثير فـإن قتلته سـدت قـومك وأنـا في ظهرك استصـرخ اليهود فرد مرحب قال: أمير المؤمنين عليه السلام

فـاختلفنا ضـربتين فبدرتـه فضربتـه فقددت الحجـر والمغفر ورأسـه حتى وقع السيف في أضراسه فخر صريعاً .

وروي : أحمد بن حنبل أنـه سمع أهـل العسكر صـوت ضربتـه ، ولمـا قتـل أميـر المؤمنين عليه السلام مـرحبـاً رجـع من كـان معـه وأغلقـوا بـاب الحصنُ عليهم فصار أمير المؤمنين عليه السلام فعـالجه حتى فتحـه وأكثر النـاس من جـانب الخنـدق لم يعبـروا معـه فـأخـذ أميـر المؤمنين بـاب الحصن وجعله على الخنـدق جسـراً لهم حتى عبـروا وظفـروا بـالحصن ونـالـوا الغنائم ، فلما انصرفوا أخذ أمير المؤمنين البـاب بيمناه فـدحى به أذرعـاً من الأرض وكـان هـذا البـاب يغلقـه عشـرون رجـلاً منهم ، هـذه روايـة أحمـد والصحيح سبعـون كما في الخبـر قيل أن البـاب كان يغلقـه أربـع وأربعون رجلاً قال ابن أبي الحديد :

يا قالـع الباب التي عن فتحهـا عجـزت أكف أربعـون وأربـع

قال الواقـدي : فوالله مـا بلغ عسكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخيـراه حتى دخل علي حصـون اليهـود كلهـا وهي : قمـوص حصن ابن الحقيق ونـاعم وسـلالم ووطيـخ وحصن المصعب ابن معـاد وغنم ، وكـانت الغنيمـة نصفها لعلي ونصفها لسـائر الصحـابة وكـانت صفية بنت حي بن أخـطب من الغنائم فاصطفاهـا : النبي لنفسه وصـالح ابن أبي الحقيق النبي على حقن دماء من في الحصون ويخرجون من خيبـر بأهلهم ويتـركون جميـع مالهم للمسلمين فصالحه على ذلك ولمـا سمع بهم أهـل فدك بعثـوا إلى رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسألـونه أن يسيـرهم ويحقن دمـائهم ويخلون بينـه وبين الأموال فصالحهم أيضـاً فكانت أمـوالهم للمسلمين وكانت فـدك خالصـة لـرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم لم يـوجفـوا عليهـا بخيـل ولا ركـاب ، واستـأذن حسّان بن ثابت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول شعراً فقال قل فانشأ يقول :

وكان علي أرمد العين لم يجـد دواء فلمـا لم يحس مـداويـا
شفـاه رسـول اللّه منـه بتفلة فبـورك مـرقيـاً وبـورك راقيـاً

وقال سأعطي الراية اليوم صارماً كمياً محباً للرسول موالياً
يحب إلٰهي والإلٰه يحبه به يفتح اللّه الحصون الأوابيا
فاصفىٰ بها دون البرية كلها علياً وسماه الوزير المؤاخيا

وروي : بالإسناد عن الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي عبد الله الجدلي قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول لما عالجت باب خيبر جعلته مجنا في خندقهم فقاتلتهم به ، فلما أخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقاً ثم رميت به في خندقهم ، فقال له رجل لقد حملت ثقلا ، فقال عليه السلام : ما كان إلا مثل جنتي التي في يدي في غير ذلك المقام .

ويروى أن المسلمين لما انصرفوا من خيبر راموا حمل الباب ، فلم يقله منهم سبعون رجلاً وفي ذلك يقول الشاعر :

أن إمرءاً حمل الرتاج بخيبر يوم اليهود بقدرة لمؤيد
حمل الرتاج رتاج باب قموصها والمسلمون وأهل خيبر حشد
فرمىٰ به ولقد تكلف رده سبعون شخصاً كلهم متشدد
ردوه بعد تكلف ومشقة ومقال بعضهم لبعض أرددوا

غزوة فتح مكة

وكـانت في شهر رمضـان سنة ثمـان من الهجرة ، وذلـك أن النبي صالح قريشاً عام الحديبية دخلت خزاعـة في حلفه وعهـده ﷺ ودخلت كنـانة في حلف قـريش ، فلما مضت سنتـان من القضية قعـد رجـل من كنانة يروي هجاء رسول الله فقال لـه رجل من خـزاعة : لا تـذكر هـذا ؟ قال : ومأنت وذاك إن أعدت لأكسرن فـاك فأعـادها فـرفع الخـزاعي يده فضـرب بها فـاه فاستنصـر الكناني قـومـه الخـزاعي وكـانت كنـانـة أكثـر فضـربـوهم حتى أدخلوهم الحـرم وقتلوا منهم وأعـانهم قـريش بـالكـراع والسلاح ، فركب عمرو بن سالم إلى رسول الله ﷺ فخبـره الخبر بهـذه الأبيات من الرجز :

لا هم أني نـاشـد محمـدا حلف أبينـا وأبيـه ألا يلدا
أن قريشاً أخلفـوك الموعـدا ونقضـوا ميثـاقـك المؤكـدا
وقتلونا ركعاً وسجدا

فقـال رسول الله : حسبـك يا عمـرو ، ثم قال ودخـل دار ميمـونـة وقـال : اسكبوا لي مـاء فجعل يغتسـل ويقول لانصـرت إن لم أنصر بني كعب ، ثم أجمـع ﷺ على المسير إلى مكـة وقال : اللَّهمَّ خـذ العيون

عن قـريش حتى نأتيهـا في بلادهـا وكتب حاطب بن أبي بلتعـة مع سـارة مـولاة أبي لهب إلى قريش أن رسـول الله خارج إليكم يـوم كـذا وكـذا ، فخـرجت وتـركت الـطريق ، ثم أخـذت ذات اليسـار في الحـرة فنـزل جبرائيل فأخبر النبي فدعا عليـاً والزبيـر وقال لهمـا : أدركاهـا وخذا منهـا الكتاب ، فخرج علي والزبير لا يلقيان أحداً إلاَّ سـألاه وكان النبي وضـع حرساً على المدينة فسألا الحرس فقـالوا : مـا مر بنـا أحد ، ثم استقبـلا حطاباً فسألاه ، فقال : رأيت امـرأة سوداء انحـدرت من الحرة فـأدركاهـا وأخـذ علي منها الكتـاب وردها إلى رسـول الله فدعـا حاطبـاً فقـال لـه : أنـظر ما صنعت ؟ قـال : أما والله إني لمؤمن بـالله ورسـولـه مـا شككت ولكني رجـل ليس لي بمكـة عشيـرة ، ولي بهـا أهـل فـأردت أن أتخـذ عنـدهم يداً ليحفـظوني فيهم فقـال عمـر : دعني يـا رسـول الله أضـرب عنقـه فوالله لقـد نافق ، فقـال ﷺ : إنه من أهـل بدر ولعـل الله تعـالىٰ اطلع عليهم فغفـر لهم أخرجـوه من المسجد فجعـل الناس يـدفعـون في ظهره وهو يلتفت إلى النبي ليرق عليه فأمر برده وقال قـد عفوت عنـك فلا تعد لمثل ما قد جنيت .

ولمـا بلغ الخبر أبـا سفيان بمـا صنعت قريش بخـزاعة وإنـه صمم على القتـال أقبـل حتى دخـل على النبي فقـال : يـا محمـد أحقن دم قومك وأجر بين قريش وزدنا في المدة ، فقـال : اغدرتم يـا أبا سفيـان ؟ قال : لا ، قال : فنحن على مـا كنا عليـه فخرج فكـان كل من لقيـه من أصحـاب النبي يسألـه أن يجير بين قـريش ويزيـد في المـدة فيـرده حتى دخـل بيت أمير المؤمنين وسـأله ذلـك فرده أيضـاً ، فـالتفت إلى فـاطمـة عليها السلام فقال : يا بنت سيّد العرب تجيرين بين قريش فتكـونين أكرم سيّـدة في النـاس ، قالت : جـواري في جـوار رسـول الله ، قـال : فتـأمـرين إبنيك أن يجيرا بين النـاس ، قالت : والله مـا يدري إبنـاي ما يجيـران من قـريش ، فقال : يـا أبـا الحسن أنت أمس القـوم بي رحمـاً وقـد التبست عليّ الأُمور فاجعـل لي منها وجهـاً ، قال : أنت شيـخ قريش تقـوم على

بـاب المسجد فتجيـر ، ثم تقعد على راحتـك وتلحق بقـومـك ، قـال : فهـل ترىٰ ذاك نـافعي ؟ قـال : لا أدري ، فقـال : أيهـا النـاس إني قـد أجـرت بين قـريش ، ثم ركب بعيــره وانـطلق فقــدم على قـريش وقص عليهم ما جرىٰ عليه فقالوا : هل أجاز ذلك محمـد ؟ قال : لا ، قـالوا : ويحك لعب بك الرجل .

وخـرج رسـول الله ﷺ يـوم الجمعـة بعـد صـلاة العصـر لليلتين مضتـا من شهر رمضـان واستخلف على المدينـة أبا لبـابة بن عبـد المنذر ودعـا رئيس كل قـوم فأمـره أن يأتي قـومه فيستنفـرهم وكان ﷺ صـائما والمسلمون صائمون حتى نزل كراع الغميم أمر بـالإفطار فـأفطروا النـاس وصام قوم فسموا العصاة لأنهم صاموا ، ثم سـار ﷺ من الظهـران ومعه نحو من عشرة آلاف رجـل ونحو من أربعمـائة فـارس وقد عميت الأخبـار على قـريش فخرج في تلك الليلة أبـو سفيان بن حـرب وحكيم بن حزام وبـديل بن ورقـاء لعلهم يسمعون خبـراً وكـان العبـاس بن عبـد المـطلب إلتجـأ إليه أبـو سفيان بن الحـرث بن عبد المـطلب وعبد الله بن أبي أُميّـة ليدخلهما على رسـول الله فدخـل العباس وقـال بأبي أنت وأُمي هـذا إبن عمك قد جاء تائبـاً وإبن عمتك فقـال ﷺ : لا حاجـة لي فيهما إن إبن عمي إنتهـك عرضي ، وأمـا إبن عمتي هو الـذي يقـول بمكـة لن نؤمن لك حتى تفجر لنـا من الأرض ينبوعـاً فنادى أبـو سفيان كن لنـا كما قـال العبد الصالـح : لا تثريب عليكم فـدعاهمـا وقبل منهمـا وقال العبـاس : هو والله هلاك قـريش إلى آخر الـدهر . فـأدخلهما رسـول الله ﷺ عنوة فـركب النبي ﷺ بغلته البيضـاء ليطلب الخـطابة أو صـاحب لين يـأمـره يأتي قريشاً فيركبون إليه ويستأمنون إليـه إذ سمع أبـا سفيان يقـول لبديـل وحكيم : ما هذه النيـران ؟ قال : هـذه خزاعـة ، قال : خـزاعة أقـل من هذه فلعلها تميم أو ربيعة فعرف العبـاس صوت أبي سفيـان وناداه وعـرّفه الحال ، قال : فما الحيلة ؟ قال : تـركب في عجز هـذه البغلة فاستـأمن لـك رسول الله ﷺ ففعـل فكـان يجتـاز على نـار بعـد نـار فـانتهىٰ إلى

علي فسبقهما إلى النبي ﷺ وقال: هذا أبو سفيان قد امكنك الله منه فدعني أضرب عنقه ، فقال العباس : يا رسول الله أبو سفيان قد أجرته ، قال : أدخله فدخل ، فقال : ويحك يا أبا سفيان أما آن لك أن تشهد أن لا إلٰه إلاَّ الله وأني رسول الله وتلجلج لسانه وعلي يقصده بسيفه والنبي محدق بعلي فقال العباس : يضرب والله عنقك الساعة أو تشهد أن لا إلٰه إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله ، فأسلم اضطراراً فقال له النبي ﷺ : عند من تكون الليلة قال عند أبي الفضل فسلَّمه إليه ، فلما أصبح سمع بلالاً يؤذن فقال : ما هذا المنادي ورأى النبي ﷺ يتوضأ وأيدي المسلمين تحت شعره يستشفون بالقطرات، فقال : تالله أن رأيت كاليوم كسرىٰ وقيصر ، فلما صلّى النبي ﷺ قال : يا رسول الله إني أحب أن تأذن لي أذهب إلى قومي فأنذرهم وأدعوهم إلى الحق فأذن له ، فقال العباس : إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فلو خصصته بمعروف فقال ﷺ : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ثم قال ﷺ للعباس : أدركه وأجلسه في مضايق الوادي حتى تمر به جنود الله فرأى خالد بن الوليد في المقدمة والزبير في جهينة واشجع وأبا عبيدة في أسلم ومزينة والنبي ﷺ في الأنصار وسعد بن عبادة في يده راية النبي ﷺ فقال سعد يا أبا حنظلة وهز الراية في وجهه :

اليوم يوم الملحمة اليوم تسبىٰ الحرمة

فأتىٰ العباس إلى النبي ﷺ وأخبره بمقالة سعد وقيل أتاه أبو سفيان وقال فداك أبي وأمي أتسمع ما يقول سعد يقول :

(اليوم يوم الملحمة اليوم تسبىٰ الحرمة)

فقال لا بل اليوم يوم المرحمة ثم قال : يا علي أدرك سعداً وخذ الراية منه وأدخلها إدخالاً رفيقاً فقال سعد : لولاك لما أُخذت مني .

وقال أبو سفيان : يا أبا الفضل إن ابن أخيك قد كنف ملكاً عظيماً ، فقال العباس : ويحك هذه نبوة وأقبل أبو سفيان من أسفل

الـوادي يركض فـاستقبلته قريش وقـالوا مـا وراك وما هـذا الغبار ؟ قـال : محمـد في خلق ، ثم صاح يـا آل غالب البيـوت البيوت من دخـل داري فهـو آمن فعـرفت هنـد فـأخـذت تـطردهم ، ثم قـالت : اقتلوا الشيـخ الخبيث من وافـد قوم وطليعـة قوم . قـال : ويلك إني رأيت ذات القرون ورأيت فـارس أبناء الكـرام ورأيت ملوك كندة وقينـان حمير يسلمـون آخر النهـار ويلك اسكتي فقد والله جـاء الحق وذهبت البليـة وكـان قـد عهـد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يقتلوا منهم إلاَّ من قـاتلهم سـوى عشـرة الحـويـرث بن نفيـل بن كعب ، ومقيس بن ضبابـة ، وقـرينـة المغنيـة قتلهم أميـر المؤمنين ، وعبـد الله بن حنظل قتله عمّـار أو بـريـدة أو سعيـد بن حبيب المخـزومي وصفوان بن أُميـة هرب إلى جـدة فاستـأمنه عبـد الله بن وهب وأنفذ إليه عمـامة النبي وأسلم ، وعكـرمة بن أبي جهـل هرب إلى اليمن وأسلم ، وعبـد الله بن أبي سرح عـرف أمير المؤمنين أنـه في دار عثمـان فـأتى عثمان إلى النبي هـل شافعـاً فيشفـع ، فلما انصرف قـال النبي في قتله فقـال سعد بن عبـادة : لو رمـزت ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لارمـز من النبي ، وسارت مولاة بني عبد المطلب وجدت قبيلاً وهنـد دخلت دار أبي سفيان فتكلم أبـو سفيان في بيعـة النساء وعـاونته أُم الفضـل وقرأت : يـا أيهـا النبي إذا جاءك المؤمنات فاقبل منهن البيعـة وقريبـاً انفلتت ، ورأى النبي أوبـاش قريش فـأمر بحصـدهم فقتل منهم من قتـل وانهزم البـاقون وقتـل من المسلمين ثلاثة نفر دخلوا من أسفل مكة واخطأوا الطريق فقتلوا .

وفي المنـاقب : يوم الفتـح برز أسـد بن غويلم قـاتل العـرب فقال النبي من خـرج إلى هـذا المشـرك فقتله فله على الله الجنـة والإمـامـة بعدي فبرز علي عليه السلام وقال :

ضربته بالسيف وسط الهامة بضـربـة صـارمـة هـدامـة
فبلكت من جسمـه حطامـه وبينت من رأسـه عـظامـه

وسـأل النبي عن المفتاح قـالوا عنـد أُم شيبة فـدعـا شيبـة فقـال : إذهب إلى أُمـك وقل لهـا ترسـل بالمفتـاح ، قالت لـه : قتلت مقـاتلينـا

وتريد أن تأخذ مكرمتنا ، فقال ﷺ لترسلن به أولاً قتلنك فوضعته في يد الغلام فأخذه ، ثم قام ففتحه وستره فمن يومئذ يستر ، ثم دعا الغلام فبسط رداه وجعل فيه المفاتيح وقال ردها إلى أمك وأخذ بعضادتي الباب وقال لا إله إلاَّ الله أنجز وعده ونصر عبده واعز جنده وغلب الأحزاب وحده وكان صناديد قريش يظنون أن السيف لا يرفع عنهم فقال ﷺ : ألا أن كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية فإنه موضوع تحت قدمي إلاَّ سد الكعبة وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما ألا أن مكة محرمة بتحريم الله لم يحل لأحد كان قبلي ولا لي إلاَّ ساعة من نهار إلى أن تقوم الساعة لا يختلي خلالها ولا يقطع شجرها ولا ينفر صيدها ولا يحل لفظها إلاَّ منشد ، ثم قال : ألا بئس ما كنتم لقد كذبتم وطردتم وأخرجتم وظلمتم ، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلوني فاذهبوا فأنتم الطلقاء ، فدخلوا في الإسلام وأذن بلال على الكعبة فكره عكرمة فقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذي أكرم أبا عتاب هذا اليوم ، وقال الحرث بن هشام : أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً ؟ وقال آخر وقال آخر ! فقال أبو سفيان : إني لا أقول شيئاً فوالله لو نطقت لظننت أن هذه الجدار تخبر به محمداً فبعث ﷺ وأخبرهم بما قالوا فاستغفروا الله وتابوا .

قال جابر بن عبد الله الأنصاري دخلنا مع النبي مكة وفي البيت وحوله ثلاثمائة وستون صنماً فأمر بها رسول الله فألقيت كلها لوجوهها وكان على البيت صنم طويل يُقال له هُبل فنظر النبي إلى عليٍّ وقال له : يا علي تركب علي أو أركب عليك لألقي هُبل عن ظهر الكعبة ، قال علي : قلت يا رسول الله تركبني ، فلما جلس على ظهري لم أستطع حمله لثقل الرسالة ، قلت : يا رسول الله بل أركبك فضحك ﷺ ونزل وطأطأ لي ظهره واستويت عليه فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو أردت أن أمسك السماء لمسكتها فألقيت هُبل عن ظهر الكعبة فأنزل الله تبارك وتعالىٰ : ﴿قل جاء الحق وزهق الباطل﴾ .

غـزوة حنين

وكـانت في شوال سنـة ثمان ، وذلـك أن رسول الله لمـا فتح مكـة أمـر عتاب بن أسيـد عليها ففـات الحج من فسـاد هوازن في وادي حُنين فخـرج في ألفين من مكـة وعشـرة آلاف كـانـوا معـه وكـان استعـار من صفـوان بن أُميَّة مـائة درع وهـو رئيس جشم فعانهم أبـو بكـر لعجبـه بهم فقـال : لن نغلب اليـوم عن قلّة فنـزلت : ﴿ويـوم حُنين إذ أعجبتكم﴾ الآية ، وأقبل مالك بن عـوف النظري فيمن معـه من قبائـل قريش وثقيف وسمـع عبد الله بن جـدر دعين رسول الله ابن عـوف يقـول : يـا معـاشـر هوازن إنكم أحد العـرب وأعده وأن هـذا الرجـل لم يلقِ قومـاً يصدقـونه القتـال فإذا لقيتمـوه فاكسـروا جفون سيـوفكم وحملوا عليـه حملة رجـل واحد .

قال الصادق كان مع هوازن دريد بن صمنة خرجـوا به شيخـاً كبيراً يتيمنـون به قـال : نعم ، مجال الخيـل لاحـزن ضـرس ولا سهـل دهش مـالي روغاء البعيـر ونهاق الحميـر وبكـاء الصغيـر وقفـاء الشـاة وخـوار البقر ، فقال لابن مالك في ذلـك فقال : إني أردت أن أجعـل خلف كل رجل أهله وماله فيقاتل عنهم ،قال: ويحك لم تصنع شيئـاً قدمت بيضـة هوازن في نحر الخيل وهل يرد وجه المنهـزم شيء أنها إن كـانت لك لم

ينفعـك إلاَّ رجـل بسيفـه ورمحـهُ إن كـان عليـك فضحت في أهلك ومالك ، ثم قالت حرب بن عوان : يا ليتني فيهـا جدع أخب فيهـا واضع قال : إنك كبرت وذهب علمك .

قـال جابـر كان القـوم قد كمنـوا في شعاب الـوادي ومضايقـه فمـا راعنا الاكتائب الـرجال فـانهزم بنـو سليم وكانـوا في المقدمـة وانهزم من كـان وراءهم وبـقي مـع الـنبي علي بـن أبي طـالـب والعبـاس بـن عبـد المطلب والفضـل إبنه وأبـو سفيـان بن ا لحـارث بن عبـد المـطلب ونـوفل وربيعـة أخواه وعبـد الله بن الزبيـر بن عبد المـطلب وعتبة ومعتب أبنـاء أبي لهب وأيمن مولىٰ النبي وكـان العبـاس عن يمينـه والفضـل عن يسـاره والباقي حـوله وعلي يضـرب بـالسيف بين يـديـه وفي ذلـك يقـول العباس بن عبد المطلب :

نصرنا رسول اللّه في الحرب تسعة وقـد فر من قـد فر عنـه فـافشعـوا
وقـولي إذا مـا لفضـل شـد بسيفـه على القوم اخرى يـا بني ليرجعـوا
وعـاشـرنـا لا في الحمـام بنفسـه لمـا نـالـه في اللّه مـا يتـوجـع

يعني بعـاشرهم أيمن ابن أُم أيمن لأنـه كـان ثبت معهم واستشهـد حينئـذ وكـان أبـو سفيـان صخـر بن حـرب في جملة المنهـزمين من المسلمين ، ويروى عن ولده معاوية أنه قال : لقيت أبي منهـزماً مـع بني أُميّة من أهل مكـة فصحت به يـابن حرب والله مـا صبرت مـع إبن عمك ولا قـاتلت عن دينـك ولا كففت هؤلاء الأعـراب من حـريمـك فقـال من أنت قلت معاوية قـال : ابن هند ؟ قلت : نعم ، قـال : بأبي وأُمي ، ثم وقف فاجتمع معـه الناس من أهـل مكة وانضممت إليهم ، ثم حملنـا على القوم فضعضعناهم .

قـال أبـو عبـد الله : قتـل علي بن أبي طـالب بيـده يـوم حُنين أربعين .

وعن سعيـد بن المسيب عن أحد مشـركي حُنين قال : لمـا التقينـا

مع المسلمين لم يقفوا لنا حلب شاة ، فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء ، يعني رسول الله فتلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا لنا : شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا أكتافنا فكانوا إياها يعني الملائكة ، ونادىٰ مالك بن عوف أروني محمداً فأروه فحمل عليه فلقيه أيمن بن عبيد وهو ابن أم أيمن فالقيا فقتله مالك وأتىٰ إلى النبي ليضربه فبادره أمير المؤمنين عليه السلام بالسيف على رأسه فخرج يلمع من بين رجليه وكمن أبو جرول على المسلمين وكان على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن إذا دك أحداً طعنه برمحه وإذا فاته الناس دفع لمن ورائه وجعل يقتلهم وهو يرتجز ويقول : أنا أبو جرول لا براح ، فصمد أمير المؤمنين عليه السلام فضرب عجز بعيره فصرعه ، ثم ضربه نصفين وجعل يقول :

قد علم القوم لدى الصباح أني لذي الهيجاء ذو نصاح

فانهزم القوم من بين يديه وكانت هزيمة المشركين بقتل أب جرول ، قال : ولما فر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال النبي للعباس وكان جهورياً : نادي في القوم وذكرهم العهد فنادىٰ العباس يا أصحاب سورة البقرة يا أهل بيعة الشجرة إلى أين تفرون أذكروا العهد والقوم على وجوههم وذلك في أول ليلة من شوال ، قال فنظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس ببعض وجهه في الظلماء فأضاء كأنه القمر ليلة البدر ، ثم قام صلى الله عليه وآله وسلم في ركاب سرجه حتى أشرف عليهم وقال الآن حمى الوطيس :

أنا النبي لا أكذب أنا ابن عبد المطلب

وما زالوا يقتلون المشركين حتى ارتفع النهار فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالكف ولم يكن في ذلك اليوم أحد قاتل أكثر من علي بن أبي طالب قال الصادق عليه السلام : سبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حُنين أربعة آلاف رأس من الغنم وإثني عشر ألف ناقة سوى ما لا يعلم من الغنائم .

غزوة ذات السلاسل

وكان من خبر هـذه الغزوة أنـه جاء إعـرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله إن جماعة من العرب اجتمعوا بـوادي الرمـل على أن يبيتوك بـالمدينـة فأمـر بالصّـلاة جـامعـة فـاجتمعـوا وعـرفهم ، وقـال : من لهم فابتدرت جماعة من أهـل الصفة وغيـرهم وعدتهم ثمـانون وقـالوا : نحن فـول علينا من شئت فـاستـدعىٰ أبـا بكـر وقـال : امضِ فمضىٰ فـاتبعهم القوم وقتلوا جماعة كثيرة من المسلمين وانهـزم أبو بكـر وجاء إلى رسـول الله ، فبعث عمر فهزموه مرّة أُخـرىٰ ، فساء النبي ذلـك فقال عمـرو بن العاص : إبعثني يا رسول الله فإن الحرب خدعـة ولعلّي أخدعهم فـانفذه مع جماعة ، فلما صاروا إلى الوادي خرجوا إليـه فهزمـوه وقتلوا جماعـة من أصحابه .

ثم دعىٰ بـأميـر المؤمنين عليه السلام وبعثـه إليهم وشيعـه إلى المسجـد الأحـزاب وأنفذه مـع جماعـة منهم : أبو بكـر وعمـر وعمـرو بن العـاص فسـار بهم نحو العـراق منكباً عن الـطريق حتى ظنوا أنـه يـريـد بهم غيـر ذلـك الوجـه ، ثم أخذ بهم على طـريق غامضـة واستقبل الـوادي وكـان عليه السلام يسير بالليـل ويكمن في النهار ، فلمـا قرب من الـوادي أمر أصحـابه أن يخفوا حسهم فوقفـوا مكانـاً وتقدم أمـامهم ناحيـة فلما رأى عمـرو بن

العـاص فعله ساءه ذلـك فلقي رجـلاً من المهـاجـرين ، وقـال لـه : إن هـذه أرض ذات سبـاع وذئـاب كثيـرة الحجـارة وهي أشـد علينـا من بني سليم والمصلحـة أن نعلوا الوادي وكلفّـه أن يقـول ذلـك لأميـر المؤمنين عليه السلام فقـال له ذلـك ، فلم يجبه بحرف واحد فرجـع إلى عمـرو وقـال : والله ما أجابني بحرف واحد فقـال عمرو بن العـاص لرجـل آخر : إمض إليـه فخاطبـه ففعل فلم يجبـه أمير المؤمنين عليه السلام بشيء ، فقـال : أنضيع أنفسنا انطلقوا بنا نعلو الـوادي ، فقال المسلمـون : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمرنـا أن لا نخالف علياً ، فكيف نخالفه ونسمـع قولـك ، فما زالـوا حتى طلع الفجـر فكبس القوم وهم غـافلون فامكنهم الله منهم فنـزل جبرائيـل على النبي بسـورة والعاديـات ضبحاً فـالمـوريـات قـدحـاً فـالمغيـرات صبحـاً السورة . قسماً منـه بخيل أمير المؤمنين وعرفـه الحال ففـرح النبي وبشر أصحـابه بـالفتح وعـرفهم وأمـرهم بـالاستقبـال لأميـر المؤمنين فخـرجـوا والنبي يقـدمهم ، فلما رأى أميـر المؤمنين النبي ترجـل عن فرسـه فوقف بين يديه فقال : لولا أنني أشفق أن تقـول فيك أمتي مـا قـالت النصـارى في المسيـح لقلت فيك اليـوم مقالاً لا تمـر بملأ منهم إلاّ أخـذوا التراب من تحت قدمك للبركة فإن الله تعالىٰ ورسوله عنك راضيان .

أقول : هذه أشهر مواقفه عليه السلام أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

حـرب الجمل

فـصـل
في مواقفه بعد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم

لمـا قتل عثمـان وآل الأمـر إلى أميـر المؤمنين عليه السلام وبـايعـه النـاس نهض طلحة والزبير ونكثا بيعته وتوجها إلى عائشة وكانـا سمعا أن عـائشة لمـا سمعت بقتل عثمـان وخلافـة علي عليه السلام قالت : لأطـالبن بدمـه فقيـل لها بالأمس كنت تحرضين الناس واليـوم تقولين هـذا ؟ قالت : لم يقتلوه إذ قلت وتركوه حتى تاب وعاد كـالسبيكة من الفضـة وقتلوه وخرج طلحـة والـزبير من المـدينة على خفيـة ووصلاً إلى مكـة وأخرجـاها إلى البصـرة وعنـد خروجهـا التمست عائشـة من أُم سلمة الخـروج ، فـأبت وسـألت حفصـة فأجـابت ، ثم خرجت عـائشة في أول نفـر راكبـة الجمـل الـذي كـان يُقال لـه العسكر وسـارت حتى انتهت الحـوئب وهـو مـاء فصـاحت كـلابها ، فقـالت : أي ماء هـذا فقيل الحـوئب ، فقالت : إنـا لله وإنـا إليـه راجعون سمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنـده نسـاءه يقـول ليت شعـري أيتكن تنبحهـا كلاب الحـوئب وفي رواية فصـاحت ردوني ردوني فسـاروا بهـا حتى وصلوا إلى البصـرة فخـرج أميـر المؤمنين من المـدينـة طـالبـاً لهم ، فلما قرب من البصرة كتب إلى طلحة والزبير .

أمـا بعـد : فقـد علمتمـا أني لم أرد النـاس حتى أرادوني ، ولم أبـايعهم حتى أكرهـوني ، وأنتما ممن أراد بيعتي وبـايعتمـا ، ولم تبـايعـا

لسلطان غالب ولا لغرض حاضر ، فإن كنتما بايعتما طائعين فتوبا إلى الله تعالىٰ عما أنتما عليه ، وإن كنتما بايعتما مكرهين فقد جعلتما السبيل عليكما بإظهار كما الطاعة وكتمانكما المعصية ، وأنت يا زبير فارس قريش وأنت يا طلحة شيخ المهاجرين ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه بعد إقراركما به ، وأما قولكما أني قتلت عثمان بن عفان فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة ، ثم يلزم كل امرىء بقتل ما احتمل وهؤلاء بنو عثمان أن قتل مظلوماً كما تقولان أولياءه وأنتما رجلان من المهاجرين وقد بايعتماني ونقضتما بيعتي وأخرجتما أُمكما من بيتها الذي أمرها الله تعالىٰ أن تقرّ فيه والله حسبكما والسلام ، وكتب إلى عائشة :

أما بعد ، فإنك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ، ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين الناس فخبريني ما للنساء وقود العساكر ، وزعمت أنك طالبة لدم عثمان ، وعثمان رجل من بني أُميّة وأنت إمرأة من بني تيم بن مرة ، ولعمري أن الذي عرضك للبلاء وحملك على المعصية لأعظم إليك ذنباً من قتلة عثمان ، وما غضبت حتى أغضبت وما هجت حتى هيجت ، فاتقي الله يا عائشة وارجعي إلى منزلك واسبلي عليك سترك والسلام .

فجاء الجواب إليه ، يابن أبي طالب : جل الأمر عن العتاب ، ولن ندخل في طاعتك أبداً فاقضِ ما أنت قاض والسلام .

ثم تقارب الجمعان ورأى علي صلى الله عليه وآله وسلم تصميم عزمهم على قتاله فجمع أصحابه وخطبهم خطبة بليغة ، ثم رفع عليه السلام يده إلى السماء وقال : اللّهمَّ إن طلحة بن عبد الله أعطاني يمينه طائعاً ، ثم نكث بيعتي اللّهمَّ فعاجله ولا تمهله وإن الزبير بن العوام قطع قرابتي ونكث بيعتي وعهدي وظاهر عدوي ونصب الحرب لي وهو يعلم أنه ظالم ، اللّهمَّ فاكفنيه كيف شئت وأنىّ شئت ، ولما آن أوان القتال وقف أمير المؤمنين عليه السلام بين الصفين ونادى الزبير فجاءه ودنا منه فقال عليه السلام : ما

حملك على ما صنعت ؟ فقال : الطلب بدم عثمان ، فقال : عثمان قتلته أنت وأصحابك فيجب عليك أن تقيد نفسك ولكن أنشدك بالله الذي لا إله إلاَّ هو الذي أنزل القرآن على نبيه محمد أما تذكر يوم قال لك رسول الله : أتحب علياً فقلت وما يمنعني من حبه وهو إبن خالي ؟ فقال لك : أما إنك لتخرج عليه يوماً وأنت له ظالم ؟ فقال الزبير : اللّهمَّ بلىٰ لقد كان ذلك ، فقال : فأنشدك الله الذي أنزل الفرقان على محمد ما تذكر يوماً جاء رسول الله من عند إبن عوف وأنت معه وهو آخذ بيدك فاستقبلته أنا فسلمت عليه فضحك في وجهي وضحكت أنا إليه فقلت : أنت لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً فقال لك النبي : مهلاً يا زبير فليس به زهو ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم ، فقال الزبير : اللّهمَّ بلىٰ ، فلئن ذكرتني ذلك لانصرفن عنك ، ثم رجع الزبير إلى عائشة فقالت : ما وراك يا أبا عبد الله ؟ فقال : والله ما وقفت موقفاً في شرك ولا إسلام إلاّ ولي فيه بصيرة وأنا اليوم على شكّ من أمري وما أكاد أن أبصر موضع قدمي ، ثم شق الصفوف وخرج من بينهم فلقيه ولده عبد الله فقال : جبناً جبناً ، فقال : يا بني قد علم الناس أني لست بجبان ولكن ذكرني علي شيئاً سمعته من رسول الله ، فحلفت أن لا أقاتله ، فقال : دونك غلامك فلان فأعتقه كفارة ليمينك ، فقال : لا قاتلته أبداً فخرج ونزل على قوم من بني تميم ، فقام إليه عمر بن جرموز المجاشعي فقتله وهو نائم وكان في ضيافته ، ويُقال انه رجع إلى القتال وقاتل ، ثم ندم وخرج وقتله عمر بن جرموز ، ثم أن أمير المؤمنين عليه السلام نهىٰ الناس عن القتال وأخذ المصحف وطلب من يقرأه عليهم وأن طائفتان من المؤمنين الآية فقال مسلم المجاشعي : ها أنا ذا فأخذه ودعاهم إلى الله فقطعوا يمينه فأخذه بيده اليسرى فقطعت أيضاً فأخذه بأسنانه فقتل فقالت أُمه :

يا رب إن مسلماً أتاهم بمحكم التنزيل إذ دعاهم
يتلو كتاب اللّه لا يخشاهم فرملوه رملت لحاهم

وأنـذرهم أميـر المؤمنين بعـد قتـل مسلم فلم يقبلوا فقـال : اللَّهمَّ إني أعـذرت وأنذرت فكن عليهم من الشـاهدين وصـاح بـأصحابـه الآن طـاب الضراب وأعـطى الرايـة لمحمد بن الحنفيـة وقال : يـا بني تـزول الجبال ولا تزول عض ناجذك أعِرْ الله جمجمتك مـد في الأرض قدميـك إرم ببصـرك أقصىٰ القـوم وغض بصـرك وسـر واعلم أن النصـر من الله ، ثم صبر سويعـة فصاح النـاس من كل جـانب من وقع نبـال أهل البصـرة فنادى محمداً تقدم يا بني فتقدم وطعن طعناً منكـراً والتحم القتال وجعـل يقـرأ : ﴿**وان نكثوا أيمـانهم من بعد عهـدهم وطعنـوا في دينكم فقـاتلوا أئمـة الكفر إنهم لا إيمـان لهم لعلهم ينتهون**﴾ ، واتصـل الحـرب وكثـر القتل والضرب فخرج عبد الله اليثربي مرتجزاً :

يـــا رب إني طـــالب أبـــا الحسن ذاك الـذي يعـرف قـدمـاً بـــالفتن

فأتاه أمير المؤمنين قائلاً :

إن كنت تبغي أن تـرىٰ أبا الحسن فـــاليـــوم تلقـــاه مليـــاً فـــاعلمـن

وشدّ عليه بـالسيف فاسقط عـاتقه ووقـع قتيلاً فـوقف عليه وقـال : لقد رأيت أبا الحسن فكيف وجدته . وخرج بنو ضبة وقال قائلهم :

نحن بنـو ضبـة أصحـاب الجمـل المـوت أحلىٰ عنـدنـا من العسـل

وقال آخـــر :

نـحن بـنـــو ضـبـــة أعـــداء عـلي ذاك الـذي يُعـرف فيهم بـالـوصي

فحمـل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام فكـانوا كـرماد اشتـدت به الـريح في يوم عاصف .

وكـان طلحة يحث النـاس ويقول عبـاد الله الصبر الصبـر في كـلام لـه ، فقـال مـروان بن الحكم : والله لا أطلب ثـاري بعثمـان بعـد اليـوم ورمى طلحة بسهم فأصاب ركبته فـوقع قتيـلاً فالتفت مـروان إلى أبان بن عثمان وقال : لقـد كفيتك أحـد قتلة أبيك واشتبـك السلاح بـالسلاح ولا

زال علي يضرب بالسيف حتى قتل جماعة من مشاهير الفرسان منهم عمر بن اليثربي وأخوه وعبد الله بن خلف الخزاعي ومازن الضبي وعبد الله بن نهشل وجعل بنو ضبة يخرج منهم الواحد بعد الواحد ويأخذ بزمام الجمل حتى قتل منهم ثمانية وتسعين رجلاً وهم يزدادون عزيمة والقتل يؤجج ناره والجمل يفني أنصاره قال فخرج كعب بن سون الأزدي وهو يقول :

يا معشر الناس عليكم أُمكم فإنها صلاتكم وصومكم
والحرمة العظى التي تعمكم فاحضروها جدكم وحزمكم
لا يغلبن سم العدو سمكم إن العدو إن علاكم زمكم
وخصكم بجوره وعمكم لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم

فشد عليه الأشتر رحمه الله فقتله فخرج ابن حضير الأزدي يقول :

قد وقع الأمر بما لم يحذر والنبل يأخذون وراء العسكر
وأمنا في خدرها المشهر

فبرز إليه الأشتر يقول :

اسمع ولا تعجل جواب الأشتر واقرب نلاق كأس موت أحمر
ينسيك ذكر الجمل المشهر

فقتله ثم قتل عمر الغنوي وعبد الله بن عتاب بن أسيد ، ثم جال في الميدان جولاً وهو يقول : نحن بنو الموت به عدينا .

فخرج إليه عبد الله بن الزبير فطعنه الأشتر وأرداه وجلس على صدره ليقتله فصاح عبد الله اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي فقصدوا إليه من كل جانب فخلاه وركب فرسه ، فلما رأوه راكباً تفرقوا عنه فأخبرت عائشة بأن الأشتر بارز عبد الله فصاحت واثكل اسماء لولا الناس لقتله ، فانتدب أصحاب الجمل بعضهم بعضاً فخرج عوف بن

قـطن الظبي وهـو ينادي ليس لعثمـان ثار على علي بن أبي طـالب وولـده فأخذ خطام الجمل واستقتل حوله وجال وقال :

يـا أُم يـا أُم خـلا مني الـوطن لا ابتغي القبـر ولا ابني الكفن
من هٰهنا محشر عـوف بن قطن إن فـاتنـا اليـوم علي فـالغبن
أو فـاتنـا اليـوم حسين وحسن إذن أمـت بـطول هم وحـزن

ثم تقـدم يضرب بسيفـه فبدره أميـر المؤمنين وقده نصفين ، وقيـل قتله محمد بن الحنفية وشـد رجل من الأزد على محمـد بن الحنفية وهـو يقول : يا معاشر الأزد كـرّوا ، فضربـه ابن الحنفية فقـطع يده ، فقـال : يا معاشر الأزد فرّوا فخرج الأسود بن البختري السلمي يقول :

إرحم إلهي الكـل مـن سليـم وانـظر إليـه نـظرة الـرحيـم

فقتله عمرو بن الحمق فخرج جابر الأزدي يقول :

يـا ليت أهلي من عمان حـاظـري من سادة الأزد وكانـوا ناصـري

فقتله محمد بن أبي بكر فخرج بشر الضبي قائلاً :

ضبـة أبـدى للعـراق عمعمـه واضرمي الحرب العوان المضرمه

فقتله عمّار وأخذت عـائشة كفـاً من الحصىٰ فحصبت به أصحـاب علي وصاحت بأعلىٰ صوتها : شاهت الوجـوه كما صنـع رسول الله يـوم حنين ، فقـال لهـا قـائـل : ومـا رميت إذ رميت ولكن الله رمىٰ ، ونـادت أيها الناس عليكم بالصبر فإنما يصبر الأحرار فأجابها رجل كوفي :

يـا أُم يـا أُم عققت فـاعلمـوا والأُم تغـذو ولـدهـا وتـرحم
أمـا تـرىٰ كم من شجـاع يكلم وتجتـلي هـامتـه والـمعـصم

وقـال آخـر :

قلت لهـا وهي على مهـوات أن لـنـا سـواك أُمـهـات
فـي مـسـجـد الـرسـول ثـاويـات

فقال الحجاج بن عمر الأنصاري :

يـا معشر الأنصـار قد جـاء الأجل إني أرى المـوت عيـانـاً قـد نـزل
فبـادروه نحـو أصحـاب الجمـل مـا كـان في الأنصـار جبن وفشـل
فـكـل شـيء مـا خـلا الـلّه جـلل

وقال خزيمة بن ثابت :

لـم يغـضـوا للّه إلاَّ لـلجمـل والموت خير من مقام في خمل
والـمـوت أحـرىٰ مـن فـرار وفـشـل

وقال شريح بن هانىء :

لاعيش إلاَّ ضرب أصحاب الجمل والقـول لا ينفـع إلاَّ بـالعـمـل
ومـا لـنـا بـعـد عـلي مـن بـدل

وقال هانيء بن عروة المذحجي :

يا لك حـرب حثها جمـالها قـائـدة ينقصهـا ظـلالهـا
هـذا عـلي حـولـه أقـيـالـهـا

وقال سعد بن قيس :

قـل للوصي اجتمعت قحطانهـا أن يـك حـرب اضـرمت نيـرانهـا

وقال عمـار :

إني لعـمـار وشيـخي يـاسـر صـاح كـلانـا مؤمن مهـاجـر
طلحـة فيهـا والـزبيـر غـادر والحق في كف عليّ ظـاهـر

وقـال الأشتر :

هـذا عليّ في الـدجىٰ مصبـاح نـحن بـذا فـي فـضـله فـصـاح

وقال عدي بن حاتم :

أنـا عـدي ويمـاني حـاتـم هـذا علي بـالكتـاب عـالم
لـم يـعـصـه في الـنـاس إلاَّ ظـالـم

وقال عمرو بن الحمق :

هـذا عـلي قـائـد يـرضىٰ بـه أخـو رسـول اللّه في أصحـابـه
مـن عـوده الـنـامـي ومـن نـصـابـه

وقـال رفاعة :

إن الـذين قـطعـوا الـوسيلة ونـازعـوا الـطهـر على الفضيلة
فـي حـربـه كـالـنـعـجـة الأكـيـلة

قـال وشكت السهام الهـودج حتى كأنـه جناح نسـر أو شـوك قنفـذ وزحف علي عليه السلام نحو الجمل بنفسـه في كتيبته الخضـراء من المهاجـرين والأنصـار وحولـه بنوه الحسن والحسين ومحمـد بن الحنفية كـانت الرايـة بيده فصاح بولده محمد أقدم بها حتى تركـزها في عين الجمـل ولا تقفن دونـه فتقدم محمـد فرشقتـه السهام فقـال لأصحابـه : رويـداً حتى تنفـذ سهامهم فلم يبق إلاَّ رشقة أو رشقات .

فأنفذ علي عليه السلام إليه يستحثه ويأمره بـالمناجـزة فلما أبـطأ عليه جـاء بنفسـه من خلفه فـوضع يـده اليسرى على منكبـه الأيمن وقال لـه : أقدم لا ام لـك فكان محمـد إذا ذكر ذلـك يبكي ويقـول : لكـأني أجـد ريـح نفسـه في قفـاي والله لا أنسىٰ ذلـك أبـداً ، ثم أدرك عليـاً عليه السلام رقـة على ولـده فتناول الـراية منـه بيده اليسـرىٰ وذو الفقـار مشهـور في يمنـاه ، ثم حمـل فغاص في عسكـر الجمل ، ثم رجـع وقـد انحنىٰ سيفـه فـأقـامـه بـركبته فقـال له أصحـابه وبنـوه والأشتر وعمـار : نحن نكفيـك يـا أميـر المؤمنين ، فلم يجب أحـداً منهم ولا رد إليهم بصره وظـل يخطر ويزأر زئير الأسد حتى فرق من حوله وأنه لـطامح ببصـره نحو عسكـر البصرة لا

يبصر من حوله ، ثم دفع الراية إلى محمد ثم حمل حملة ثانية وحده وكبّر تكبيرات فدخل وسطهم وضربهم بالسيف قدماً قدماً والرجال تفر من بين يديه وتنحاز عنه يمنة ويسرة حتى خضب الأرض بدماء القتلىٰ ، ثم رجع وقد انحنىٰ سيفه فاعصوصب به أصحابه وناشدوه الله في نفسه وفي الإسلام وقالوا : إنك إن غضبت يذهب الدين فأمسك ونحن نكفيك فقال : والله ما أُريد بما ترون إلاَّ وجه الله والدار والآخرة .

ثم قال لمحمد هكذا تصنع يابن الحنفية ، فقال الناس : من الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين ، قال : فاستدار الجمل كما تدور الرحى وتكاثف الرجال من حوله واشتد رغاؤه وزحام الناس عليه فنادى الحتات المجاشعي أيها الناس أُمكم أُمكم واختلط الناس فضرب بعضهم بعضاً وتقصد أهل الكوفة قصد الجمل وكان دونه ناس كالجبال كلما خف قوم جاء أضعافهم فنادى علي عليه السلام ارشقوا الجمل بالنبل فرموه بالسهام ، فلم يبق فيه موضع إلاَّ أُصيب بالنبل ونادت الأزد وضبة يا لثارات عثمان ونادىٰ أصحاب علي يا محمد فاتخذها شعاراً، واختلط الفريقان فصاح علي ما أرىٰ أحداً يقاتلكم غير هذا الجمل وهذا الهودج عرقبوا الجمل لعنه الله فإنه شيطان ، وقال لمحمد بن أبي بكر : أنظر إذا عرقب الجمل فأدرك أختك فوارها فوضع أمير المؤمنين سيفه في عاتقه وعطف نحو الجمل وأمر أصحابه بذلك ومشىٰ نحوه والخطام مع بني ضبة فاقتتلوا قتالاً شديداً واستمر القتل بني ضبة فقتل منهم مقتلة عظيمة وهجم علي وأصحابه نحو الجمل فعرقب رجل رجلاً من الجمل فدخل تحت رجل ضبي وعرقب منه أخرىٰ فدخل رجل آخر فضربه بجير النخعي على عجزه وعبد الرحمٰن على عينه وعمار على طرفه فحملته بنو ضبة فرشقوا بالسهام فوقع الجمل بجنبه وضرب بجرانه الأرض وعج عجيجاً لم يسمع بأشد منه فما هو إلى أن صرع الجمل حتى فرّت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب فضرب

أمير المؤمنين برمحه على الهودج فقال : يا عائشة أهكذا أمرك رسول الله ﷺ أن تفعلي ؟ فقال : يا أبا الحسن ظفرت فأحسن وملكت فأسجح ، فقال لمحمد بن أبي بكر : شأنك باختك فلا يدنو أحد منها سواك فدنىٰ منها محمد وقال لها : ما فعلت بنفسك عصيت ربك وهتكت سترك ثم أبحت حرمتك وتعرضت للقتل فسكتت ولم تجبه بشيء فأمر أمير المؤمنين أن تحمل بهودجها إلى دار عبد الله بن خلف وأمر بالجمل أن يحرق ثم يذرى في الريح وقال : لعنه الله من دابة فما أشبهه بعجل بني إسرائيل ، ثم قرأ ﴿**وانظر إلى آلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقه ثم لننسفنه في اليم نفسفاً**﴾ ، قال فقالت عائشة لأخيها محمد : أقسمت عليك أن تطلب عبد الله بن الزبير جريحاً كان أو قتيلاً فقال : إنه كان هدفاً للأشتر فانصرف محمد إلى العسكر فقال : أجلس يا ميشوم أهل بيته فاتاها به فصاحت وبكت ، ثم قالت : يا أخي أستأمن له من علي ، فأتىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فاستأمن له منه ، فقال : أمنته وأمنت جميع الناس وكان مع أمير المؤمنين في وقعة الجمل عشرون ألفاً منهم البدريون ثمانون رجلاً وممن بايع تحت الشجرة مأتان وخمسون ومن الصحابة ألف وخمسمائة رجل وكان مع عائشة ثلاثون ألفاً أو يزيدون منهم المكيون ستمائة رجل قتل منهم يوم الجمل عشرون ألفاً وقتل من أصحاب علي ألف وسبعون رجلاً منهم زيد بن صوحان وهند الحملى وأبو عبد الله العبدي وعبد الله بن رقية وقيل لعبد الرّحمٰن بن صرد التنوخي لم عرقبت الجمل فقال :

عقرت ولم أعقر بها لهواتها ... علي ولكني رأيت المهالكا
وما زالت الحرب العوان تحثها ... بنوها بها حتى هوىٰ القود باركا
فأضجعته بعد البروك لحينه ... فخر صريعاً كالثنية حالكا
فكانت شراراً إذا طيقت بوقعة ... فيا ليتني عرقبته قبل ذالكا

حـرب صفين

نـزل أميـر المؤمنين عليه السلام الـرحبـة بعـد وقعـة الجمـل وأرسـل إلى معاوية يدعوه للطاعة فاستنفر معاوية أهل الشـام للطلب بدم عثمـان وضم إليـه عمـرو بن العـاص على أن يـطعمـه مصـر ، فلمـا رأى رسـول أميـر المؤمنين ذلك رجع إليه وأخبره بما رأى .

وجـاء أبو مسلم الخـولاني بكتـاب من معـاويـة إلى أميـر المؤمنين يـذكـر فيـه وكـان أنصحهم لله خليفـة ، ثم خليفـة خليفـة ، ثم الخليفـة الثالث المقتول ظلماً فكلهم حسدت وعلى كلهم بغيت عـرفنا ذلـك ، ثم نـظرك الشزور وقـولك الهجـر وتنفسك الصعـداء أو إبطائـك عن الخلفاء وفى ظـل ذلك تقـاد كمـا يقـاد الجمـل المغشـوش ولم تكن لأحـد منهم أشـد حسـداً منـك لابن عمـك وكـان أحقهم أن لا تفعـل ذلـك لقـرابتـه وفضله فقـطعت رحمه وقبحت حسنـه فـأظهـرت لـه العـداوة وبـطنت لـه بـالغش وألبت الناس عليـه فقتل معـك في المحلة وأنت تسمـع الهـايعـة ولا تـرد عنه بقـول ولا فعل ، فلمـا وصل الخـولاني وقـرأه على النـاس قالوا : كلنا له قاتلون ولأفعـالـه منكرون فكـان جواب أميـر المؤمنين وبعد فـإني رأيت قد أكثـرت في قتلة عثمان فـأدخل فيمـا دخل المسلمـون فيه من بيعتي ، ثم حـاكم القـوم إلى احملكم على كتـاب الله وسنـة نبيـه

محمـد ، وأما الـذي تريـدها فهي خـدعة الصبي عن اللبن ولعمـري لإن نـظرت بعقلك لعلمت أني من أبـرأ النـاس من دم عثمـان ، وقـد علمت أنك من أبناء الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة .

واجمـع أمير المؤمنين عليه السلام على المسيـر لحـرب معـاويـة وحـرض الناس على ذلك ووقعت بينهما مكاتبات كثيرة ذكرها المؤرخون .

قـال أمير المؤمنين عليه السلام قـاتلت الناكثين وهؤلاء القـاسطين وسـأقتل المـارقين ، ثم ركب فرس النبي وقصـده في تسعين ألفـاً منهم تسعمـائـة رجل من الأنصار وثمانمائـة من المهاجـرين فيهم مائـة وثلاثـون رجلاً من أهـل بـدر ومنهم تسعـون رجـلاً بـايعـوا رسـول الله تحت الشجـرة بيعـة الرضوان وخرج معاويـة في مائـة وعشرين ألفـاً يتقدمهم مـروان وقد تقلّد بسيف عثمـان فنزل صفين في المحـرم على شريعـة الفرات وقـال : أنـا لكم الكـاشر عن أنيـابه ليث العـرين جاء في أصحـابه فـانفـذ على شبث إبن ربعي الرياحي وصعصعة بن صوحان ، وقالا في ذلـك لطفـاً وعنفاً ، فقال : أنتم قتلتم عثمان عـطشاً ، فقـال عليه السلام ؛ إرووا السيوف من الـدماء تـروون الماء والمـوت في حياتكم مقهـورين خيـر من الحيـاة في مـوتكم قاهرين فقال شاعر :

أتحمـون الفـرات على رجـال وفي أيـديهم الأصـل الضبـاء
وفي الأعنـاق أسياف حـداد كـان القـوم عنـدهـم نسـاء

وقال مالك الأشتر :

ميعـادنـا الآن بيـاض الصبـح لا يصلح الـزاد بغيـر الـملح

وقال الأشعث بن قيس :

لأوردن خـيـلي الـفـراتـا شعث النـواصي أو يُقـال فـاتـا

فصـاح الأشعث : أيهـا النـاس من أراد المـاء فليـأتي معنـا فـاجتمعت عليه سبعـة عشر ألف رجـل ، فحمل بهم حملة رجـل واحد

ونـــادىٰ بـأعلىٰ صـــوته من عـــرفني فقـد عـــرفني ومن لم يعـرفني فـــأنـا الأشعث بن قيس ، قال فكأنه نادى أنا ملك الموت فتفـرقوا من بين يـديه وتطايروا للهرب فقتل منهم بعضاً وانهزم البـاقون فـأمر أميـر المؤمنين عليه السلام أن لا يمنعوهم الماء قال فأمسكـوا محرم كله عن القتـال ، فلما استهـل صفـر أمر علي عليه السلام قنـودي في أهل الشـام بالأعـذار والإنـذار ، ثم عبـر عسكره فجعل في ميمنته الحسن والحسين وعبد الله بن جعفـر ومسلم بن عقيـل وعلى ميسرتـه محمـد بن أبي بكـر وهـاشم بن عتبـة المـر . قـال وعلى القلب عبـد الله بن العباس والعبـاس بن ربيعة بن الحـارث والأشتر والأشعث وعلى الجنـاح سعد بن قيس الهمـداني وعبد الله بن بـديـل بن ورقـة الخزاعي ورفـاعة بن شـداد البجلي وعدي بن حـاتم وعلي الكمين عمار بن ياسر وعمرو بن الحمق وعامر بن وائل الكناني وقبيضـة بن جابـر الأسدي .

وجعل معاوية على ميمنته ذا الكـلاع الحميري وحـوشب ذا الظليم وعلى الميســرة عمـــرو بن العـــاص وحبيب بـن مسـلمـــة وعلى الـقلب الضحاك بن قيس الفهري وعبد الرحمٰن بن خالد بن الـوليد وعلى السـاقة بشـــر بن أرطـأة الفهـــري وعلى الجنـاح عبـــد الله بن مسعـدة الفـــزاري وهمـام بن قبيصة النمـري وعلى الكمين أبـو الأعـور السلمي وحـابس بن سعـد الـطائي قـال : وبعث عليّ عبـد الله إلى معـاويـة أن أخـــرج حتى أبـــارزك فلم يفعـل فـــزحف الفـريقـــان والتقىٰ الجمعـان والنـــاس على راياتهم .

قـال ابن أبي الحـديـد فخـرج رجـل من أهـل العـراق على فـرس كميت غارقاً في السلاح لا يرىٰ منه إلاَّ عيناه وبيده الرمـح فجعل يضـرب رؤوس أهـل العراق بـالقناة ويقـول سووا صفـوفكم رحمكم الله حتى إذا عـدل الصفوف والـرايات استقبلهم بـوجهه وولى أهـل الشام ظهـره ، ثم حمـد الله واثنىٰ عليه وقـال : الحمد لله الـذي جعـل فينـا ابن عـــم نبيـه أقدمهم هجرة وأولهم إسـلاماً سيف من سيـوف الله صبّه الله على أعـدائه

فانظروا إذا حمى الوطيس وثار القتام وتكسر المرازن وجالت الخيل بالأبطال فلا أسمع إلاَّ غمغمة أو همهمة فاتبعوني وكونوا في أثري ثم عمد على أهل الشام فكسر فيهم رمحه ثم رجع وإذا هو الأشتر وقد جرى بين العسكرين وقائع وفي الكل كانت الغلبة لأمير المؤمنين عليه السلام :

أولها : يوم الأربعاء بين الأشتر وحبيب بن مسلمة .

والثانية : بين المرقال وأبو الأعور .

والثالثة : بين عمار وعمرو بن العاص .

والرابعة : بين ابن الحنفية وعبيد بن عمرو .

والخامسة : بين عبد الله بن العباس والوليد بن عقبة .

والسادسة : بين سعد بن قيس وذي الكلاع إلى تمام الأربعين وقعة آخرها ليلة الهرير خرج عون بن عوف الحارثي قائلاً :

أني أنا عوف أخو الحروب صاحبها ولست بالهروب

فبارزه علقمة قائلاً :

يا عوف إن كنت إمرءاً حازماً لم تبرز الدهر إلى علقمه
لقيت ليثاً أسداً باسلاً يأخذ بالأنفاس والغلصمه

فقتله ورجع وخرج أحمر مولىٰ عثمان قائلاً :

إن الكتيبة عند كل تصادم تبكي فوارسها على عثمان

فأجابه مولىٰ لعلي :

عثمان ويحك قد مضىٰ لسبيله فأثبت لحد مهند وسنان

فقتله الأحمر فقال علي عليه السلام : قتلني الله ان لم أقتلك ، ثم حمل واستقبله بالسيف وهو لا يعرفه فمد علي عليه السلام يده إليه فقبضه من درعه ورفعه عن فرسه وضرب به الأرض فكسر منكبه وأضلاعه وجعل يجول في الميدان :

لهف نفسي وقليـل مـا أسـر ما أصاب الناس من خير وشـر
لم أرد في الدهر يـوماً حـربهم وهم الساعون في الشـر الشمر

وكان لمعاوية غلام يسمىٰ بحريث وكان فـارساً بـطلاً وكان معـاوية يحـذره من التعرض لعلي فخـرج إلى الميدان فقبض عليـه أمير المؤمنين عليه السلام وحبسه في الهواء وجعل يجول ويقول :

ألا إحذروا في حربكم أبا الحسن ولا تـرومـوه فـذا مـن الـغـبـن
فـإنـه يـدقـكـم دق الـطحـن ولا يخـاف في الأبـاح مـن ومن

قـال : ولم يبرز لـه أحد فـرجـع عليه السلام قـال وخـرج من أهـل الشـام رجل يُقال له محزان بن عبـد الرّحمٰن فـوقف بين الصفين وسأل المبـارزة فخرج إليه رجل يُقال لـه المؤمل بـن عبيـد المرادي فتضـاربا بـأسيافهمـا فقتله الشـامي ، ثم نزل وحـزّ رأسه وكب الـرأس على وجهـه ، ثم نـزل إليه فتىٰ من بني أسد يُقال له مسلم بن عبد ربه فقتله الشـامي ونزل وحـز رأسـه وكب الرأس على وجهـه ، فلما رأى علي عليه السلام ذلـك تنكر للشـامي وهـو واقف بين الصفين فخرج إليـه والشامي لا يعـرفه فـطلبه فبـدره عليه السلام بضـربة على عـاتقه فـرمى بشقـه فسقط فنـزل وحـز رأسـه ورمى بـه إلى السمـاء ، ثم ركب ونادى هـل من مبارز فخـرج إليـه آخـر من فـرسـان الشام فضربه وقتله ونزل واحتز رأسه وحـل وجهه إلى السمـاء ، ثم ركب ونادى هل من مبـارز ؟ فلم يزل يخـرج إليه فـارس بعد فـارس وهو يقتله ويفعـل به مثـل الأول إلى أن قتل منهم سبعـة عشر فـاحجم النـاس عنـه ولم يعرفوه ، فقال معاويـة لعبد لـه يُقال لـه حرب وكـان بطلاً شـديداً : ويلك يـا حـرب أخـرج إلى هـذا الفـارس واكفني أمـره فـإنـه قتـل من أصحـابي مـا قـد رأيت ، فقـال لـه حـرب : إني والله أرىٰ مقـام هـذا الفـارس لو بـارزه عسكرك كله لأفنـاهم عن آخـرهم ، فـإن شئت بـرزت إليه واعلـم أنه قـاتلي وإن شئت فاستبقني لغيـره ؟ فقال معـاوية : لا والله ما أحب أن تقتل فقف مكانك حتى يخرج إليه غيرك .

وجعل عليه السلام ينادي ويدعوهم فما خرج إليه أحد ، فرفع المغفر عن رأسه ورجع إلى عسكره فخرج رجل من أبطال عسكر الشام يُقال له كريب بن الصباح فوقف بين الصفين وسأل المبارزة فخرج له من أهل العراق رجل يُقال له المبرقع الجولاني فقتله الشامي ، ثم خرج إليه الحرث الحكمي فقتله أيضاً فنظر علي عليه السلام إلى مقام فارس بطل فخرج إليه بنفسه فوقف قبالته ثم قال : من أنت ؟ فقال : أنا كريب بن صباح الحميري ، فقال له علي عليه السلام : ويحك يا كريب إني أحذرك الله في نفسك وأدعوك إلى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب فالله الله في نفسك فإني أراك فارساً بطلاً فيكون لك ما لنا وعليك ما علينا وتصون نفسك عن عذاب الله ولا يدخلنك مع معاوية نار جهنم فقال كريب أدن مني إن شئت وجعل يلوح بسيفه فمشى إليه علي عليه السلام والتقيا بضربتين فقتله الإمام عليه السلام ، ثم وقف فخرج إليه الحرث الحميري فقتله أيضاً وهكذا إلى أن قتل أربعة نفر وهو يقول الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين .

ثم صاح علي عليه السلام يا معاوية هلم إلى مبارزتي ولا تفنين العرب بيننا فقال معاوية : لا حاجة لي في مبارزتك فقد قتلت أربعة من سباع العرب فحسبك ، فصاح رجل من أصحاب معاوية يُقال له عروة بن داود يابن أبي طالب إن كان معاوية قد كره مبارزتك فهلم إلى مبارزتي فذهب علي نحوه فبدره عروة بضربة ، فلم تعمل شيئاً وضربه عليه السلام فأسقطه ثم قال : انطلق إلى النار ، وكبر على أهل الشام قتل عروة فلم يخرج أحد إلى المبارزة فرجع أمير المؤمنين عليه السلام قال وخرج عبد الرّحمٰن بن خالد بن الوليد يقول :

قل لعلي هكذا الوعيد ... أنا ابن سيف اللّه لا مزيد
وخالد ابن بنته الوليد ... قد فتر الحرب فزيدوا زيدوا

فبرز الأشتر مرتجزاً :

بـالضـرب أو ميتـة مؤخـرة يـا رب جنبني سبيـل الفجـرة
ولا تـجنـبني ثـواب البـررة واجعـل وفـاتي بأكف الكفـرة

فضـربـه الأشتـر فـانصـرف يقـول : أفنـانـا دم عثمـان ، فقـال لـه معاوية : هذه فاشرة الصباة فاصبر فإن الله مع الصابرين ، وخـرج معاويـة يشير إلى همدان وهو يقول :

لا عيش إلاَّ فلق قحف الـهـام مـن أرحب ويـشـكـر شـيـام
قـوم هم أعـداء أهـل الشام كـم من كـريـم بـطل همـام
وكـم قتيـل وجـريـح رامي كـذاك حـرب السـادة الكـرام

فبرز سعيد بن قيس يقول :

لا هـم رب الحـل والـحـرام لا تجعـل الملك لأهـل الشـام

فحمـل وهل مشـرع رمحه فهـرب معاويـة ودخـل في غمـار القـوم وجعل قيس يقول :

يـا لهف نفسي فـاتني معـاويـة على أطم كـالعقـاب هـاويـة
والـراقصـات لا بعـود ثـانيـة إلاَّ هـوىٰ معفـراً في الهـاويـة

وبرز أبو الطفيل الكناني قائلاً

تحـامت كنـانـة في حـربهـا وحـامت تميم وحـامت أسـد
وحـامت هـوازن من بعـدهـا فمـا حـام منهـا ومنهم أحـد
طحنـا الفـوارس يـوم العجـاج وسقنـا الأراذل سـوق النكـد

وجال أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً :

أنـا علي فـاسألوني تخبـروا ثم أبرزوا لي في الوغىٰ وأبدروا
سيفـي حسـام وسنـاني يـزهـر منـا النبي الـطاهـر المـطهـر
وحمـزة الخيـر ومنـا جعفـر وفـاطم عـرسي وفيهـا مفخـر

هـذا لهـذا وابن هنـد محجر مـذبـذب مـطرد مـؤخـر

فاستخلفه عمرو بن حصين السكوني على أن يـطعنه فـرآه سعيد بن قيس فطعنه وأنشد :

أقـول لـه ورمحي في حشـاه وقـد فـرّت بمصـرعـه العيـون
ألا يا عمرو عمـرو بني حصين وكـل فتىٰ ستـدركـه المنـون
أتـدرك أن تنـال أبـا حصين بـمـعـضـلة وذا مـال يـكـون

وأنفذ معاوية ذا الكلاع إلى حـرب همدان فـاشتبكت الحرب بينهم إلى الليل ، ثم انهزم أهل الشام فأنشد أمير المؤمنين عليه السلام :

فوارس من همدان ليسوا بعزل غـداة الورىٰ من شـاكر وشيـام
يقـودهم حامي الخفيـة ما جـد سعيد بن قيس والكريم محامي
جزىٰ اللّه همدان الجنان فإنهم سهام العدى في كل يوم حمام

وبـرز أبو أيـوب الأنصاري فنكلوا عنـه فحاذىٰ معـاويـة حتى دخـل فسطاطه فترفع إبن منصور ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام :

وعلَّمنـا الحـرب آبـاؤنـا وسـوف نعلم منـا البنينـا

وخرج رجل في براز رجل كوفي فصرعـه الكوفي ، فـإذا هو أخـوه فقـالوا : خله فـأبىٰ أن يطلقـه إلاَّ بأمـر علي عليه السلام فأذن لـه بذلـك ، وبرز عبد الله بن خليفة الطائي في جماعة من طي وارتجز :

يـا طي طي السهـل والجبـال ألا إثبتـوا بـالبيض والعـوالي
وقـاتـلوا أئـمـة الـضـلال

وخرج بشر بن أرطأة وهو يقول :

أكـرم بـجنـد طَيـب الأردان جـاءوا يكونـوا أوليا الـرحمان
إنـي أتـاني خـبـر شجـانـي أن عـليـاً نـال من عـثـمـان

فبرز إليه سعيد بن قيس قائلاً :

بؤساً لجند ضائع الإيمان أسلمهم بشر إلى الهوان
إلى سيوف لبني همدان أقسم بالرحيم والرحمان
أن علياً خير من عثمان وقيس خير من أبي سفيان

فانصرف بشر من طعنته مجروحاً .

وخرج أدهم بن لام القضاعي مرتجزاً :

أثبت لوقع الصارم الصقيل فأنت لا شك أخو قتيل

فقتله حجر بن عدي ، فخرج الحكم بن الأزهر قائلاً :

يا حجر حجر بن عدي الكندي أثبت فإني ليس مثلي بعدي

فقتله حجر فخرج إليه مالك بن مسهر القضاعي يقول :

أني أنا إبن مالك بن مسهر أنا إبن عم الحكم بن الأزهر

فأجابه حجر :

إني حجر وأنا إبن مسعر أقدم إذا شئت ولا تؤخر

وبرز علقمة فأُصيب في رجله ، وقتل من أهل العراق عمير بن عبيد المحرابي وبكر بن عودة النخعي وإبنه حيان ، وسعيد بن نعيم ، وأبان بن قيس فحمل علي عليه السلام على أهل الشام فهزمهم فقال معاوية : كنت أرجو اليوم ظفراً . وبرز الأشتر فجعل يقتل واحداً بعد واحد فقال معاوية في ذلك فبرز عمرو بن العاص في أربعمائة فارس إليه فتبع الأشتر مائتا رجل من نخع ومدحج وحمل الأشتر عليه فوقعت الطعنة في القربوس فانكسر وخر صريعاً وسقطت ثناياه فاستأمنه .

وبرز الأصبغ بن نباتة قائلاً :

حتى متى نرجو البقايا أصبغ أن الرجاء للقنوط يدمغ

وقاتل حتى حرك معاوية من مقامه ، وخرج عوف المرادي قائلاً :

أنا المرادي وإسمي عوف هل من عراقي عصاه سيف

فبرز إليه كعبر الأسدي قائلاً :

الشـــام فيـهـــا فتىٰ مغـــور أنـــا العـــراقي واسمي كـعبـــر

فقتله ورأى معاوية على تل فقصد نحوه فلما قـرب منه حمـل عليه مرتجزاً :

ويلي عليـــك يـــا بـني هـنـــد أنـــا الغـلام الأحمـــدي حمـد

فأخذه أهل الشام بالطعان والضراب فانسل من بينهم وهو يقول :

فلو نلتـه نلت التي ليس بعـدهـــا من الأمـــر شيئاً غيـــر مين مقـــال
ولـــو مت من نيلي لـه ألف ميتـــة لقلت لمـــا قـد نلت لست أُبـــالي

وخرج عبد الرحمان بن خالد بن الـوليد فبـرز إليه حـارثة بن قـدامة السعـدي فقتله ، وخرج أبـو الأعور السلمي فـانصرف من طعنـة زياد بن كعب الهمـداني مجروحاً ، وقتل بنـو همدان خلقـاً كثيراً من أهـل الشـام فقـال معاويـة بنو همـدان أعداء عثمـان ، وبرز عميـر بن عطارد التميمي في قومه قائلاً :

قـد صابـرت في حـربهـا تميم لـهـــا حـــديث ولـهـــا قـــديـم
ديـــن قـــديـــم وهـــدى قـــديـــم

فقاتلوا إلى الليل وبرز قيس بن سعد بن عبادة :

أنـــا إبـن سعـــد وأبـي عبـــادة والخـــزر جيـون رجـــال سـادة
حتى متى تثنـى لي الـــوســـادة والخـــزر جيـون رجـــال سـادة
يـــا ذا الـــجـــلال لـقـــني الـــشـــهـــادة

فخرج بسر بن أرطأة وأرتجز :

انـــا إبن أرطـــأة الجليـــل القـــدر فـي أســـرة مـن غـــالـــب وفـهـــر
أن أرجـــع الـيـــوم بـغـيـــر وتـــر فقـد قضيت في إبن سعـد نـذري

فـــانصـرف مجـــروحـاً من ضـــربـة قيس ، وخـــرج المخـادع بن

عبـد الرّحمـان وقتل المـرادي ومسلم الأزدي ورجلين آخرين ، فبـرز إليه أمير المؤمنين متنكراً فقتله وقتل سبعة بعده .

وخرج كريب الصباح : فقتل مبرقع الخولاني ، وشرحبيـل البكري والحـارث الحكيمي ، وعبـد الـرّحمٰـان الهمـداني ، فقتله أميـر المؤمنين عليه السلام ثم قتـل الحـرث بن رادع والمـطاع بن المـطلب وعروة بن داوود ، وخرج مولىٰ لمعاوية مرتجزاً :

إني أنـا الحـارث مـا بـه حـذر مولىٰ إبن صخر وبه قد انتصـر

فقتله قنبر مولىٰ أمير المؤمنين عليه السلام ، وخرج بريد الكلبي قائلاً :

لقــد ضلت معـاشــر من نـزار إذ إنقــاد والمثــل أبي تــراب

فقتله الأشتـر وخرج مشجـع الحـذامي فـطعنـه عـدي بن حـاتم ، ونـادى خالـد السدوسي ومن يبـايعني على المـوت فـأجابـه تسعـة آلاف فقاتلوا حتى بلغوا فسطاط معاويـة فنهبوا فسـطاطه فهـرب معاويـة ، وأنفذ معاوية إليه وقال يا خالد لك عنـدي إمرأة خـراسان متى ظفـرت ، ويحك أقصر عن فعالك هذا ، فنكل عنه فتفـل أصحابـه في وجهه وحـاربوا إلى الليل ، قال وخرج رجل من عسكر الشام قائلاً لهاشم المرقال :

يــا أعـور العين ومــا فينــا عــور نبغي ابن عفــان ونلحي من عـذر

فقتله المرقال فهجموا على المرقال فقتلوه ، فأخذ سفيان بن الثـور رايته فقاتل حتى قتل فأخذها عتبة بن المرقال فقاتل حتى قتـل ، فأخـذها أبو الطفيل الكناني مرتجزاً :

يــا هـاشم الخيــر دخلت الجنــة قـتـلت فـي الـلّه عــدو الـسـنــة

فقاتل حتى جـرح فرجـع القهقهرى فـأخذهـا عبد الله بن بـديل بن ورقا الخزاعي مرتجزاً :

أضـربكم رغمـاً على معـاويـة الأبـرح العين العظيم الهـاويـة

هـوت بـه في النـار أم هـاويـة جـاوره فيهـا كـلاب عـاويـة

فهجموا عليه فقتلوه فأخذها عمرو بن الحمق قائلاً :

جـزىٰ اللّه فينـا عصبـة أي عصبـة حسان وجوه صـرعوا حـول هاشم

وقاتل أشد القتال فخرج ذا الظليم قائلاً :

أهـل العراق نـاسبـوا وانتسبـوا أنـا اليمـاني وإسمي حـوشب
مـن ذي الـظليـم أيـن أيـن الـمـهـرب

فبرز إليه سليمان بن صرد الخزاعي قائلاً :

يـا أيهـا الحي الـذي تـذبـذبـا لسنـا نخاف ذا الـظليم حوشباً

فحملت الأنصـار حملة رجـل واحـد وقتلوا ذا الكـلاع وذا الـظليم وجمعاً ممن معهم وكاد يؤخذ معاوية فقال أنصاري :

معـاويـة مـا أفلت إلاَّ بجـرعـة من الموت حتى تحسب الشمس كوكبا
فـإن تفرحـوا بإبن البـديل وهـاشم فـإنا قتلنـا ذا الكـلاع وحـوشباً

وخرج عبيد الله بن عمر وهو يقول :

أنـا عبيـد الـلّه ينـميـني عـمـره خيـر قـريش من مضىٰ ومن غبـر

فقتل أمرّ قتلة، وبـرز عمّار في رايـات فقتل من أصحـاب معاويـة سبعمـائة رجـل ومن أصحـاب أميـر المؤمنين عليه السلام مـائتـا رجـل ، وخـرج عمرو بـن العاص يقول :

إني إذا الحـرب تفـرت عن كثـر أحمـل مـا حملت من خيـر وشـر

فقصده الأشتر مرتجزاً :

إني أنـا الأشتـر معـروف السيـر إني أنـا الأفعىٰ العـراقي الـذكـر
لست ربيعيـاً ولسـت من مـضـر لكنـني مـن نخـع الـشم الـغـرر

فهـزمهم وجـرح عمـروا ، وخـرج العبـاس بن ربيعـة بن الحـرث

الهاشمي فبرز له من أصحاب معاوية عـراد بن أدهم صاح : يـا عباس يـا عبـاس هـل لـك في البـراز؟ فقـال لـه العبـاس : وأنت هـل لـك في النـزول ؟ فقال : نعم ، فـرمى العباس بنفسـه عن فرسـه ثم تلاقيـا وكف أهل الجيشين أعنة خيولهم ينظرون إلى الرجلين، ثم تضاربـا بأسيـافهما فمـا قدر أحـدهما على صـاحبه لكمـال لامته وعلي عليه السلام يـراهما ، فنـظر العبـاس إلى وهن في درع عـراد فضـربـه عليـه فقـده بـإثنين فكبُّـر العسكران ، ثم عطف العبـاس وركب فرسـه ، فقال معـاوية لأصحـابه : من خـرج منكم إلى هـذا فتـولاه وقتله فله كـذا وكـذا من المـال فـوثب رجـلان من بني لخم من اليمن فقالا : نحن نخـرج إليه ، فقـال : أيكما سبق إلى قتله فله من المال ما بـذلت وللآخـر مثله فخرجـا جميعاً ووقفـا في مقـر المبارزة ، ثم صـاحا بـالعباس ودعيـاه إلى القتال قـال : إستأذن صاحبي وأبرز إليكما ، فقال علي عليه السلام : أدن مني فدنا منه فأخـذ سلاحـه وفـرسه وأعـطاه سلاح نفسـه ولباسـه ولبس سلاح العبـاس وركب فـرسـه وخرج كأنـه هو فقـال له : اللخميـان إستأذنت فأذن لك مـولاك فتحرج عليه السلام من الكـذب وقرأ : ﴿**إن الـذين يقـاتلون بـأنهم ظلمـوا وإن الله على نصـرهم لقديـر**﴾ فتقدم إلى أحـدهما فقـده نصفين وإلى الآخر فـالحقـه بصـاحبه ، ثم جـال جولـة ورجع إلى مـوضعه ، فعلم معـاويـة أنـه علي عليه السلام ، فقال : قبح الله اللجاج أنه لقعـود ما ركبتـه إلاَّ خذلت ، فقـال له ابن العاص : المخذول والله اللخميـان لا أنت ؟ فقال لـه معاويـة : أيها الإنسان ليس هذه الساعة من ساعاتـك ، قال عمـرو : فإن لم تكن هـذه السـاعـة من سـاعـاتي فـرحم الله اللخميين ولا أظنـه يفعـل فضحـك معاوية .

وخرج قبيصة النمري مرتجزاً :

أقـدم إقـدام الهـزبـر العـالي في نصـر عثمـان ولا أُبـالي

فبرز عدي بن حاتم قائلاً :

يا صاحب الصـوت الرفيـع العالي أفـدي عـليـاً ولـدي ومـالـي

وعيّن معاوية أربعة صفوف : فتقدم أبو الأعور السلمي يحرضهم ويقول : يا أهل الشام إياكم والفرار ، فإنها مسبة وعار ، فدقوا على أهل العراق فإنهما أهل فتنة ونفاق فبرز سعيد بن قيس والأشتر وعدي بن حاتم والأشعث فقتلوا منهم ثلاثة آلاف ونيفاً وانهزم الباقون .

وخرج كعب بن جعيل شاعر معاوية يقول :

أبرز إلي الآن يا نجاشي فإنني لبث لدي الهراش

فبرز إليه النجاشي شاعر علي عليه السلام قائلاً :

أربع قليلاً فأنا النجاشي لست أبيع الدين بالمعاش
انصر خير راكب وماشي ذاك عليّ بين الرياش

وبرز عبد الله بن جعفر في ألف رجل ، فقتل خلقاً كثيراً حتى استغاث عمرو بن العاص ، وأتىٰ أويس القرني متقلداً بسيفين وقيل كان معه مرماة ومخلاة من الحصى فسلّم علي أمير المؤمنين عليه السلام ودفنه وبرز مع رجاله ربيعة فقتل ، فصلّىٰ عليه أمير المؤمنين عليه السلام ودفنه ، ثم أن عماراً أتىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وأستأذنه البراز فلم يأذن له فألح عليه ، فلم يفعل فبكىٰ وقال : يا أمير المؤمنين لعل هذا اليوم هو الذي أوعدني به حبيبي رسول الله إذ قال لي يا عمار تقتلك الفئة الباغية فبكىٰ عليه السلام وعانقه طويلاً ، ثم أذن له فشهر سيفه ومضىٰ وهو يقول :

نحن ضربناكم على تنزيله واليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

فلم يزل يقاتل حتى كمن له أبو العادية الفزاري ورماه بسهم فوقع قتيلاً على الأرض قيل أن ذلك السهم وقع في قلبه وأخبر أمير المؤمنين بخبره ، فمشىٰ إليه وبكىٰ عليه حتى ابتلت كريمته وأنشد يقول :

ألا أيها الموت الذي هو قاصدي أرحني فقد أفنيت كل خليل
أراك جديراً بالذين أحبهم كأنك تأتي نحوهم بدليل

قال : فاجتمع العسكر ونحوه من فوق جسد عمار وبرز أمير المؤمنين عليه السلام ودعا معاوية وقال : أسألك أن تحقن الدماءو وتبرز إليّ أو أبرز إليك ، فبهت معاوية ولم ينطق بشيء ،فحمل عليه السلام على الميمنة فأزالها ، ثم حمل على الميسرة فطحنها ، ثم حمل على القلب فقلبه وقتل في هذه الحملات خلقاً كثيراً وهو ينشد ويقول :

فهل لك في أبي حسن علي لعل الله يمكن من قفاكا
دعاك إلى البراز فكف عنه ولو بارزته بترت يداكا

فانصرف أمير المؤمنين عليه السلام وبرز متنكراً فخرج عمرو بن العاص قائلاً :

يا قادة الكوفة من أهل الفتن يا قاتلي عثمان ذاك المؤتمن
كفىٰ بهذا حزناً مع الحزن أضربكم ولو أرى أبا الحسن

فولىٰ عمرو هارباً فطعنه أمير المؤمنين عليه السلام فوقعت في ذيل درعه فاستلقىٰ على قفاه فرفع رجليه فأبدى عورته فصرف عليه السلام عنه وجهه ، وأقبل عمرو على معاوية فجعل معاوية يضحك من عمرو وقال : أحمد الذي عافاك واشكر استك الذي وقاك ، فقال عمرو : والله لو بدا له من صفحتك مثل ما بدا له من صفحتي إذاً لأوجع قدا لك وأيتم عيالك وأنهب أموالك ، فقال معاوية : لو كنت تحتمل مزاحاً لمازحتك ، فقال عمرو : وما أحملني المزاح ولكن لو لقي رجل رجلا فصد عنه ولم يقتله أقطرت السماء دماً ، قال : لا ولكنها تعقب فضيحة ألا بد وجبناً ، أما والله لو أنك عرفته لما أقدمت عليه ، قال : أنا وأنت سواء في هذه ، قال وبرز علي عليه السلام ودعا معاوية فنكل عنه ، فخرج بسر بن أرطاة يطمع في علي فضربه أمير المؤمنين فاستلقىٰ على قفاه وكشف عن عورته فأعرض عنه أمير المؤمنين عليه السلام وصاح كوفي ويلكم يا أهل

الشـام أما تستحـون من معـاملة المخـانيث لقـد علمكم رأس المخـانيث عمـرو ، وقـد روى هـذه السيـرة عن أبيـه عن جـده في كشف العـورات وسط عرصات الحروب وأنشأ يقول :

أفي كـل يـوم فـارس ذو كـريهــة لـه عـورة وسط العجـاجـة بـاديـة
يكف بـهــا عنــه عـلي سنــانــه ويضحك منها في الخـلاء معاويـة
فيـا سـوئهـا من حـالـة مستهـانــة فضحتهــا بين الـبــريــة بــاقيــة
فقــولا لعمـرو وابن أرطــأ أبصـرا سبيلكمــا لا تلقيـا الليث ثـانيــة
فــلا تـحمــدا إلاَّ لأستـيـكـمــا همـا لقد كـانتا للنفس واللّه واقيـة
فلولاهمــا لم تنجيـا من سنــانــه وتلك بمـا فيهـا عن العـود نـاهيـة

قال وخرج غلام بسر وكان إسمه لاحق قائلاً :

أرديـت بسـراً والـغــلام ثــائــرة وكــل أب مــن عــليــه قــادرة

فطعنه الأشتر وهو يقــول :

في كـل يـوم رجــل شيـخ بــادره وعــورة وسط العجــاج ظــاهــرة
أبــرزهــا طـعـنــة كـف فــاتــرة عمــرو وبسـر ذهبــا بـالقــاهــرة

ولما رأى معاوية كثرة بـراز أمير المؤمنين عليه السلام أخـذ في الخديعـة ، فكتب عمرو إلى ابن عباس وعروة فمما كتبه قوله :

طـال البـلاء فـلا نـدري لـه أسىٰ بعـد الإلٰـه سـوى رفق ابن عبـاس

فكان جواب ابن عباس :

يا عمرو حسبك من غدر ووسواس فاذهب فمالك في ترك الهدى آسي
إلا بــوادر طـعن فـي نـحــوركـم تشجي النفوس له في النقع إفلاس
إن عادت الحرب عدنا فالتمس هرباً في الأرض أوسلماً في الأفق يا قاسي

ثم كتب معـاوية إليـه يذكـر إنمـا بقي من قـريش ستـة أنـا وعمـرو وبالشام وسعـد وإبن عمر بـالحجاز ،وعلي وأنت بـالعراق ، على خـطب

عظيم ولو بويع لك بعد عثمان لأسرعنا فيه فأجابه ابن عباس :

دعوت ابن عباس إلى السلم خدعة وليس لهـا حتى تمـوت بخـادع

وكتب إلى علي أما بعد فإنا لـو علمنا أن الحـرب تبلغ بنا وبـك ما بلغت لم يجنهـا بعضنا إلى بعض ، وإن كنـا قد غلبنـا على عقولنـا فقـد بقي لنا ما ترم به مـا مضى ونصلح به مـا بقى ، وقد كنت سـألتك الشـام على أن لا يلزمني لـك طاعـة ولا بيعة فـأتيت علي وأنا أدعـوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنك لا تـرجو من البقـاء إلاَّ ما أرجـو ولا تخاف من الفنـاء إلاَّ ما أخـاف وقـد والله رقت الأجسـاد وذهبت الـرجـال ونحن بنـو عبـد مناف ليس لبعضنـا فضل على بعض يستـذل به عـزيـز ويستـرق بـه حر :

فأجابـه عليه السلام أما قـولك أن الحـرب قد أكلت العـرب إلاَّ حشاشـات أنفس بقيت ، ألا ومن أكله الحق فـإلى النار وأمـا طلبتك الشـام فإني لم أكن لأعطيك اليـوم ما منعتـك أمس ، وأما إستوائنـا في الخـوف والرضـا فلست أمضي على الشك مني على اليقين وليس أهل الشـام على الدنيـا بـأحرص من أهـل العـراق على الآخـرة ، وأما قولك نحن بنو عبد مُناف فكـذلك نحن وليس أمية كهاشم ولا حـرب كعبد المـطلب ولا أبو سفيـان كـأبي طـالب ولا الـطليق كـالمهـاجـر ولا الصـريـح كـاللصيق ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كـالمدغـل وفي أيدينـا فضل النبـوة الذي أذللنـا بها العـزيز ونعشنـا بها الـذليل ، وفـوض معاويـة لإبن الخديـج الكنـدي أن يكاتب الأشعث والنعمان بن بشير أن يكاتب قيس بن سعـد في الصلح ، ثم أنفـذ عمـرو وعتبـة وحبيب بن مسلمـة والضحـاك بن قيس إلى أميـر المؤمنين عليه السلام ، فلما كلموه قـال أدعوكم إلى كتـاب الله وسنة نبيـه ، فإن تجيبـوا إلى ذلك فللرشـد أصبتم وإن تأبـوا لم تزدادوا من الله إلاَّ بعـداً . فقـالوا : قـد رأينـا أن تنصـرف عنـا فنخلي بينكم وبين عـراقكم وتخلون بيننـا وبين شـامنـا فقـال عليه السلام : لم أجـد إلاَّ القتـال أو تتبعـون السنـة والكتـاب . قال : فـانصرفـوا ، ثم برز الأشتـر وقال : سـووا صفـوفكم

ونادى أمير المؤمنين قـاتلوا أئمة الكفـر فإنهم لا إيمـان لهم لعلهم ينتهون ألا إن خضـاب النساء الحنـاء وخضاب الـرجال الـدماء والصبـر من خيـر عواقب الأُمور ألا إنها أحن بدرية ، وضغائن أحدية ، وأحقـاد جاهليـة ، ثم تقدم عليه السلام وهو يرتجز ويقول :

دبــوا دبيب النمــل لا تـفــوتــوا وأصبحــوا في حــربكـم وبيتــوا
كيمــا تنالــوا الـدين أو تمــوتـوا أو لا فـإني طـالـمـا عـصـيـت
قــد قـلتـم لــو جئـتـنـا فـجيـت

فحمـل في سبعة عشـر ألف رجل فكسـروا الصفوف فقـال معاويـة لعمرو : اليوم صبر وغداً فخـر ، فقال عمـرو : صدقت يـا معاويـة ولكن الموت حق والحياة بـاطل ولـو حمل علي في أصحـابه حملة أُخـرىٰ فهو البـوار ، فقال أميـر المؤمنين لأصحابـه : فما إنتظـاركم إن كنتم تريـدون الجنة فبرز الهيثم بن التيهان قائلاً :

أحمــد ربي فهـو الحميــد ذاك الـذي يفعل مـا يـريـد
ديــن قــيــوم وهــو الــرشــيــد

فقاتل حتى قتل وبرز خزيمة بن ثابت قائلاً :

كم ذا يــرجى أن يعيش المــاكث والـنــاس مــوروث وفيـهم وارث
هــذا عــلي مــن عــصــاه نــاكــث

فقاتل حتى قتل وبرز عدي بن حاتم وهو يقول :

أبعــد عمــار وبـعــد هــاشم وابن بـديل صـاحب المـلاحم
تــرجــو البقــا من بعــد يــابـن حــاتم

فقاتل حتى فقئت عينه وبرز الأشتر مرتجزاً :

سيــروا إلى اللّه ولا تعـرجــوا ديـن قــويم وسـبيــل مـنهــج

وقتـل جنـدب بن زهيــر فلم يـزالــوا يقـاتلون حتى دخلت وقعــة

الخميس وهي ليلة الهـرير وكـان أصحـاب أميـر المؤمنين عليه السلام يضـربـون الطبول من أربع جوانب عسكر معاويـة ويقولـون على المنصور وهـو عليه السلام يـرفع رأسـه إلى السماء سـاعة بعـد سـاعـة ويقـول : اللَّهمَّ إليـك نقلت الأقدام ، وإليك أفضت القلوب ورفعت الأيدي ومدت الأعنـاق وطـلبت الحوائج وشخصت الأبصـار ، اللَّهمَّ إفتح بيننـا وبين قومنـا بـالحق وأنت خير الفاتحين وينشد عليه السلام :

الليـل داج والكبـاش تنتـطح نـطاح أسد مـا أراهـا تصـطلح
عنهـا قيـام وفـريق مـنبـطح فمن نجى بـرأسـه فقـد ربـح

وكـان عليه السلام يحمـل عليهم مـرّة بعـد مـرّة ، ويـدخـل في غمـارهم ويقـول : الله الله في الحـرم والـذريـة ، فكـانـوا يقـاتلون أصحـابهم بـالجهـد ، فلمـا أصبـح كـان قتلىٰ عسكـره أربعـة آلاف رجـل ، وقتلىٰ عسكر معاوية اثنين وثلاثين ألف رجل ، وقتل أميـر المؤمنين بانفـراده في هذه الليلة خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلاً ، وكان كلمـا قتل فـارساً أعلن بـالتكبير فـأحصيت تكبيـراتـه في تلك الليلة فكـانت خمسمـائـة وثـلاثـة وعشرين تكبيرة بخمسمائة وثـلاثة وعشـرين فارسـاً ، وعرفـوا قتلاه نهـاراً بضـرباتـه فإنهـا كـانت على وتيـرة واحـدة ، إن ضـرب طـولاً قـدّ ، وإن ضرب عرضاً قطّ .

قال جابر بن نمير والله لكأني أسمع عليـاً يوم الهـرير وذلـك بعدمـا طحنت رحىٰ مدحج فيما بينها وبين عـك ولخم وجذام والأشعـريين بأمـر عظيم تشيب منها النـواصي حتى إستقلت الشمس قام قـائم الظهـر وعلي يقـول لأصحـابـه : حتى متى يخلي بين هـذين الحيين ؟ قـد فنينـا وأنتم وقـوف تنظرون ؟ أمـا تخافـون مقت الله ؟ ثم إستقبل القبلة ونـادى : يـا الله يـا الله يا رحـمٰن يـا رحيم يا واحـد يا أحـد يـا صمـد يـا الله يـا إلٰـه محمـد اللَّهمَّ إليـك نقلت الأقـدام ورفعت الأيـدي ومـدت الأعنـاق وشخصت الأبصـار وطلبت الحوائـج ، اللَّهمَّ إنا نشكـوا إليك غيبـة ولينـا وكثرة عدونا وتشتيت أهوائنـا ربنا إفتـح بيننا وبين قـومنا بـالحق وأنت خير

الفاتحين ، سيروا على بركة الله ، ثم نادى : لا إله إلاَّ الله والله أكبر كلمة التقوى ، قال : فلا والذي بعث محمداً بالحق نبينا ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السمٰوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب أنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب يخرج وسيفه منحن ويقول : معذرة إلى الله تعالىٰ وإليكم من هذه لقد هممت أن أفلقه ولكن يحجزني عنه أني سمعت رسول الله يقول : لا سيف إلاَّ ذو الفقار ولا فتىٰ إلاَّ علي ، وأنا أقاتل به دونه ﷺ قال فكنا نأخذه فنقومه ، ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصفوف فلا والله ما لبث بأشد نكاية منه في عدوه .

قال فصاح أصحاب معاوية والله لا نبرح اليوم العرصة حتى نموت أو يفتح لنا ، وصاح أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والله لا نبرح اليوم العرصة حتى نموت أو يفتح لنا ، فبادروا القتال رمياً بالنبل حتى فنيت النبال وتطاعنوا حتى تقصفت الرماح ، ثم نزل القوم عن خيولهم ومشىٰ بعضهم لبعض بالسيوف حتى كسرت جفوتها وقام الفرسان بالركب ، ثم إضطربوا بالسيوف وبعمد الحديد ، فلم يسمع السامعون إلاَّ تغمغم القوم وصليل الحديد في الهام قال : وصاح عمرو بن العاص بعبد الرحمٰن بن خالد بن الوليد : إقحم يابن سيف الله فتقدم عبد الرّحمٰن بلوائه وتقدم أصحابه فتقدم علي وصاح بالأشتر أنه قد بلغ لواء معاوية حيث ترى فدونك القوم فأخذ الأشتر لواء على فضارب القوم حتى ردهم فاشتد القتال جدا فدعا علي ببغلة رسول الله فركبها ، ثم تعصب بعمامة رسول الله ونادى : أيها الناس من يشري نفسه لله إن هذا يوم له ما بعده غد فانتدب مع إثنا عشر ألف فتقدمهم وحمل على القوم فحمل كلهم حملة واحدة ، فلم يبق لأهل الشام صف إلاَّ أزالوه حتى أفضوا إلىٰ معاوية فدعى معاوية بفرسه ليفر قال وكان معاوية يحدث بعد ذلك ويقول : لما وضعت رجلي في الركاب ذكرت قوله مكانك تحمدي أو تستريحي ، قال: فقال معاوية لإبن العاص : إعمل تدبيراً

وإلاَّ أُخـذنا، فقـال عمرو نـرفع المصـاحف ونـدعـوهم إليهـا ، فقـال : أصبت فـرفعوهـا وكان عـدتها خمسمـائـة مصحفـاً وصـاحـوا الله الله في النسـاء والبنات الله الله في دينكم هـذا كتاب الله بيننـا وبينكم ، فقـال : اللَّهمَّ إنـك تعلم مـا الكتـاب يـريـدون فـاحكم بيننـا وبينهم واختلف أصحـابه ، فقـال بعضهم : القتال القتـال ، وقال بعضهم : المحـاكمـة بـالكتاب ، قـال : فـأتىٰ مسعـر بن فـدكي ، وزيـد بن حصين الـطائي ، والأشعث بن قيس الكنـدي إلى أمير المؤمنين وقـالـوا : أجب القـوم إلى كتـاب الله ؟ فقـال : ويحكم والله إنهم مـا رفعـوا المصـاحف إلاَّ مكيـدة وخديعة حين علوتموهم ، قال : فأقبل إليه عشرون ألف رجـل يقولـون يا علي أجب إلى كتـاب الله وإلاَّ قتلنـاك أو بعثنـا بـك إلى القـوم ! فقـال عليه السلام : إحفظـوا مقالتي فـإني آمركم بـالقتال فـإن تعصوني فـافعلوا ما بـدا لكم ، قـالوا : فـابعث إلى الأشتر ليـأتينك فبعث إليـه يـزيـد بـن هـانيء السبيعي يـدعوه فقـال الأشتر : إني قـد رجوت أن يفتـح الله فـلا تعجلن وشـدد في القتال ، فقـالوا : حـرّضه بـالحـرب فـابعث إليـه بعـزيمتـك ليأتينك وإلاَّ والله اعتزلناك أو قتلنـاك ، فقال عليه السلام : يـا يزيـد عد إليـه فقل له أقبل إلينا فإن الفتنة قد وقعت ، فـأقبل الأشتـر يقول : يـا أهل العـراق يـا أهل الـذل والـوهن ، أحين علوتم القـوم وعلمـوا أنكم لهم قـاهـرون رفعـوا لكم المصـاحف خـديعـة ومكـر ، فقـالـوا : قـاتلنـاهم في الله ، فقـال : ويحكم أمهلوني عدوة فـرسي ، قـالـوا : إنـا لسنـا نـطيعـك ولا صـاحبك ، قـال : فسبهم وسبـوه وضـرب وجـوه دوابهم فلم يـرجعـوا ، ووضعت الحرب أوزارها ، فبعث أميـر المؤمنين إلى معاويـة لماذا رفعتم المصـاحف قالـوا للدعاء إلى العمـل بمضمونهـا وأن نقيم حكماً وتقيمـوا حكمـاً ينـظران في هـذا الأمـر ويقـران الحق مقـره ، قـال : فتبسم أميـر المؤمنين عليه السلام تعجباً ، وقال : يـابن أبي سفيان أنت تـدعوني إلى العمـل بكتـاب الله وأنا كتـاب الله النـاطق إن هـذا لهـو العجب العجيب والأمـر الغـريب ، ثم قـال : إنهـا خـديعـة فعلهـا إبن العـاص لمعـاويـة ، فلم

يسمعوا وألزموه بالتحكيم بعد الإزدحام عليه وتهديده بالقتل .

وعن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال : لما أراد الناس علياً عليه السلام أن يضع الحكمين قال : أن معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحداً هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص وإنه لا يصلح للقرشي إلاَّ مثله ، فعليكم بعبد الله بن العباس فارموه به فإن عمروا لا يعقد عقدة إلاَّ حلها عبد الله ولا يحل عقدة إلاَّ عقدها ولا يبرم أمراً إلاَّ نقضه ولا ينقض أمراً إلاَّ أبرمه ، فقال الأشعث : لا والله لا يحكم فينا مضريان حتى تقوم الساعة ولكن إجعل رجلاً من أهل اليمن إذا جعلوا من مضر والله لأن يحكما ببعض ما تكره وأحدهما من أهل اليمن أحب إلينا أن يكونا مضريين ولا يكن ذلك الرجل غير أبي موسىٰ الأشعري .

أقول : ومن هنا نقتصر على حديث نصر بن مزاحم لكونه أجمع من غيره .

قال نصر : بعد أن ذكر عدم قبول أمير المؤمنين لأبي موسىٰ وإصرارهم فقال علي : قد أبيتم إلاَّ أبا موسىٰ ؟ قالوا : نعم ! قال : فاصنعوا ما شئتم فبعثوا إلى أبي موسىٰ وهو بأرض من أراضي الشام قد أعتزل القتال فجاء حتى دخل عسكر علي عليه السلام فأتى الأشتر وقال لأمير المؤمنين عليه السلام : الزني عمرو بن العاص فوالذي لا إله غيره لئن ملئت عيني منه لأقتلنه وجاء الأحنف بن قيس إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أني قد رميت بحجر الأرض ومن حارب الله ورسوله أنف الإسلام وإني قد عجنت هذا الرجل يعني أبا موسىٰ وحلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلاَّ رجل يدنو منهم حتى يكون في أكفهم ويتباعد منهم من يكون بمنزلة الفحم منهم ، فإن شئت أن تجعلني حكماً فاجعلني وإن شئت أن تجعلني ثانياً وثالثاً فإن عمروا لا يعقد عقدة إلاَّ حللتها ولا يحل عقدة إلاَّ عقدت لك عقدة أشد منها ، فعرض أمير المؤمنين ذلك على الناس فقالوا : لا يكون إلاَّ أبا موسىٰ .

قال نصر : فلما رضي أهل الشام بعمرو وأهل العراق بأبي موسىٰ أخذوا في سطر كتاب المواد به وكانت صورته : بسم الله الرّحمٰن الرّحيم هذا ما تقاضىٰ أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان ، فقال معاوية : بئس الرجل أنا أن أقررت أنه أمير المؤمنين ، ثم قاتلته وقال عمرو : بل يكتب إسمه وإسم أبيه إنما هو أميركم وإما أمير نافلاً ، فلما أُعيد الكتاب أمر بمحوه فقال الأحنف : لا تمح إسم أمير المؤمنين فإني أتخوف إن محوتها لا ترجع إليك أبداً فلا تمحها فقال علي عليه السلام : إن هذا اليوم كيوم الحديبية حين كتب الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا ما يصالح به محمد رسول الله وسهيل بن عمرو فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتلك، ولم أخالفك إني إذا لظالم لك إن منعتك أن تطوف ببيت الله الحرام وأنت رسوله ولكن أكتب محمد بن عبد الله ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي إني لرسول الله وأنا محمد بن عبد الله ولن يمحو عني الرسالة كتابي لهم فامحها واكتب ما أراد محوه ، أما أن لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد .

قال نصر بن مزاحم : وقد روى أن عمرو بن العاص عاد بالكتاب إلى علي عليه السلام فطلب منه أن يمحو إسمه من امرة المؤمنين فقص عليه وعلى من خصه قصة الحديبية ، قال إن ذلك الكتاب أنا كتبته بيننا وبين المشركين واليوم أكتبه إلى أبنائهم ما كان رسول الله كتبه إلى آبائهم شبهاً ومثلاً ، فقال عمرو : سبحان الله أتشبهنا بالكفار ونحن مسلمون ! فقال عليه السلام : يابن النابغة ومتى لم تكن من المشركين ومتى للكافرين ولياً وللمسلمين عدواً ؟ فقام عمرو وقال : والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم ، فقال عليه السلام : أما والله إني لأرجو أن يظهر الله عليك وعلى أصحابك وجاءت عصابة وضعت سيوفها على عواتقها فقالوا : يا أمير المؤمنين مرنا بم شئت ، فقال لهم سهل بن حنيف : أيها الناس اتهموا رأيكم فلقد شهدنا صلح رسول الله يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا .

قال نصر بن مزاحم : وقد روى أبو إسحاق الشيباني قال : قرأت كتاب الصلح عند سعيد بن أبي بردة في صحيفة صفراء عليها خاتمان خاتم من أسفلها وخاتم من أعلاها على خاتم علي محمد رسول الله ، وعلى خاتم معاوية : محمد رسول الله .

وقيل لأمير المؤمنين حين أراد أن يكتب الكتاب بينه وبين معاوية وأهل الشام أتقرّ بأنهم مؤمنون مسلمون ؟ فقال : ما أقر لمعاوية ولا لأصحابه أنهم مؤمنون مسلمون ولكن يكتب معاوية لنفسه ما شاء ويقرّ ما شاء لنفسه ولأصحابه ويسمي نفسه بما شاء وأصحابه ، فكتبوا هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضي علي بن أبي طالب على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين وقاضي معاوية بن أبي سفيان على أهل الشام ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين إننا ننزل عند حكم الله وكتابه ولا يجمع بيننا إلاّ إياه ، وإن كتاب الله سبحانه بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيي ما أحيى القرآن ونميت ما أمات القرآن فإن وجد الحكمان ذلك في كتاب الله اتبعناه وإن لم يجداه أخذا بالسنة العادلة غير المفرقة والحكمان : عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص ، وقد أخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين أنهما أمينان على أنفسهما وأموالهما وأهلهما والأُمة لهما أنصار وعلى الذي يقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين أن يعملوا بما يقضيان عليه مما وافق الكتاب والسنة وأن الأمن والموادعة ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين ، إلى أن يقع الحكم وعلى كل واحد من الحكمين عهد الله ليحكمن بين الأُمة بالحق لا بالهوىٰ وأجل الموادعة سنة كاملة فإن أحب الحكمان أن يعجلا الحكم عجلاه وإن توفي أحدهما فلأمير شيعته أن يختار مكانه رجلاً لا يألوا الحق والعدل ، وإن توفي أحد الأميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممن يرضون أمره ويحمدون طريقته ، قال نصر هذه رواية محمد بن علي بن الحسين والشعبي .

وروى جابر عن زيد بن الحسن بن الحسن زيادات إلى أن قال : وشهد فيه من أصحاب علي عشرة ومن أصحاب معاوية عشرة ، وتاريخ كتابته لليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين .

قال نصر : وحدثنا عمرو بن سعيد قالا حدثني أبو حباب عن عمار بن ربيعة قال : لما كتبت الصحيفة دعا بها الأشتر ليشهد في الشهود عليه فقال : لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها الشمال إن كتب لي في هذه الصحيفة اسم على صلح أو موادعة أو لست على بينة من أمري ويقين من ضلالة عدوي أو لستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على الخور ، فقال له الأشعث بن قيس : هلم فاشهد على نفسك وأقرر بما كتب في هذه الصحيفة فإنه لا رغبة لك عن الناس ، فقال الأشتر : بلىٰ والله إن لي لرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة ، ولقد سفكت بسيفي هذا دماء رجال ما أنت عندي بخير منهم ولا احرم دماً ، قال : فكأنما قصع على أنفه ، ثم قال الأشتر : ولكني دخلت فيما دخل به أمير المؤمنين وخرجت مما خرج منه فإنه عليه السلام لا يدخل إلاَّ في الهدى والصواب .

قال : ولما تداعى الناس إلى المصاحف وكتبت صحيفة الصلح والتحكيم قال علي : إنما فعلت ما فعلت لما بدى فيكم من الخور والفشل عن الحرب فجاءت إليه همدان كأنها ركن حصين ، فيهم سعيد بن قيس وإبنه عبد الرحمان غلام له ذوابة ، فقال سعيد : أنا ذا وقومي لا نرد أمرك فقل ما شئت نعمله ، قال : نصر ثم ان الناس أقبلوا على قتلاهم فدفنوهم .

قال وروي أبو حباب الكلبي : أن عمروا وأبا موسىٰ لما التقيا بدومة الجندل أخذ عمرو ويقدم أبا موسىٰ في الكلام ويقول : إنك صحبت رسول الله قبلي وأنت أكبر مني سناً فتكلم أنت ثم أتكلم أنا فجعل ذلك سنة ومادة بينهما وإنما كان مكراً وخديعة واغتراراً له أن يقدمه فيبدأ بخلع علي عليه السلام ثم يرى رأيه .

قال : وأعطاه عمرو صدر المجلس وكان يتكلم قبله وأعطاه التقدم في الصلاة وفي الطعام لا يأكل حتى يأكل فإذا خاطبه فإنما يخاطبه بأجل الأسماء فيقول يا صاحب رسول الله حتى اطمأن إليه وظن أنه لا يغشه ، ولما اجتمعوا للحكومة ، قال عمرو: ما رأيك يا أبا موسىٰ ، قال : أرى أن نخلع هاذين الرجلين ونجعل الأمر سورىٰ بين المسلمين يختارون من شاءوا ، فقال عمرو : الرأي والله ما رأيت فأقبلا على الناس وهم مجتمعون فتكلم أبو موسىٰ فحمد الله واثنىٰ عليه ثم قال : أن رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجوا أن يصلح الله به شأن هذه الأمة ، فقال عمرو : صدق . ثم قال له : تقدم يا أبا موسىٰ وتكلم ، فقام ليتكلم فدعاه ابن عباس فقال : ويحك إني لأظنه خدعك إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه قبلك يتكلم به ، ثم تكلم أنت بعده فإنه رجل غدار ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه فإذا أقمت به في الناس خالفك ، قال وكان أبو موسىٰ رجلاً مغفلاً فقال : إنا قد اتفقنا فتقدم أبو موسىٰ فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : أيها الناس أنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر شيء هو أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أن لا تبين أمورها ، وقد أجتمع رأيي ورأي صاحبي على خلع علي ومعاوية وأن يكون الأمر شورىٰ بين المسلمين يولون أمورهم من أحبوا وإني قد خلعت علياً ومعاوية فاستقبلوا أموركم وولوا من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً ثم تنحىٰ .

فقام عمرو بن العاص في مقامه فحمد الله واثنىٰ عليه ثم قال : إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه وأنا اخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي في الخلافة فإنه ولي عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه ، فقال له أبو موسىٰ : ما بالك لاوفقك الله قد غدرت وفجرت إنما مثلك كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، فقال له عمرو : وإنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الظالمين ، قد قيل لأبي موسىٰ ما أضعفك عن عمرو ومكائده فقال :

مـا أصنع وافقني على أمـر ثم غدر ، فقـال ابن عباس : لا ذنب لـك يا أبا موسىٰ وإنما الذنب لمن قدمك وأقامك هذا المقام .

قال وحمل شريح بن هـانىء على عمرو فقنعـه بالسـوط وحمل ابن عمرو على شريح فقنعه بالسوط وقام الناس فحجزوا بينهما .

قال : وكان شـريح يقـول بعد ذلـك ما نـدمت على شيء ندامتي أن لا أكـون ضربت عمـرواً بـالسيف بـدل السـوط والتمسـوا أبـا مـوسىٰ فـركب ناقتـه ولحق بمكة هـارباً ، وكـان ابن عباس يقـول : قبح الله أبـا موسىٰ لقد حذرته وهديته فما عقل ، وكـان أبو مـوسىٰ يقول حـذرني ابن عبـاس غدرة الفـاسق عمرو ولكني أطمـأننت إليه وظننت أن هـذا الفاسق لا يؤثر شيئاً على نصيحة الأمة وكان أبو موسىٰ منحرفاً عن علي عليه السلام .

حـرب النهروان

لما عاد أميـر المؤمنين عليه السلام من صفين إلى الكوفـة بعد الـذي جرى من أمر الحكمين أقام ينتـظر إنقضاء المـدة التي كانت بينـه وبين معاويـة ليـرجع إلى المقـاتلة والمحاربـة إذا انعزل طـائفـة من أهـل العـراق وهم القـراء وأصحابهم وكـان عدتهم أربعـة آلاف نفـر وخـرجـوا من الكـوفـة وخالفوا أمير المؤمنين عليه السلام وقالـوا : لا حكم إلاَّ لله ولا طاعـة لمن عصىٰ الله وانحـاز إليهم مـا ينيف على ثمـانيـة آلاف رجـل ممن يـرىٰ رأيهم فساروا في اثني عشر ألفاً حتى نزلـوا بحر وراء وأمـروا عليهم عبد الله بن الكـوى وكتب إليهم أمير المؤمنين من عبـد الله أمير المؤمنين إلى زيـد بن حصين وعبـد الله بن وهب وعبـد الله بن الكـوى ومن معهم النـاس ، أمـا بعد فإن هذين الرجلين الذين ارتضيا حكمين قـد خالفـا كتاب الله واتبعـا أهوائهما بغير هدى من الله ولم يعمـلا بالسنـة ولم ينفذا للقـرآن حكماً ، فإذا وصلكم كتابي هذا فاقبلوا إلينا فإنا سائرون إلى قتال عـدونا وعـدوكم ونحن على الأمر الذي كنا عليه .

فكتبوا في الجواب أمـا بعد فـإنك لم تغضب لـربك وإنمـا غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التـوبة نـظرنا فيمـا بيننا وبينـك وإلاَّ فقدنـا بذلك على سـواء والله لا يحب الخـائنين ، فلمـا قـرأ

كتابهم ورأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى الشام إذ بلغه أن الخوارج خرجوا على الناس وأنهم قتلوا عبد الله بن خباب صاحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبقروا بطن إمرأته وهي حامل وقتلوا ثلاث نسوة من طي وقتلوا أم سنان الصيداوية ، فلما بلغه عليه السلام ذلك بعث إليهم الحرث بن مرة العبدي ليأتينهم وينظر صحة الخبر فيما بلغه عنهم ، فلما دنا منهم قتلوه ، وأتىٰ أمير المؤمنين عليه السلام الخبر وهو في معسكره فقام إليه الناس وقالوا : يا أمير المؤمنين على من ندع هؤلاء القوم ورائنا يخلفونا في أموالنا وعيالنا سر بنا إليهم فإذا فرغنا منهم سرنا إلى معاوية واتباعه وقام الأشعث بن قيس وتكلم مثل كلامهم فاجمع عليه السلام على المسير إليهم ، فجاءه منجم يُقال له مسافر بن عدي فقال : يا أمير المؤمنين إذا أردت المسير إلى هؤلاء القوم فسر إليهم في الساعة الفلانية فإنك إن سرت في غيرها لقيت أنت وأصحابك ضرراً شديداً وذلك لانتحاس طوالع النجوم ، فلم يلتفت إليه أمير المؤمنين وسار عليه السلام ، فلما قرب منهم دنىٰ بحيث أنه يراهم ويرونه فنزل وأرسل إليهم أن إدفعوا إلينا قتلة إخواننا نقتلهم بهم ، وأترككم وأكف عنكم حتى ألقي أهل الشام فلعل الله أن يقبل بقلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أموركم ، فقالوا : كلنا قتلناهم وكلنا مستحلون لدمائكم ودمائهم ، فخرج قيس بن سعد بن عبادة فقال لهم : عباد الله أخرجوا لنا قتلة إخواننا منكم وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم عنه وعودوا إلى قتال عدونا وعدوكم فإنكم قد ركبتم عظيماً من الأمر تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين ؟ فقال عبد الله بن بحرة السلمين : إن الحق قد أضاء لنا فلسنا نبايعكم .

ثم أن أمير المؤمنين عليه السلام خرج إليهم بنفسه وقال لهم : أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء وللجاج أن أنفسكم الأمارة سولت لكم فراقي لهذه الحكومة التي أنتم أبدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره وانبأتكم أن القوم إنما فعلوه مكيدة فأبيتم إلى آباء المخالفين ، عاندتم

على عناد العاصين حتى صرفت رأيي إلى رأيكم وإني معاشرهم والله صغار الهام سفهاء الأحلام ، فاجمع رأي رؤسائكم أن اختاروا رجلين فأخذنا عليهما أن يحكما بالقرآن ولا يتعديانه فتاها وتركا الحق وهما يبصرانه فبينوا لنا بما تستحلون قتالنا والخروج عن جماعتنا ثم تتعرضون الناس تضربون أعناقهم إن هذا لهو الخسران المبين ، فنادوا أن لا تخلطوهم ولا تكلموهم وتهيئوا للقتال الرواح الرواح إلى الجنة فرجع عليه السلام عنهم إلى أصحابه ثم عبأ لهم للقتال فجعل على ميمنته حجر بن عبدي وعلى ميسرته معقل بن قيس وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري وفي مقدمتهم قيس بن سعد بن عبادة ، وعبأت الخوارج لعنهم الله أصحابهم فجعلوا على ميمنتهم زيد بن قيس الطائي وعلى ميسرتهم شريح بن أوفىٰ العبسي وعلى خيلهم حمزة بن سنان الأسدي وعلى رجالتهم حرقوص بن زهير السعدي .

وأعطىٰ أمير المؤمنين لأبي أيوب الأنصاري راية أمان فناداهم أبو أيوب من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ممن لم يكن قتل ولا تعرض لأحد من المسلمين بسوء ومن انصرف منكم إلى الكوفة فهو آمن ومن انصرف إلى المدائن فهو آمن لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا في سفك دمائكم ، فانصرف عروة بن نوفل الأشجعي في خمسمائة فارس وخرج طائفة أُخرىٰ منصرفين إلى الكوفة وطائفة أُخرىٰ إلى المدائن وتفرق أكثرهم بعد أن كانوا اثني عشر ألفاً فلم يبق منهم غير أربعة آلاف فزحفوا إلى أمير المؤمنين وأصحابه فقال لأصحابه : كفوا عنهم حتى يبدؤكم فنادوا الرواح إلى الجنة فحملوا على الناس فتفرق خيل أمير المؤمنين عليه السلام فرقتين حتى ساورا بينهم عطفوا عليهم من الميمنة والميسرة واستقبلت الرماة وجوههم بالنبل وعطفت عليهم الرجال بالسيوف والرماح ، فما كان بأسرع من أن قتلوهم عن آخرهم وكانوا أربعة آلاف فلم يفلت منهم إلاَّ تسعة أنفس لا غير ، وغنم أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام غنائم كثيرة وقتل من شيعة علي رجلان ولم

يسلم من الخوارج المقتولين غير التسعة وهذه كرامة عظيمة من أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال قبل ذلك نقتلهم ولا يقتل منا عشرة ولا يسلم منهم عشرة فكان كما قاله عليه السلام .

وقد روى جماعة أن علياً كان يحدث أصحابه قبل ظهور الخوارج لعنهم الله أن قوماً يخرجون يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية علامتهم رجل مخدع اليد سمعوا ذلك منه مراراً ، فلما خرج أهل النهروان وكان منه معهم ما كان ، فلما فرغ أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدع فالتمسوه فقال بعضهم : ما نجده حتى قال بعضهم : ما هو فيهم ؟ وهو يقول : والله إنه لفيهم والله ما كذبت ولا كذبت ، ثم إنه جاءه رجل فبشره فقال : يا أمير المؤمنين قد وجدناه وقيل بل خرج علي بنفسه في طلبه قبل أن يبشره الرجل ومعه سليم بن ثمامة الحنفي والريان بن صبرة فوجدوه في خمرة على الشاطىء النهر في خمسين قتيلاً ، فلما استخرجه نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع كثدي المرأة وحلمة عليها شعرات سود ، فإذا مدت امتدت حتى تحاذي يده الطولى ، ثم تترك فتعود إلى منكبيه ، فلما رآه قال : الله أكبر ما كذبت ولا كذّبت لولا أن تتكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قضىٰ الله على لسان نبيه لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم عارفاً للحق الذي نحن عليه ، وقال عليه السلام : حين مر بهم وهم صرعىٰ بؤساً لكم لقد ضركم من غركم ، قالوا يا أمير المؤمنين : من غرهم ؟ قال : الشيطان وأنفس أمارة بالسوء غرتهم بالأماني وزينت لهم المعاصي ونبأتهم أنهم ظاهرون قيل وأخذ ما في عسكرهم من شيء فأما السلاح والدواب وما شهر عليه فقسمه بين المسلمين ، وأما المتاع والإماء والعبيد فإنه رده على أهله حين قدم الكوفة ، ويعجبني أن أختم هذا الفصل بهذه القصيدة الغراء للعلامة السيد حسين آل بحر العلوم قدس سره :

سل بالغوير فالغميم فالغضا ... من غادر الصب المعنى غرضا
لم انقض العهد ولم اسل وإن ... نسي العهود ساليا أو نقضا

كم من عـذول لا مني فيـه ولا ... أراه إلَّا حـاسـداً أو مبغـضـا
هيهـات لا اضـغىٰ لـلوم لائم ... أن صـرح اللائم بي أو غـرضا
وليس لي عمر الزمان في الورىٰ ... من غرض حسبي رضاه عـرضا
فاحكم بما شئت علي لست في ... حكمك يا خير الورى معتـرضا
غدوت من فرط الصدود والجفا ... أكـابد الـوجد واشكـو المرضـا
ولم يـزل بعدك طـرفي ساهـراً ... فمـا وعينيـك غفـا أو غمـضـا
وطال ما اقترضت دمعي مغرمـاً ... فهل ترى اليوم فتىٰ لي مقرضـا
لـلّه أيـام مضـت بـقـربـكـم ... وصفو عيش بالغضـا قد انقضـا
فلست أرضىٰ أحـداً من الورى ... عنكم ورب المـأزمين عـوضـا
أهل قضىٰ الدهـر علي بالنـوىٰ ... والـدهر لا يعـدل كيفمـا قضى
أصبحت والمشيب يعلو لمـتي ... شبه شهاب في دجىٰ الليل أضا
فـراع قلبي المعنى وخـطهـا ... بالبيض يحكي الحسام المنتضي
مـتيـم انـحـله فـرط الـهـوى ... فكـاد لا يقوى على أن ينهضـا
بالرغم قد صوح روض حسنـه ... والروض يذوي بعدما أن روضا
شـاب ولـكن لـم تشـب آماله ... أبعد شيب المرء عيش يرتضي
يـأمـل بعـد أربعين حـجـة ... هل يرجع العمر إذا العمر مضى
أمـا يـرى بـه الهمـوم طنبت ... والشيب حـل والشباب قـوضـا
أحـسـب فـرط حـبـه خـبـله ... والحب إن صح لعمري أمرضا
عـالـج وداواي داء مـزمـن ... أعياك يا صاح بمدح المرتضىٰ
من كـون الكـون لـه ومن لـه ... فصل القضا حقاً بيوم الأنقضـا
من فـاق آفـاق السمـا بـرفعـه ... لها سوى الباري تعالىٰ خفضـا
من كان نفس المصطفىٰ فهل ترىٰ ... يحكي عـلاه جوهـراً أو عرضـا
من بـات في مضجعـه وقـاً لـه ... فقـام في عبء العلىٰ منتهضـا
من مـرد الصم العتـاة سيفـه ... سيف يبـاريه القضـا إن ومضـا
من بـاريء الخلق لفـرض وده ... في محكم الـذكر عيـاناً فـرضا
من بغـديـر الخم في امـرتـه ... هـادى البرايـا للبـرايـا حـرضـا

بـلغ فيــه أن خــلاق الــورى نصب أخيه المرتضىٰ قد ارتضى
فعنـدهـا قـام على الخلف لـه رجس لكي يحظى بها محضضا
يــا أبعـد اللّه طغــامـاً تبعــوا من لأبي السبـطين بغيـا بغضـا
من أسس الشر وبالشـورىٰ لهم حكم إلٰـه العرش عمـداً انقضا
تـاللّه ما راقب سـاقي حـوضـه لولا الوصا تلك النساء الحيضا
أما ترى لما انقضي العهد نضا العضب الشبامن غمده واستنهضا
إن رفضـوا نهج الهـدى فقبلهم من عبـد العجل جهـاراً رفضـا
مـا شأن قـوم خذلـوا الحق أما لعنصــر البغي شــأن واقتضــا
كم زوروا الـزخرف في خـلافة تـاللّه مـا أمـر هنـالـك اقتضى
ولم يكن كسـلان عنهـا ليثهــا فـالليث مهمـا رام وثبــاً ربضـا
من كـان ماشيـاً على صـراطـه أضحىٰ غداً له الصراط مركضا
مـعــدن أســرار الإلٰــه كلهــا مهما قضىٰ يقتف حكمه القضا
سـر الوجـود حجة المعبـود من إليــه أمـر النشــأتين فــوضــا
كم كشف الكـرب بيـوم خيبـر مذ ضاق من مرحبها رحب الفضا
ويـوم أحزاب بـه خاض الـوغا وجسم عمـرو بـدمـاه خـوضــا
وسـاق نحو سـاق عمرو ضـربة لم يـر عمرو بعـد تلك منهضـا
فمنتضى عمـر الـزمـان سيفـه والسيف لا يرهب حتى ينتضى
جــدل كــل ضيغـم إذا ســطا بصـارم يجلوا لـدياجي أبيضـا
مـا مسكت كف القضا مقبضـه إلاَّ ولــلأرواح طــرا قــبـضــا
يمحي سطور الجيش في سطوته إن جـال في معتـرك معتـرضـا
أعمـل في صفوف صفين قمـاً عـامله المردي لهـا وخضخضا
ينقض كـالصقر عليهـا غيـرهـا يصيـد صيـدهــا متى تقضضـا
فهل ترى ينبض من عـرق بهم ان فيـه عـرق الهـاشمي نبضـا
فليشكروا سؤاتهم كم عنهم بكشفها ذاك الهزبر أعرضا
مهــذب عنصــره الــزكي مـن عنصـر خير الخلق قـد تبعضـا
غضنفر إن صال في يوم الوغـا نكس أبـطال الـوغــا ورضضـا

يا محرزاً أسرار أعلام الورى بأسرها وللضلال مدحضا
وماضي العزم فما ماثله قط نبي من أُولي العزم مضى
نور سامي ذكرك الأكوان ما أنارو بدر في الدياجي أو أضا

وهذه التخميس النفيس للفاضل الأديب السيد جعفر الحلي (ره) على أبيات العلامة السيّد حسين القزويني في مدحه عليه السلام:

براك المهيمن إذ لا سواه وبين باسمك معنى علاه
فكنت ترى الغيب لا باشتباه أبا حسن أنت عين الإلٰه
على الخلق والأذن الواعية
ترى الناس طراً وترعاهم واقصى الورى منك أدناهم
ومهما أسروا خفاياهم تراهم وتسمع نجواهم
فهل عنك تغرب من خافية
أقل معاجزك الخارقات حضورك للشخص حين الممات
فأنت المحيط بست الجهات وأنت مدير رحى الكائنات
وقطب لافلاكها الجارية
لك الناس تحشر يوم المآب مطأطأة الرؤوس خوف العذاب
فمنك الثواب ومنك العقاب فإن شئت تشفع يوم الحساب
وإن شئت تشفع بالناصية
بك العرش مهد للأستواء وباسمك قامت طباق السماء
فأنت المحكم يوم الجزاء وأنت الذي أمم الأنبياء
تؤمك في الأعصر الخالية
إذا بعث الله من في القبور ومن سفر الموت أضحىٰ حضور
فأنت الأمير بكل الأمور وكل الخلائق يوم النشور
لديك إذا حشرت جاثية
محبك يثقل ميزانه ويعلو بيوم الجزا شأنه
فهب فرضه بأن نقصانه فمن يك قد تم إيمانه
فبشراه في عيشة راضية

ينـــال الكـــرامـــة غـب الأذى وعن نـاضـريـه يمـاط القـــذى
فمـا بعـد يشكـــو ظمـاً أو أذى بحـوضـك يسقى ومن بعـد ذا
يـســاق إلـــى جـنـــة عـــالـيـــة
أبـــا حسن بـك أنجـــو هنـــاك وأرجـو رضا خـالقي في رضاك
فلم يبق في الـحشـــر إلاَّ ولاك وأمـــا الـــذين تـــولـــوا ســـواك
فـمـــا هـم مـن الـفـرقـة الـنـــاجـيـــة
سيـــأتي يـزيـــد ومن تـــابعـــوه بجمـع عن الحـوض قـد حلؤه
جفـــاء لحقـــك قـــد ضيـعـــوه يجيئـون للحشر سـود الـوجـوه
يـســاقـــون دعـــا إلـــى الـــهـــاويـــة

فـصــل

في ذكر شهادة أمير المؤمنين عليه السلام

نذكر خلاصة الروايات المختلفة المتفرقة .

لمـا انتهىٰ أمير المؤمنين من حـرب الخوارج ودخـل الكـوفـة كـان بقيـة السيف من الخـوارج يـذكـرون أخـــوانهم في النهـروان ويتلهفـــون عليهم ، فروي أنه اجتمـع بمكة نفـر منهم فقالـوا : إنا شـرينا أنفسنـا لله فلو أتينا أئمة الجور والضلال وطلبنا غرتهم فـارحنا منهم البـلاد والعباد ، فقـــال عبـد الـــرّحمٰن بن ملجم المـرادي : أنـــا أكفيكم عليـــاً ، وقـــال الحجاج بن عبد الله السعدي الملقب بالبرك : أنا أكفيكم معاوية ، وقـال عمرو بن بكير التميمي : أنا أكفيكم عمرو بن العـاص ، وتعـدوا التـاسع عشـر من شهر رمضـان ، ثم تفرقـوا . أما صـاحب معاويـة فـإنـه قصـد الشـام ، فلما وقعت عينـه عليه ضـربه ووقعت الضـربة على إليتـه وجاءه الـطبيب فبشره بـالشفاء وخيـره بين أن يجعل حـديـدة محمـاة بـالنـار في الضربة أو يسقيه دواء وينقطع نسله فـاختار الـدواء وقال يكفيني يـزيد من النسل فسقاه الدواء فبرأ وقال :

نجـوت وقـد بـل المـرادي سيفـه من ابن أبي شيـخ الأباطـح طالب

ولم يولد له بعد ذلـك ، وكان قـد حبس البرك فلمـا أتاه الخبـر أن

أميـر المؤمنين عليه السلام قد قتـل أطلقه ، وأمـا صاحب ابن العـاص فإنـه قتـل خـارجة بن أبي حنيفـة العامـري وهـو يـظن أنـه عمـرو وكـان عمـرو قـد استخلفـه لعلة كانت فيـه ، فلمـا أتى عمـرو بن العـاص قتله ، وأمـا ابن ملجم المرادي فإنـه دخل الكـوفة فـرأى رجلاً من تيم الـرباب عنـد قطام التميميـة وكان أميـر المؤمنين عليه السلام قتل أبـاهـا الأخضـر وأخـاهـا الأصبـغ بـالنهـروان وكـانت قـطام من جميـلات النسـاء ، فلمـا رآهـا شغف بهـا فخطبها فلمـا رأته شغفت بـه وطلبت منه أن يكـون صداقهـا ثلاثـة آلاف درهم وعبـد ووصيفة وقتـل علي بن أبي طالب ، فـأجـابهـا إلى ذلـك ، فقالت له : ويحك من يقدر على قتل علي وهو فـارس الفرسـان ومغالب الأقـران والسباق إلى الـطعـان ، فقـال لهـا : مـا جئت لهـذا المضـر إلاّ لقتله ، فبعثت إلى وردان بن مجالد التميمي وسألته معونتـه واستعان ابن ملجم بشبيب بن بجـرة وقـامت قـطام وقبـلت ابن مـلجم فـي وجهـه وقـالت : ان هذا شـرف الدنيـا والآخرة وستعيش معي عيشـة هنيئة واتفق ابن ملجم مـع صـاحبيـه على أن يكمنـوا لعلي في المسجـد الأعـظم ويفتكـوا بـه في صـلاة الفجـر ، واعتكف قـطام في المسجـد وضـربت عليـه قبة وفي الليلة التـاسعة عشـرة من شهر رمضـان أتياهـا فـدعت لهم بحـريـرة عصبـوا بـه صـدورهم وتقلّدوا سيـوفهم وكمنـوا في المسجـد الأعظم .

أمـا كيفية شهـادته عليه السلام فعن أُم كلثـوم قـالت : كـان أميـر المؤمنين عليه السلام يفـطر في شهـر رمضـان ، يفـطر فيـه ليلة عنـد الحسن وليلة عن الحسين وليلة عنـدي ، ولمـا كـانت ليلة تسـع عشـرة من شهـر رمضـان قدّمت إليه عنـد إفطاره طبقـاً فيه قرصان من خبـز الشعير وقصعـة فيها لبن وملح جريش ، فلما فـرغ من صلاتـه أقبل على فـطوره ، فلما نـظر إليه وتأمله حرك رأسه وبكا بكاءاً شديداً عالياً وقال : يـا بنية مـا ظننت أن بنتاً تسـوء أباهـا كما أسـأت أنت إليّ ، قلت ومـاذا يـا أبة ؟ قـال : يـا بنيـة أتقـدمين إلى أبيك إدامين في طبق واحـد أتريـدين أن يطول وقـوفي غداً

بين يـدي ربي عزّ وجـل يوم القيـامـة أنـا أُريـد أن أتبـع أخي وابن عمي رسـول الله ﷺ ، ما قـدم إليه إدامـان في طبق واحـد إلى أن قبضـه الله تعـالىٰ إليه ، يـا بنية مـا من رجل طـاب مطعمـه ومشربـه ملبسه إلاَّ طـال وقوفه بين يدي الله عزّ وجـلّ يوم القيـامة ، يـا بنية إن الـدنيا في حـلالها حساب ، وفي حرامهـا عقاب وفي الشبهـات عتاب ، يـا بنية قـد أخبرني حبيبي رسول الله أن جبرائيل نزل إليه ومعه مفـاتيح كنـوز الأرض وقال يـا محمد ربك يقرأك السلام ويقول إن شئت سيرت معك جبال تهـامة ذهبـاً وفضة ، وهذه مفـاتيح كنـوز الأرض ولا ينقص من حظك يـوم القيامـة ، قال : يا جبـرائيل ومـا يكون بعـد ذلك ؟ قـال : الموت ، قـال : إذن لا حاجة لي في الدنيا دعني أجوع يوماً وأشبع يوماً فـاليوم الـذي أجوع فيـه أتضـرع إلى ربي وأسألـه واليوم الـذي أشبـع فيـه أشكـر ربي وأحمـده ، فقال له جبرائيل عليه السلام : وفقت لكل خيـر ، ثم قال عليه السلام : يـا بنية الـدنيا دار غـرور ودار هوان فمن قـدم شيئاً وجـده ، يا بنيـة والله لا آكل شيئـاً حتى ترفعي أحد الإدامين ، فلمـا رفعته تقـدم إلى الطعـام فأكـل قرصـاً واحداً بالملح الجريش ثم حمـد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قـام إلى مصلاه فلم يـزل راكعـاً وسـاجـداً ومبتهـلاً ومتضـرعـاً إلى الله سبحـانـه ، وكـان يكثـر من الـدخول والخـروج وهو ينـظر إلى السمـاء فيقـول : هي هي والله هي ، ثم يـرجـع إلى مصـلاه وهـو قلق يتململ ، ثم يقـرأ سـورة يس حتى ختمها ، فرقد هنيئة وانتبه مرعوباً وجعل يمسح وجهه بثوبـه ونهض قائمـاً على قـدميه وهـو يقـول : لا حـول ولا قـوة إلاّ بـالله العلي العـظيم ، ثم صلى حتى مضىٰ بعض الليـل ، ثم جلس للتعقيب ثم نـامت عينـاه وهـو جالس ثم انتبه من نومته مرعوباً .

قـالت أُم كلثوم : كـأني به قـد جمع أولاده وأهله وقـال لهم : في هـذا الشهـر تفقـدوني إني رأيت في هـذه الليلة رؤيـاً أهـالتني وأُريـد أن أقصهـا عليكم ، قال : إني رأيت في هـذه السـاعـة رسـول الله ﷺ في منامي وهو يقول : يا أبـا الحسن إنك قـادم إلينا عن قـريب يجيء إليك

أشقاها فيخضب شيبتك من دم رأسك وأنا والله مشتاق إليك ، فهلم إلينا فما عندنا خير وأبقىٰ ، فلما سمعوا كلامه ضجوا بالبكاء والنحيب وأبدوا العويل فأقسم عليهم بالسكوت فسكتوا ثم أقبل عليهم يوصيهم ويأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر ، قالت أُم كلثوم ولم يزل تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ، ثم يخرج ساعة بعد ساعة يقلب طرفه في السماء وينظر في الكواكب وهو يقول : والله ما كذبت ولا كذبت إنها الليلة التي وعدت بها ، ثم يعود إلى مصلاه ويقول : اللّهمَّ بارك لي في الموت ويكثر من قول إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلاَّ بالله العلي العظيم ويصلّي على النبي وآله واستغفر الله كثيراً .

قالت أُم كلثوم : فلما رأيته في تلك الليلة قلقاً متململاً كثير الذكر والاستغفار أرقت معه ليلتي وقلت : يا أبتاه ما لي أراك هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد ؟ قال : بنية إن أباك قتل الأبطال وخاض الأهوال وما دخل الخوف له جوف وما دخل في قلبي رعب أكثر مما دخل في هذه الليلة ، ثم قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقلت : يا أبتاه ما لك تنعي نفسك منذ الليلة ؟ قال : يا بنية قد قرب الأجل وانقطع الأمل ، قالت أُم كلثوم فبكيت ، فقال : يا بنيه لا تبكي فإني لم أقل ذلك إلاَّ بما عهد إلي النبي .

ثم إنه نعس وطوى ساعة ، ثم إستيقظ من نومه وقال : يا بنية إذا قرب وقت الآذان فاعلميني ، ثم رجع عليه السلام إلى ما كان عليه أول الليل من الصّلاة والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه ، قالت أُم كلثوم : فجعلت أرقب وقت الآذان فلما لاح الوقت أتيته ومعي إناء فيه ماء ثم أيقظته فأسبغ الوضوء وقام ولبس ثيابه وفتح بابه ثم نزل إلى الدار وكان في الدار أوز قد أهدي إلى أخي الحسين ، فلما نزل خرجن وراءه وصحن في وجهه وكن قبل تلك الليلة لم يصحن فقال عليه السلام : لا إله إلاَّ الله صوائح تتبعها نوائح ، وفي غداة غد يظهر القضاء ، فقلت له : يا أبة هكذا تتطير ؟ قال : يا بنية ما منا أهل البيت من يطير ولا يتطير به

ولكن قـول جرى على لسـاني ، ثم قـال : يـا بنيـة بحقي عليـك إلا مـا أطلقتيـه فقد حبست مـا ليس له لسـان ولا يقدر على الكـلام إذا جـاع أو عـطش فاطعميـه وأسقيـه وإلاَّ خلي سبيله يـأكـل من حشـائش الأرض ، فلمـا وصل إلى البـاب عالجـه ليفتحه تعلق البـاب بميزره فـانحل ميـزره حتى سقط فأخذه وشده وهو يقول :

أشـدد حيـازيمـك للمـوت فـإن المـوت لاقيـكـا
ولا تـجـزع مـن المـوت إذا حـل بـنـاديـكـا
ولا تـغـتـر بـالـدهـر وإن كـان يـواتـيـكـا
كمـا أضحكـك الـدهـر كـذاك الـدهـر يبكـيكـا

ثم قـال عليه السلام : اللَّهم بـارك لي في المـوت ، قـالت أُم كلثـوم ؛ وكنت أمشي خلفه فلما سمعته يقول ذلك ؟ قلت : واغوثـاه يا أبتـاه أراك تنعي نفسـك منـذ الليلة ؟ قـال : يـا بنيـة مـا هـو بنعـاء ولكن دلالات وعـلامات للمـوت يتبع بعضهـا بعضاً فـأمسكت عن الجـواب ، ثم فتـح الباب وخرج .

قـالت أُم كلثـوم : فجئت إلى أخي الحسن فقلت : يـا أخي قـد كـان من أمر أبيـك الليلة كذا وكـذا وهو قـد خرج في هـذه الليل الغلس فقام الحسن وتبعه فلحق بـه قبل أن يـدخل الجـامع ، فقـال : يا أبـاه ما أخرجك في هذه السـاعـة وقد بقي من الليـل ثلثه فقـال : يا حبيبي وقـرة عيني خـرجت لرؤيـاً رأيتها في هـذه الليلة أهـالتني وأزعجتني وأقلقتني ، فقـال له : خيـراً رأيت وخيراً يكـون فقصها علي ، فقـال : يـا بني رأيت كـأن جبرائيـل عليه السلام قد نـزل من السماء على جبـل أبي قبيس فتنـاول منـه حجرين ومضىٰ بهما إلى الكعبـة وتركهمـا على ظهرهـا وضرب أحـدهما على الآخرٰ فصارت كـالرميم ، ثم ذراهمـا في الريـح فما بقي بمكـة ولا بـالمدينـة بيت إلاَّ ودخله من ذلك الـرماد فقـال له : يـا أبة مـا تأويلهـا ؟ فقـال : يا بني إن صـدقت رؤيـاي فـإن أبـاك مقتـول ولا يبقىٰ بمكـة ولا

بـالمـدينـة بيت إلاَّ ويـدخله من ذلـك غم ومصيبـة من أجلي ، فقـال الحسن : وهل تدري متى يكـون ذلك يـا أبة ؟ قـال عليه السلام : يا بني أن الله يقـول : ﴿**وما تـدري نفس ماذا تكسب غـداً وما تـدري نفس بـأي أرض تمـوت**﴾ ولكن عهـد إلي حبيبي رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنـه يكـون في العشـر الأواخـر من شهـر رمضـان ويقتلني ابن ملجم المـرادي ، فقـال الحسن عليه السلام : يـا أبتـاه إذا علمت ذلـك منـه فـاقتله ، قـال : يـا بني لا يجـوز القصاص إلاَّ بعد الجنـاية والجنـاية لم تحصـل منه ، يـا بني لو اجتمـع الانس والجن على أن يـدفعـوا ذلـك لمـا قـدروا ، يـا بني إرجـع إلى فـراشك ، فقـال الحسن عليه السلام : يا أبتاه أُريد أن أمضي معـك إلى مـوضـع صـلاتك ، فقـال له : إذهب بحقي عليـك ونم في فراشـك لئلا ينتغص عليـك نومـك ، فرجـع الحسن فوجـد أخته أُم كلثـوم قائمـة خلف الباب تنتظره فدخل فأخبرها بالخبر وجلسا يتحادثـان وهما محـزونان حتى غلب عليهما النعاس فقام كل منهما ودخل في فراشه ونام .

قـال أبـو مخنف وغيـره : وسـار أميـر المؤمنين عليه السلام حتى دخـل المسجـد والقناديـل قـد خمـد ضـوئهـا فصلّىٰ في المسجـد ورده وعقب سـاعة ، ثم أنـه قام وصلّىٰ ركعتين ، ثم عـلا المأذنـة ووضع سبـابته في أُذنيه وتنحنح ، ثم أذن وكـان عليه السلام إذا تنحنح تضـطرب الحيطان وإذا أذن لم يبق في بلدة الكوفة بيت إلاَّ اخترقه صوته عليه السلام .

قـال رواي الحديث وأمـا ابن ملجم لعنـه الله فبـات في تلك الليلة يفكـر في نفسه ولا يـدري ما يصنـع فتارة يعـاتب نفسـه ويـوبخهـا وتـارة يخـاف عقبىٰ فعله ويهم أن يرجـع عن ذلك ، وتـارة يذكـر قـطام لعنهـا الله وحسنها وجمالها وكثرة مالها فتميل نفسه إليهـا فبقي عامـة ليله يتقلب في فراشه فـأتته الملعـونة قـطام ونامت معـه في فراشـه ، وقالت لـه : يا هــذا من يكـون على هــذا العـزم لا يــرقــد ، فقــال : والله إني أقتله الساعة ، فقالت : اقتله وارجع إليّ قـرير العين مسـروراً وافعل مـا تريـد فإني منتظرة لـك ، قال : فـوثب لعنه الله كـأنه الفحـل من الإبل وقـال :

هلمي إلي بالسيف ، ثم أنه اتزر بمئزر واتشح بإزار وجعل السيف تحت الإزار مع بطنه وقال : افتحي لي الباب ففي هذه الساعة اقتله فقامت فرحة مسرورة وقبلت صدره وبقي يقبلها ويترشفها ، ثم راودها عن نفسها ، فقالت له : هذا علي أقبل إلى الجامع وأذّن فقم إليه فاقتله ، ثم عد إليّ فها أنا منتظرة رجوعك ، فخرج من الباب وهي خلفه تحرضه .

قال الراوي : فلما نزل الإمام عليه السلام من المأذنة جعل يسبح الله ويقدسه ويكثر من الصّلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان من كرم أخلاقه عليه السلام أنه يتفقد النائمين في المسجد ويقول للنائم : الصلاة يرحمك الله الصلاة قم إلى الصلاة المكتوبة عليك ، ثم يتلو إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ففعل ذلك كما كان يفعله على جاري عادته مع النائمين في المسجد حتى إذا بلغ إلى اللعين رآه نائماً على وجهه قال له : يا هذا قم من نومتك هذه فإنها نومة يمقتها الله وهي نومة الشياطين ونومة أهل النار بل نم على يمينك فإنها نومة العلماء أو على يسارك فإنها نومة الحكماء أو على ظهرك فإنها نومة الأنبياء قال فتحرك لعنه الله كأنه يريد أن يقوم وهو في مكانه لا يبرح فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : لقد هممت بشيء تكاد السمٰوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ولو شئت لأنبأتك بما تحت ثيابك ، ثم تركه وعدل عنه إلى محرابه وقام قائما يصلي وكان عليه السلام يطيل الركوع والسجود في الصّلاة كعادته في الفرائض والنوافل حاضراً قلبه ، فلما أحس اللعين به نهض مسرعاً وأقبل يمشي حتى وقف بإزاء الاسطوانة التي كان الإمام عليه السلام يصلّي عليها فامهله حتى صلّىٰ الركعة الأُولىٰ وركع للثانية وسجد السجدة الأولىٰ منها ورفع رأسه وسجد السجدة الثانية فعند ذلك أخذ وهزه ثم ضربه على رأسه الشريف فوقعت الضربة على الضربة التي ضربه عمرو بن عبد ود العامري ، ثم أخذت الضربة من مفرق رأسه إلى موضع السجود ، فلما أحس عليه السلام لم يتأوه وصبر فوقع على وجهه

قـائلاً : بسم الله وبـالله وعلى ملّة رسول الله هـذا ما وعـدنا الله ورسـولـه وصـــدق الله ورسـولـــه ، ثم صـــاح وقـــال : قتلني ابن ملجم قتلني ابن اليهودية فـزت ورب الكعبة أيهـا الناس لا يفـوتنكم إبن ملجم وسار السم في رأسـه وبدنـه وثـار جميـع من في المسجـد في طلب اللعين ومـاجـوا بالسلاح فمـا كنت أرىٰ إلاّ صفق الأيدي على الهـامات وعلوا الصـرخات وكان ابن ملجم ضربه ضربـة خائفـاً مرعـوباً ، ثم ولى هـارباً وخـرج من المسجـد وأحاط النـاس بأميـر المؤمنين وهو في محـرابـه يشـد الضـربـة ويـأخذ التـراب ويضعه عليهـا ثم تلا قـوله تعـالىٰ ﴿**منها خلقنـاكم وفيهـا نعيـدكم ومنها نخـرجكم تارة أُخـرىٰ**﴾ ، ثم قال : جـاء أمر الله وصـدق رسول الله ولما ضـربه اللعين ارتجت الأرض ومـاجت البحار والسمٰـوات واصطفقت أبواب الجامع وهبت ريـح سوداء مـظلمة قـال وضربـه اللعين شبيب بن مرّة فأخطأه ووقعت الضربة في الطاق .

قال الراوي فلما سمع الناس الـضجـة ثـار إليـه كل من كـان في المسجـد وصاروا يـدورون ولا يـدرون أين يـذهبـون من شـدّة الصـدمـة والـدهشة ثم أحـاطوا بـأمير المؤمنين عليه السلام وهـو يشد رأسـه بميـزره والـدم يجري على وجهه ولحيته وقد خضبت بدمائه وهو يقـول : هذا مـا وعدنـا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، قال الراوي فاصـطفقت أبواب الجـامع وضجت الملائكة في السماء بالدعاء وهبت ريـح عاصف سـوداء مظلمـة ونـادى جبـرائيـل بين السمـاء والأرض بصـوت يسمعـه كـل مستيقظ : تهـدمت والله أركان الهـدىٰ وانطمست والله نجـوم السمـاء وأعـلام التقىٰ وانفصمت والله العـــروة الـوثقىٰ قتـــل ابن عم المصـطفىٰ قتـــل الـوصي المجتبىٰ قتل علي المرتضىٰ قتـل والله سيّد الأوصيـاء قتله أشقى الأشقياء ، قـال : فلما سمعت أُم كلثـوم نعي جبرائيـل عليه السلام لـطمت على وجههـا وشقت جيبهـا وصاحت وا أبتـاه واعليـاه وامحمـده وا سيّـداه ، ثم أقبلت إلى أخويها الحسن والحسين فـأيقظتهمـا وقالت لهمـا : والله قتل أبـوكما فقـاما يبكيـان فقـال لهـا الحسن : يـا أختـاه كفي عن البكـاء حتى ننـظر

صحة الخبر كي لا تشمت الأعداء فخرج وإذا بالناس ينوحون وينادون وا إماماه وا أمير المؤمنيناه قتل والله إمام عابد مجاهد لم يسجد لصنم كان أشبه الناس برسول الله ، فلما سمع الحسن والحسين صرخات الناس ناديا وا أبتاه وا علياه ليت الموت أعدمنا الحياة وألقيا العمائم من رؤوسهما ، فلما وصلا الجامع وجدا أبا جعدة بن هبيرة ومعه جماعة من الناس وهم مجتهدون أن يقيموا الإمام في المحراب ليصلّي بالناس ، فلم يطق النهوض وتأخر عن الصف وتقدم الحسن فصلّىٰ بالناس وأمير المؤمنين يصلّي إيماءاً من جلوس وهو يمسح الدم عن وجهه وكريمته الشريفة يميل تارة ويسكن اخرىٰ والحسن ينادي وا انقطاع ظهراه يعز والله علي أن أراك هكذا ففتح عينيه وقال : يا بني لا تجزع على أبيك هذا جدك محمد المصطفىٰ وجدتك خديجة الكبرىٰ وأمك فاطمة الزهراء والحور العين محدقون منتظرون قدوم أبيك فطب نفساً وقر عيناً فكف عن البكاء فإن الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السماء .

قال : ثم أن الخبر شاع في جوانب الكوفة وانحشر الناس حتى المخدرات خرجن من خدروهن إلى الجامع ينظرون إلىٰ أمير المؤمنين فدخل الناس الجامع فوجدوا الحسن ورأس أبيه في حجره وقد غسل الدم عنه وشد الضربة وهي تشخب دماً ووجهه قد زاد بياضاً بصفرة وهو يرمق السماء بطرفه ولسانه يسبح الله ويوحده وهو يقول : أسألك يا رب الرفيع الأعلىٰ وغشي عليه فصاح الحسن وا ابتاه وجعل يبكي بكاء عالياً ففتح عينيه فرأى الحسن ياكياً فقال : يا بني اتجزع على أبيك وغداً تقتل بعدي مسموماً ومظلوماً ويقتل أخوك بالسيف وتلحقان بجدكما وأبيكما وأمكما ، فقال له الحسن : يا أبه أما تعرفنا من قتلك ومن فعل بك هذا ؟ قال : قتلني ابن اليهودية عبد الرّحمان بن ملجم المرادي ، فقال : يا أبتاه من أي طريق مضىٰ ؟ فقال : لا يمضي أحد في طلبه فإنه سيطلع عليكم من هذا الباب وأشار بيده الشريفة إلى باب كندة .

قـال ولم يزل السم يسـري في رأسه وبـدنه ثم أُغمي عليـه ساعـة والناس ينتظرون قدوم الملعون واشتغلوا بالنظر إلى بـاب كندة وقـد غص بهم الجامع وهم ما بين باك وبـاكية ، فمـا كان إلاَّ سـاعة وإذا بـالصيحة قد ارتفعت وزمرة من النـاس قد جـاؤوا بعد والله ابن ملجم مكتـوفاً هـذا يلعنـه وهذا يضـربه وهـذا يبصق في وجهه ، قـال: فوقـع الناس بعضهم على بعض ينظرون إليه وأقبلوا بـه لعنه الله وهم ينهشـون لحمه بـأسنانهم ويقولون له يا عـدو الله ماذا صنعت أهلكت أمـة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقتلت خيـر الناس وإنه لصامت وبين يديـه رجل يُقـال له حـذيفة النخعي بيـده سيف مشهـور يرد النـاس عن قتله وهو يقـول : هذا قـاتل الإمـام أمير المؤمنين علي حتى أدخلوه المسجد وأوقفوه بين يـدي الإمام عليه السلام ، فلمـا نظر إليـه الحسن قال له : ويلك يا عدو الله أنت قـاتل أميـر المؤمنين ومثكلنا أمـام المسلمين هـذا جـزاؤه منـك حيث آواك وقـرّبـك وأدنـاك هـل كـان بئس الإمـام لـك حتى جـازيتـه هـذا الجـزاء يـا شقي الأشقيـاء ، فقـال لـه اللعين : يـا أبـا محمـد أفـأنت تنقـذ من في النـار ، فعنـد ذلـك ضجت النـاس بـالبكـاء والنحيب فـأمـرهم الحسن بـالسكـوت ، ثم إلتفت إلى حـذيفة النخعي الـذي جـاء بعـد والله فقـال لـه : كيف ظفـرت بـه وأين لقيته ؟ قال : يـا مولاي إن حـديثي معه لعجيب وذلـك أني كنت البارحـة نـائماً في داري وزوجتي إلى جـانبي وأنا راقـد وهي مستيقـظة إذ سمعت هي الـزعقة ونـاعياً ينعي أميـر المؤمنين وهي تقول : تهـدمت والله أركان الهـدى وانطمست والله أعـلام التقىٰ قتـل ابن عم المصـطفىٰ قتله أشقىٰ الأشقيـاء فأيقـظتني وقالت لي : أنت نـائم وقد قتـل إمامـك علي بن أبي طالب ، فانتبهت من كلامها فزعـاً مـرعوبـاً وقلت لها : يـا ويلك ما هـذا الكـلام فض الله فاك لعـل الشيـطان ألقىٰ في سمعـك هـذا أو حلم ألقي عليـك ، أن أمير المؤمنين ليس لأحـد من خلق الله قبله تبعة ولا ظـلامـة وإنه لليتيم كالأب الرؤوف وللأرملة كـالزوج العـطوف ، وبعد ذلـك فمن الـذي يقدر على قتـل علي أمير المؤمنين وهـو الأسد الضـرغـام والبـطل

الهمـام والفـارس القمقـام ، فبينمـا أنـا وهي في مـراجعــة الكـلام وإذا بصيحة عظيمة وقائل يقول :

قتـل أمير المؤمنين ، فنهضت من مكـاني ومددت يـدي إلى سيفي وسللته من غدمه وأخذتـه ونزلت مسـرعاً وفتحت بـاب داري وخرجت ، فلمـا صرت في وسط الجـادة نظرت يمينـاً وشمالاً وإذا بعـد والله يجول فيها يطلب مهـرباً ، فلم يجـد وقد إنسـدت الطرقـات في وجهه ، فلمـا نظرته كـذلك رابني أمـره وناديتـه ويلك من أنت وما تـريد في وسط هـذا الـرب تـروح وتجيء ؟ فتسمى بغيـر إسمـه وانتمى إلى غيـر كنيتـه فقلت لـه : من أين أقبلت ؟ قـال : من منــزلي ، قلت : وإلى أين تـريــد في هـذا الوقت ؟ قـال : إلى الحيرة ، فقلت : ولم لا تقعـد حتى تصلّي مع أمير المؤمنين صلاة الغداة وتمشي في حاجتـك ؟ قال : أخشى أن أقعـد للصـلاة فتفـوت حـاجتي ، قلت : يـا ويلك إني سمعت صيحـة وقـائـلاً يقـول قتل أميـر المؤمنين فهل عنـدك من ذلـك خبـر ؟ قـال : لا علم لي بـذلك ، قلت : ولم لا تمضي معي نحقق الخبـر ؟ فقـال : أنـا مـاضٍ في حــاجتي وهي أهم من ذلـك ، فقلت : لا أم لــك حـاجتــك أحب إليــك من التجسس لأميـر المؤمنين وإمــام المسلمين إذاً والله يـا لكــع الــرجـال مـالـك عنـد الله من خـلاق وحملت عليــه بسيفي وهممت أن أعلوه فـراغ عني ، فبينما أنـا أخاطبـه وهو يخـاطبني أذهبت ريح فكشف إزاره وإذا بسيف يلمـع تحت الإزار كـأنـه مـرآة مصقـولـة ، فلمـا رأيت بـريقه قلت : ويلك مـا هـذا السيف المشهـور تحت ثيـابـك لعلك أنت قـاتل أميـر المؤمنين ؟ فأراد أن يقـول لا فانـطق الله لسانـه فقال : نعم ، فرفعت سيفي فرفع هو سيفـه وهم أن يعلوني فضربتـه ضربـة على ساقيـه فأوقعته ووقـع لحينه ووقعت عليـه وصرخت صـرخة شـديدة وأردت أخـذ سيفه فمانعني عنه فخرج أهـل الجادة فـاعانـوني عليه حتى أوثقتـه كتافـاً وجئتك به فها بين يديك جعلني الله فداك فاصنع به ما شئت .

فقـال الحسن : الحمـد لله الـذي نصـر وليـه وخـذل عــدوه ، ثم

أنكب الحسن عليه السلام على أبيه يقبله وقال له : يا أبتاه هذا عدو الله وعدوك قد أمكن الله منه ، فلم يجبه وكان نائماً فكره أن يوقظه ، ففتح عينيه وهو يقول : أرفقوا بي يا ملائكة ربي ، فقال الحسن عليه السلام : هذا عدو الله وعدوك ابن ملجم قد أمكن الله منه وقد حضر بين يديك ، قال : ففتح أمير المؤمنين عينيه ونظر إليه وهو مكتوف وسيفه في عنقه فقال له بضعف وانكسار صوت رأفة ورحمة : يا هذا لقد ارتكبت أمراً عظيماً وخطباً جسيماً أبئس الإمام كنت لك حتى جازيتني بهذا الجزاء ؟ ألم أكن شفيقاً عليك وآثرتك على غيرك وأحسنت إليك وزدت في عطائك ؟ ألم يكن لي فيك كذا وكذا وخليت لك السبيل ومنحتك عطائي وقد كنت أعلم أنك قاتلي لا محالة ، ولكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالىٰ عليك يا لكع وعلى أن ترجع عن غيك ، فغلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقي الأشقياء ، قال : فدمعت عينا ابن ملجم لعنه الله وقال : يا أمير المؤمنين أفأنت تنقذ من في النار ؟ قال : له صدقت ، ثم التفت إلى ولده الحسن عليه السلام وقال له : إرفق يا ولدي بأسيرك وارحمه وأحسن إليه واشفق عليه ألا ترى إلى عينيه قد طارتا في أم رأسه وقلبه يرجف خوفاً ورعباً وفزعاً ، فقال له الحسن عليه السلام : يا أبتاه قد قتلك هذا اللعين الفاجر وافجعنا فيك وأنت تأمرنا بالرفق به ؟ فقال له : نعم يا بني نحن أهل البيت لا نزداد على المذنب إلينا إلاَّ كرماً وعفواً ، الرحمة والشفقة من شيمتنا ، بحقي عليك أطعمه يا بني مما تأكل واسقه مما تشرب ولا تقيد له قدماً ولا تغل له يداً فإن أنا مت فاقتص منه بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة وتحرقه بالنار ولا تمثل بالرجل فإني سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور ، وإن أنا عشت فأنا أولىٰ به بالعفو عنه فنحن أهل البيت لا نزداد على المذنب إلينا إلاَّ عفواً وكرماً .

قال محمد بن الحنفية : ثم أن أبي قال : أحملوني إلى موضع

مصـلاتي في منزلي ، قـال فحملناه إليـه وهو مـدنف والناس حـوله وهم في أمـر عظيم وقـد أشرفـوا على الهلاك من شـدة البكـاء والنحيب ، ثم إلتفت إليـه الحسين عليه السلام وهو يبكي فقـال له : يـا أبتـاه من لنـا بعـدك لا كيـومك إلاَّ يـوم رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعـز والله علي أن أراك هكـذا ، فنـاداه وقـال : يا حسين يـا أبا عبـد الله أدن مني فدنـا منه وقـد قـرحت أجفـان عينيه من البكاء فمسح الدموع من عينيه ووضع يده على قلبـه وقال لـه : يا بني ربط الله قلبك بـالصبر وأجـزل لك ولإخـوتك عـظيم الأجر فسكن روعتـك وأهدأ من بكـائك فـإن الله قد آجـرك على عظيم مصـابك ، ثم أدخـل إلى حجرتـه وجلس في محـاربـه ، قـال واقبلت زينب وام كلثـوم حتى جلستا معه على فـراشه وأقبلتـا تندبـانه وتقـولان يا أبتـاه من للصغير حتى يكبـر ومن للكبير بين المـلأ يا أبتـاه حزننـا عليك طـويل وعبـرتنا لا ترقى ، قال : فضج الناس بـالبكاء من وراء الحجـرة وفاضت دمـوع أمير المؤمنين عند ذلك وجعل يقلب طرفه وينظر إلى أهل بيته وأولاده .

قـال وجاؤوا بـاللعين ابن ملجم مكتوفـاً إلى بيت من بيوت القصـر فحبسوه فيه فقالت له أُم كلثوم وهي تبكي : يا ويلك أمـا أبي فارجـو أن لا يكون عليه بـأس وأن الله يخزيـك في الدنيـا والآخرة وأن مصيـرك إلى النـار خالـداً فيها ، فقـال لهـا اللعين : إبكي إن كنت بـاكيـة فـوالله لقـد إشتريت سيفي هذا بـألف وسممته بـألف ولو كـانت ضربتي هـذه لجميع أهل الكوفة ما نجا منهم أحد فصرخت أُم كلثوم : ونـادت وأبتاه واعلياه قـال : ثم دعـا أميـر المؤمنين الحسن والحسين وجعـل يحـضنـهمـا ويقبلهما ، ثم أُغمي عليه ساعة طويلة وأفاق فنـاوله الحسن عليه السلام قعبـاً من لبن فشـرب منه قليـلاً ثم نحاه عن فيـه وقـال : أحملوه إلى أسيـركم ، ثم قـال للحسن عليه السلام : بحقي عليك يـا بني إلاَّ ما طبتم مـطعمه ومشـربه وارفقـوا به إلى حين مـوتي وتطعمـه مما تـأكل وتسقيـه ممـا تشـرب حتى تكـون أكـرم منـه فعنـد ذلـك حملوا إليـه اللبن واخبـروه بمـا قـال أمير المؤمنين في حقه فأخذ اللبن وشربه .

قال الأصبغ بن نباتة : غـدونا على أميـر المؤمنين أنا والحـرث بن سويد بـن غفلة وجماعة فقعدنا على البـاب فسمعنا البكـاء فبكينا فخـرج إلينـا الحسن بن علي عليه السلام فقال : يقـول لكم أميـر المؤمنين انصرفوا إلى منـازلكم فانصـرف القوم غيـري واشتـد البكـاء في منـزلـه فبكيت وخرج الحسن عليه السلام فقـال : ألم أقـل لكم انصـرفـوا ، فقلت : لا والله يـابن رسـول الله ما تتـابعني نفسي ولا تحملني رجـلاي أن أنصـرف حتى أرى أميـر المؤمنين ،قال : فـدخـل ولم يلبث أن خـرج ، فقـال لي : أدخـل فدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فـإذا هو مستنـد معصوب الـرأس بعمامـة صفـراء قد نـزف دمه وأصفـر وجهـه مـا أدري وجهـه أصفـر أم العمـامـة فـاكببت عليـه فقبلتـه وبكيت فقـال لي : لا تبـك يـا أصبـغ فـإنهـا والله الجنـة ، فقلت لـه جعلت فـداك إني أعلم والله إنـك تصيـر إلى الجنـة وإنما أبكي لفقدتي إيّاك يا أمير المؤمنين .

وعن أبي حمـزة الثمـالي عن حبيب بن عمـرو قـال : دخلت على سيـدي ومـولاي أميـر المؤمنين عليه السلام بعـد أن عممـه ابن ملجم المـرادي بسيفـه وعنده الأشـراف من القبائـل وشرطـة الخميس ومـا منهم أحـد إلاّ وماء عينيه يترقرق على سـوادها حـزناً لأميـر المؤمنين عليه السلام ورأيت الحسن والحسين ومن معهمـا من الهاشميين ومـا تنفس منهم أحـد إلاّ وظننت أن شظايا قلبه تخرج مع نفسه وقد أرسلوا خلف أثير بن عمـر والجراح وكـان يعالج الجراحات الصعبـة فلما أحضـر ونظر إلى جـرح أمير المؤمنين عليه السلام أمـر بـريـة شـاة حـارة فـاستخـرج منهـا عـرقـاً وارسله في الجـرح ، ثم استخـرجه وقـد تكلل من دماغ أميـر المؤمنين عليه السلام وقد مـال إلى الخضرة فقال الناس : يـا أثير كيف جـرح أمير المؤمنين فخـرس أثير عن جـوابهم وتلجلج ، فعنـد ذلك يئس النـاس من أمير المؤمنين عليه السلام وقـام لهم بكـاء وعـويل فـاسكتهم الحسن لكي لا تهيج النسـاء ويضـطرب أميـر المؤمنين فسكتـوا وصاروا ينشجـون نشجاً خفيـاً إلاّ الأصبـغ بن نبـاتـة ، فـإنـه لم يملك نفسـه دون أن شرق بعبـرته وبكىٰ بكـاء عاليـاً فأفـاق أمير المؤمنين

عليه السلام من غشوته فقال : لا تبك يـا أصبغ فـإنها والله الجنـة فقال : نعم يـا أمير المؤمنين وأنا أعلم والله أنك تصير إلى الجنة وإنما أبكي لفـراقك يـا سيدي .

قـال حبيب بن عمرو : فمـا أحببت أن الأصبغ يتكلم بهـذا الكلام مـع أميـر المؤمنين فـأردت أن أرفـع مـا وقـع في قلب أميـر المؤمنين من كلام الأصبغ فقلت : لا بأس عليك يا أبا الحسن فـإن هذا الجـرح ليس بضائر وما هو بـأعظم من ضـربة عمـرو بن عبد ود ، فـإن البرد لا يـزلزل الجبل الأصم ولفحة الهجيـر لا تجفف البحر الخضم والليث يضـري إذا خـدش والصل يقـوي إذا ارتعش ، فنظر إليّ نـظر رأفة ورحمـة وقـال : هيهات يا بن عمـرو نفذ القضـاء وأبرم القـدرثم نظر في عيني إبنته قائـلاً : مـا يبكيك يـا بنتـاه ؟ فقـالت لـه : يـا أبـه وكيف لا أبكي وأنت قمـر الهـاشميين وشمس الـطالبيين ، عضبهـا اليمـاني إذا أكهمت الحـروب سيـوفها ، وَبـدرها الشعشعـاني إذا أسدلت الـظلماء سـجـوفها عـزنـا إذا شاهت الوجوه ذلاً وجمعنا إذا الموكب الكثير قلا ، فقال لهـا : يا بنيـة لو رأيت مثـل ما رأيت لمـا بكيت على أبيك ، فقـال : وما رأيت يـا أبـة ؟ قال : رأيت رسول الله قـد نزل في كتيبـة من الملائكـة من السماء ومعـه جمـع من الأنبيـاء عـلىٰ نـجب مـن نجب الجنـة قـوائمهـا من العنبـر ووفرها من الزعفران وأعناقها من الـزبرجـد الأخضر وأعينهـا من الياقـوت الأحمـر وازمتها من اللؤلؤ الـرطب في قباب من نـور يـرى ظـاهـرهـا من باطنها وبـاطنها من ظـاهرهـا وبأيـديهم مجامـر من نور تفـوح منها رائحـة العود وقد أحدقوا برسـول الله ليـزفوا روح أبيـك إلى الجنة وكـأني أنظر إليهـا يا بنيـة دار أرضها رضـوان الله وسقفهـا عفـو الله وجـوهـا المنفـرج رحمة الله ترابهـا المسك وحصـاها من ألـوان الجواهـر ، فيها قصـور من لؤلؤة بيضـاء مجوفـة من كافـور أبيض وفيها أنهـار من السلسبيل والعسـل المصفىٰ ، فسكتت عنـد ذلك أُم كلثـوم ودخلت عليه زينب فقـالت : يـا أبتـاه حدثتني أُم أيمن بمـا يصدر علينـا يـوم كـربـلاء وأحببت أن أسمعـه

منك يا أبة ، فبكىٰ أمير المؤمنين وقال : بنية الحديث ما حدثتك به أُم أيمن وكأني بك وببنات أهلك سبايا بهذا البلد يعني الكوفة أذلاء صاغرين تخافون أن يتخطفكم الناس .

قال محمد بن الحنفية : بتنا ليلة عشرين من شهر رمضان مع أبي وقد نزل السم إلى قدميه وكان يصلّي تلك الليلة من جلوس ولم يزل يوصينا بوصاياه ويعزينا عن نفسه ويخبرنا بأمره وتبيانه إلى حين طلوع الفجر ، فلما أصبح استأذن الناس عليه فأذن لهم بالدخول فدخلوا وأقبلوا يسلمون عليه وهو يرد عليهم السلام ، ثم قال : أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني وخففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم، قال فبكىٰ بكاء شديداً واشفقوا أن يسألوه تخفيفاً ، فقام إليه حجر بن عدي الطائي وقال :

فيا أسفي على المولىٰ التقي أبي الأطهار حيدرة الزكي
قتيلاً قد غدىٰ بحسام نغل لعين فاسق رجس شقي

فلما بصر به أمير المؤمنين وسمع شعره قال له : كيف بك يا حجر إذا دُعيت إلى البراءة مني فما عساك أن تقول ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إرباً إرباً وأُضرم علي النار وأُلقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك ، فقال : وفقت لكل خير يا حجر جزاك الله خيراً عن أهل البيت ، ثم قال : هل من شربة من لبن فاتوه بلبن في قعب فأخذه عليه السلام وشربه فذكر الملعون ابن ملجم وأنه لم يخف له شيئاً ، فقال : وكان أمر الله قدراً مقدوراً إعلموا إني شربت الجميع ولم أبق لأسيركم شيئاً من هذا إلاَّ وإنه آخر رزقي من الدنيا فبالله عليك يا بني إلاَّ ما سقيته مثل ما شربت فحمل إليه ذلك فشربه .

قال محمد بن الحنفية : لما كانت ليلة إحدى وعشرين واظلم الليل وهي الليلة الثانية من الكائنة جمع أبي أولاده وأهل بيته وودعهم، ثم قال لهم : الله خليفتي عليكم وهو حسبي ونعم الوكيل وأوصاهم

الجميع منهم بلزوم الإيمان والأديان والأحكام التي أوصاه بها رسول الله فمن ذلك وما أوصىٰ به الحسن والحسين عليهما السلام أوصيكما بتقوىٰ الله وان لا تبغيا الدنيا وأن بغتكما لا تأسفا على شيء منها زوي عنكما وقولا بالحق واعملا للآخرة وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً وأوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي هذا بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم فإني سمعت جدكما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : صلاح ذات البين أفضل من عامة الصّلاة والصيام الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم والله الله في جيرانكم فإنه وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم والله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فإنه إن تركتم تناظروا والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله وعليكم بالتواصل والتباذل إياكم والتدابر والتقاطع لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولي عليكم أشراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ، ثم قال : يا بني عبد المطلب لالفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً تقولون قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين لا يقتلن فيَّ إلاَّ قاتلي انظروا إذا أنامت من ضربته هذه فاضربوه ضربة ولا يمثل بالرجل فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور .

قال : ثم تزايد ولوج السم في جسده الشريف حتى نظرنا إلى قدميه وقد إحمرتا جميعاً فكبر ذلك علينا وآيسنا منه ، ثم أصبح ثقيلاً فدخل الناس عليه فأمرهم ونهاهم وأوصاهم ، ثم عرضنا عليه المأكول والمشروب فأبىٰ أن يأكل أو يشرب ، فنظرنا إلى شفتيه وهما تختلجان بذكر الله وجعل جبينه يرشح عرقاً وهو يمسحه بيده قلت : يا أبتاه أراك تمسح جبينك ؟ فقال : يا بني إني سمعت رسول الله يقول إن المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه وصار كاللؤلؤ الرطب وسكن أنينه ثم قال : يا أبا عبد الله ويا عون ، ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم

صغيراً وكبيراً واحداً بعد واحد وجعل يودعهم ويقول الله خليفتي عليكم أستودعكم الله وهم يبكون فقال له ولده الحسن : ما دعاك إلى هذا ؟ فقال له : يا بني إني رأيت جدك رسول الله في منامي قبل هذه الكائنة بليلة فشكوت إليه ما أنا فيه من التذلل والأذى من هذه الأُمة ، فقال لي : ادع عليهم ؟ فقلت : اللَّهمَّ أبدلهم بي شراً مني وأبلدلني بهم خيراً منهم ، فقال : قد استجاب الله دعاك سينقلك إلينا بعد ثلاث وقد مضت الثلاث يا أبا محمد أوصيك بأبي عبد الله خيراً فأنتما مني وأنا منكما ، ثم التفت إلى أولاده الذين هم من غير فاطمة وأوصاهم أن لا يخالفوا أولاد فاطمة يعني الحسن والحسين ، ثم قال: أحسن الله لكم العزاء لا وإني منصرف عنكم وراحل في ليلتي هذه ولاحق بحبيبي محمد كما وعدني فإذا أنا مت فغسلني وكفني وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله فإنه من كافور الجنة جاء به جبرائيل إليه ، «ثم ضعني على سريري ولا يتقدم أحد منكم يحمل مقدم السرير واحملوا مؤخره واتبعوا مقدمه فأي موضع وضع المقدم فضعوا المؤخر ، فحيث أقام سريري فهو موضع قبري ، ثم تقدم يا أبا محمد وصلّ علي يا بني يا حسن وكبر علي سبعاً واعلم أنه لا يحل ذلك لأحد غيري إلَّا على رجل يخرج في آخر الزمان إسمه القائم المهدي من ولد الحسين يقيم إعوجاج الحق فإذا أنت صليت علي يا حسن فنح السرير عن موضعه ، ثم اكشف التراب عنه فترىٰ قبراً محفوراً ولحداً مثقوباً وساجة منقورة فاضجعني فيها فإذا أردت الخروج من قبري فافتقدني فإنك لا تجدني وإني لاحق بجدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واعلم يا بني ما من نبي يموت وإن كان مدفوناً بالمشرق ويموت وصيه بالمغرب إلَّا ويجمع الله عزّ وجلّ بين روحيهما وجسديهما ، ثم يفترقان فيرجع كل واحد منهما إلى موضع قبره وإلى موضعه الذي حط فيه ، ثم اشرج اللحد باللبن واهيل التراب علي ، ثم غيب قبري ، ثم يا بني بعد ذلك إذا أصبح الصباح أخرجوا تابوتاً إلى ظاهر الكوفة على ناقة وأمر بمن يسيرها كأنها

تريد المدينة بحيث يخفي على العامة موضع قبري الذي تضعني فيه وكأني بكم وقد خرجت عليكم الفتن من هيهنا وهيهنا فعليكم بالصبر فهو محمود العاقبة .

ثم قال : يا أبا محمد ويا أبا عبد الله كأني بكما وقد خرجت عليكما من بعدي الفتن من هيهنا وهيهنا فعليكم بالصبر فهو محمود العاقبة واصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين .

ثم قال : يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الأُمة فعليك بتقوىٰ الله والصبر على بلائه ثم أُغمي عليه ساعة وأفاق وقال : هذا رسول الله وعمي حمزة وأخي جعفر وأصحاب رسول الله وكلهم يقول عجل قدومك علينا فإنا إليك مشتاقون ، ثم أدار عينيه في أهل بيته كلهم وقال : أستودعكم الله جميعاً الله خليفتي عليكم وكفىٰ بالله خليفة .

ثم قال : وعليكم السلام يا رسل ربي .

ثم قال : لمثل هذا فليعمل العاملون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وعرق جبينه وهو يذكر الله كثيراً وما زال يذكر الله كثيراً ويتشهد الشهادتين ، ثم إستقبل القبلة وغمض عينيه ومد رجليه وأسبل يديه وقال : أشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ثم قضىٰ نحبه عليه السلام ، قال : وكانت وفاته ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان وكانت ليلة الجمعة سنة أربعين من الهجرة ، قال : فعند ذلك صرخت زينب بنت علي وأُم كلثوم وجميع نساؤه وقد شقوا الجيوب ولطموا الخدود وارتفعت الصيحة في القصر فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنين قد قبض فأقبل النساء والرجال يهرعون أفواجاً أفواجاً وصاحوا صيحة عظيمة فارتجت الكوفة بأهلها وكثر البكاء والنحيب وكثر الضجيج بالكوفة وقبايلها ودورها وجميع أقطارها فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فلما أظلم الليل تغير أفق السماء وارتجت الأرض وجميع من

عليهـا بكوه وكنـا نسمع جلبـة وتسبيحـاً في الهـواء فعلمنـا أنهـا أصـوات الملائكة فلم يزل كذلك إلى أن طلع الفجر .

قـال محمد بن الحنفيـة رضي الله عنه ، ثم أخـذنا في جهـازه ليلاً وكان الحسن يغسله والحسين يصب الماء عليـه وكان جسـده الشريف لا يحتاج إلى من يقلبه بل كان يتقلب كما يريد الغاسـل يميناً وشمـالاً وكانت رائحتـه أطيب من رائحـة المسـك والعنبـر ، ثم نـادى الحسن أُم كلثـوم وقـال : يـا أبتاه هلمي بحنـوط جـدي رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبـادرت زينب مسـرعة حتى أتتـه به ، قـال : فلما فتحـه فاحت الـدار وجميـع الكـوفـة وشـوارعها لشـدة رائحة ذلـك الطيب ، ثم لفـوه بخمسة أثـواب كما أمـر عليه السلام ثم وضعـوه على السريـر وتقدم الحسن والحسين ورفعـا السـريـر من مؤخـره وإذا مقدمـه قد ارتفـع ولا يرى حـامله وكانـا حامـلاه من مقـدمـه جبـرائيل وميكـائيل فمـا مـر بشيء على وجـه الله إلاَّ انحنىٰ لـه سـاجـداً وخرج السرير .

قـال ابن الحنفية (رض) والله لقـد نـظرت إلى السـريـر وإنـه ليمـر بـالحيطان والنخـل فتحني لـه خشـوعـاً ومضىٰ مستقيمـاً إلى النجف إلى مـوضع قبـره عليه السلام الآن قال: وضجت الكـوفـة بـالبكـاء والنحيب وخـرجن النساء يتبعنه لاطمـات حاسـرات فمنعهن الحسن عليه السلام ونهاهن عن البكـاء والعـويل وردهن إلى أمـاكـنهـنّ والحسين عليه السلام يقـول : لا حـول ولا قـوة إلاَّ بالله العلي العظيم إنا لله وإنّا إليه راجعون يـا أباه واانقـطاع ظهراه من أجلك تعلمنـا البكـاء إلى الله المشتكى ، فلمـا انتهينـا إلى قبـره وإذا مقدم السرير قد وضع فوضـع الحسن عليه السلام مؤخره وصلّى عليـه والجماعـة خلفـه فكبر سبعـاً كما أمـره به أبـوه عليه السلام ، ثم زحـزحنـا سـريـره وكشفنـا التراب واذا نحن بقبر محفور ولحد مشقوق وساجـة منقورة مكتـوب عليها هذا ما ادخره نوح النبي للعبد الطاهر المطهر ، فلما أرادوا نـزوله سمعـوا هـاتفاً يقـول أنزلـوه إلى التربـة الطاهـرة فقد إشتـاق الحبيب إلى الحبيب فدهش الناس عند ذلك وألحد أمير المؤمنين عند طلوع الفجر .

قال الراوي: لما ألحد أمير المؤمنين عليه السلام وقف صعصعة بن صوحان العبدي على القبر، ثم قال: بأبي أنت وأُمي يا أمير المؤمنين، ثم قال: هنيئاً لك يا أبا الحسن فقد طاب مولدك وقوى صبرك وعظم جهادك وظفرت برأيك وربحت تجارتك وقدمت على خالقك فتلقاك الله ببشارته وحفتك ملائكته وإستقررت في جوار المصطفىٰ فأكرمك الله بجواره ولحقت بدرجه أخيك المصطفىٰ وشربت بكأسه الأوفىٰ فاسأل الله أن يمن علينا باقتفاء أثرك والعمل بسيرتك والموالاة لأوليائك والمعاداة لأعدائك وأن يحشرنا في زمرة أوليائك فقد نلت ما لم ينله أحد وأدركت ما لم يدركه أحد وجاهدت في سبيل ربك بين يدي أخيك المصطفىٰ حق جهاده وقمت بدين الله حق القيام حتى أقمت السنن وأطفيت الفتن واستقام الإسلام وانتظم الإيمان فعليك مني أفضل الصلاة والسلام بك إشتد ظهر المؤمنين واتضحت أعلام السبل وأُقيمت السنن وما جمع لأحد مناقبك وخصالك سبقت إلى إجابة النبي مقدماً مؤثراً وسارعت إلى نصرته ووقيته بنفسك ورميت سيفك ذا الفقار في مواطن الخوف والحذر وقصم الله بك كل ذي بأس شديد وهدم بك حصون أهل الشرك والبغي والكفر والعدوان والردى، وقتل بك أهل الضلال من العدى فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين كنت أقرب الناس من رسول الله قربىٰ وأولهم سلماً وأكثرهم علماً وفهماً، فهنيئاً لك يا أبا الحسن لقد شرف الله مقامك وكنت أقرب الناس إلى رسول الله نسباً وأولهم إسلاماً وأكثرهم علماً وأوفاهم يقيناً وأشدهم قلباً وأبذلهم لنفسه مجاهداً وأعظمهم في الخير نصيباً فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك فوالله لقد كانت حياتك مفتاح للخير ومغالق للشر وإن يومك هذا مفتاح كل شر ومغلاق كل خير ولو أن الناس قبلوا منك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولكنهم أثروا الدنيا على الآخرة ثم بكىٰ بكاءاً شديداً وأبكىٰ كل من كان معه وعدلوا إلى الحسن والحسين ومحمد وجعفر والعباس وعون وعبد الله عليهم السلام فعزوهم في أبيهم وانصرف الناس

ورجـع أولاد أمير المؤمنين وشيعتهم إلى الكـوفة ولم يشعـر بهم أحـد من الناس ، فلما طلع الصبـاح وبزغت الشمس أخـرجوا تـابوتـاً من دار أمير المؤمنين واتوا به إلى المصلى بـظاهر الكـوفة ، ثم تقـدم الحسن وصلّي عليه ورفعه على ناقة وسيرها مع بعض العبيد .

قـال الراوي : ثم رجـع أولاد أمير المؤمنين إلى الكـوفة واجتمعـوا لقتل اللعين عدو الله ابن ملجم ، فقال عبد الله بن جعفر : إقطعوا يديـه ورجليـه ولسانـه واقتلوه بعـد ذلـك ، وقـال محمـد بن الحنفيـة : اجعلوه عرضاً للنشـاب واحرقـوه ، وقال آخـر : أصلبوه حيـاً حتى يموت ، فقـال الحسن : أنا ممتثل فيه ما أمرني به أميـر المؤمنين أضربـه ضربـة بالسيف حتى يموت وأحرقه بالنار بعد ذلك فأمر ، الحسن أن يأتـوه به فجـاؤوا به مكتـوفاً حتى أدنـوه من المـوضـع الـذي ضـرب فيـه الإمـام علي بن أبي طـالب أمير المؤمنين والنـاس يلعنونـه ويوبخـونه وهـو ساكت لا يتكلم ، فقـال الحسن : يـا عـدو الله قتلت أميـر المؤمنين وإمـام المسـلميـن واعظمت الفساد في الدين ، فقال لهما : يا حسن ويـا حسين ما تـريدان تصنعـان في ؟ قالا لـه: نريـد أن نقتلك كما قتلت سيـدنا ومـولانـا ، فقـال لهمـا : إصنعا مـا شئتما أن تصنعـا ولا تعنفا من استـزله الشيـطان قصده عن السبيل ولقد زجـرت نفسي فلم تنزجـر ونهيتها فلم تنتـه فدعهـا تذوق وبال أمرها ولها عذاب شديد .

ثم بكىٰ فقال له الحسن : يـا ويلك ما هـذه الرقـة أين كانت حين وضعت قـدمـك وركبت خـطيئتـك ؟ فقـال لعنـه الله : استحـوذ عليهم الشيـطان فـأنساهم ذكر الله أولئك حـزب الشيطان ألا أن حـزب الشيطان هم الخـاسـرون ولقـد انقضىٰ التـوبيـخ وإنمـا قتلت أبـاك وحصلت بين يـديـك فـاصنـع مـا شئت وخـذ بحقـك مني كيف شئت ، ثم بـرك على ركبتيه وقال : يـابن رسول الله الحمـد لله الذي أجـرىٰ قتلي على يديـك فـرق له الحسن ، ثم قـام الحسن وأخذ السيف بيـده وجرده من غمـده وندبه حتى لاح الموت في حده ، ثم ضربه ضـربة أراد بهـا عنقه فـاشتد

زحام الناس عليه وعلت أصواتهم ، فلم يتمكن من فتح باعه فارتفع السيف إلى باعه فأبراه فانقلب عدو الله يخور في دمه فقال الحسين إلى أخيه وقال : يا أخي أليس الأب واحد والأم واحد ولي نصيب في هذه الضربة ولي في قتله حق فدعني أضربه ضربة أشفي بها بعض ما في نفسي ، فنالوله الحسن السيف فأخذه وهزه وضربه على الضربة التي ضربه الحسن فبلغ إلى طرف أنفه وقطع جانبه الآخر وإبتدره الناس بعد ذلك بأسيافهم فقطعوه إرباً و إرباً وعجل الله بروحه إلى النار ، ثم جمعوا جثته وأخرجوه وجمعوا له حطباً وأحرقوه بالنار .

وقيل طرحوه في حفرة وطموه بالتراب فهو يعوي كعوي الكلاب في حفرته إلى يوم القيامة وأقبلوا إلى الخبيثة قطام فقطعوها بالسيوف إرباً إرباً ونهبوا دارها ، ثم أحرقوا جسدها لعنها الله .

فصل

في حال قاتله وهو ابن ملجم لعنه اللّه

وبعض الوقائع المتأخرة عن قتله صلوات الله عليه وبعض مراثيه عليه السلام

في كتاب نور الأبصار للشبلنجي الشافعي عن أنس بن مالك قال مرض علي فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر فجلست معهما فجاء النبي فنظر في وجهه فقال أبو بكر وعمر : قد تخوفنا عليه يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لا بأس عليه ولن يموت حتى يملاء غيظا ولن يموت إلاّ مقتولاً .

وفيه عن صهيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : من أشقىٰ الأولين يا علي ؟ قال : الذي عقر ناقة صالح . قال : صدقت ، فمن أشقىٰ الآخرين ؟ قال : الله ورسوله اعلم ، قال : أشقىٰ الآخرين الذي يضربك على هذه وأشار إلى يافوخه وكان علي عليه السلام يقول لأهله والله لوددت لو إنبعث أشقاها .

وفيه عن أبي الأسود الدؤلي إنه عـاد علياً في شكـوى اشتكاهـا قال فقلنـا له لقـد تخوفنـا عليك يـا أمير المؤمنين في شكـواك هذه ؟ فقـال : لكن والله مـا تخـوفت على نفسي لأني سمعت رسـول الله يقـول : إنـك ستضرب ضربة هٰهنا وأشـار إلى رأسي فيسيل دمهـا حتى يخضب لحيتك يكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة اشقىٰ ثمود .

وفيـه سئل علي وهـو على المنبـر في الكـوفـة عن قـولـه تعـالىٰ : ﴿**من المؤمنين رجال صدقـوا ما عـاهدوا الله عليـه فمنهم من قضىٰ نحبه ومنهم من ينتـظر**﴾ فقـال : اللَّهمَّ أغفـر هـذه الآيـة نـزلت فيَّ وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحرق بن عبد المطلب ، فأمـا عبيدة فقـد قضىٰ نحبه يوم بدر ، وأما عمي حمزة فإنه قضىٰ نحبه شهيـداً يوم أُحد، وأمـا أنا فـانتظر أشقـاها يخضب هـذه من هذا وأشـار إلى لحيتـه ورأسـه عهداً عهده إليَّ حبيبي أبو القاسم .

وفي البحـار عن أبي جعفر قـال : أن عاقـر ناقـة صالـح أزرق ابن بغي وان قـاتلي علي عليه السلام ابن بغي ، وكانت مـراد تقول مـا نعرف لـه فينا أبـاً ولا نسباً وأن قـاتل الحسين ابن بغي وإنـه لم يقتـل الأنبيـاء ولا أولاد الأنبياء إلاَّ أولاد البغايا .

وروي عن حنان بن سدير عن رجل من مـزينة قـال : كنت جالسـاً عنـد علي فأقبـل إليه قـوم من مراد ومعهم ابن ملجم لعنـه الله قالـوا : يا أمير المؤمنين أن هذا طـرء علينا ولا والله مـا جاءنـا زائراً ولا منتجعـاً وأنا لنخـافه عليـك فاشـدد يـديـه ، فقـال لـه علي : أجلس فنـظر في وجهـه طويلاً ثم قال : رأيتك إن سـألتك عن شيء ، وعنـدك منه علم هـل أنت مخبـري عنه ؟ قـال : نعم . وحلّفه عليـه فقال : أكنت تصـارع الغلمان وتقـوم عليهم فكنت إذا جئت فرأوك من بعيـد قالـوا قد جـاءنا ابن راعيـة الكلاب ؟ قال : اللَّهمَّ نعم ، فقال له : مـررت برجـل وقد أبقعت فنـظر إليك واحد النظر فقال أشقىٰ من عـاقر نـاقة ثمـود ؟ قال : نعم . قـال :

قـد أخبرتـك أُمك أنهـا حملت بك في بعض حيضهـا فتقتـع هنيئـة ؟ ثم قال : نعم حدثتني بـذلك ولـو كنت كأنمـا شيئاً لكتمتـك هذه المنـزلة ، فقـال لـه علي عليه السلام : قم فقـام ، ثم قـال عليه السلام : سمعت رســول الله صلى الله عليه وآله يقول إن قاتلك شبه اليهودي بل هو اليهودي لعنه الله .

وعن كتاب كفاية الأثر لمـا قتل أميـر المؤمنين عليه السلام رقي الحسن بن علي المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة فقعد ساعة ثم قـام فقال : الحمـد لله الـذي كـان في أوليتـه وحـدانيـاً وفي أزليتـه متعـظمـاً بـالهيبـة متكبـراً بكبريائـه وجبروتـه إبتـدأ مـا إبتدع واتسـأ ما خلق على غيـر مثال ، كـان سبق ممـا خلق ربنـا اللطيف بلطف ربـوبيتـه وبعلم خيـره فتق وبـأحكـام قـدرته خلق جميـع ما خلق فـلا مبدل لخلقـه ولا مغير لصنعـه ولا معقب لحكمـه ولا راد لأمـره ولا مستـراح عن دعـوتـه خلق جميـع مـا خلق ولا زوال لملكـه ولا انقطاع لمـدته فـوق كـل شيء عـلا ومن كـل شيء دنىٰ فتجلىٰ لخلقه من غير أن يكـون يرىٰ وهـو بالمنـظر الأعلىٰ احتجب بنوره وسمـا في علوه فاستتـر عن خلقه وبعث إليهم شهيـداً عليهم وبعث فيهم النبيين مبشـرين ومنـذرين ليهلك من هلك عن بينـــة ويحيى من حي عن بينة وليعقل العبـاد عن ربهم ما جهلوه ، فيعـرفوه بـربوبيتـه بعدمـا انكروه والحمد لله الذي أحسن الخـلافة علينـا أهل البيت وعنـده نحتسب عزانـا في أميـر المؤمنين ولقد أُصيب بـه الشرق والغـرب والله مـا خلف درهمـاً ولا دينـاراً إلّا أربعمائـة درهم أراد أن يبتاع لأهله خـادماً ، ولقـد حدثني حبيبي جـدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الأمـر يملكه اثني عشـر إمامـاً من أهـل بيته وصفوتـه ما منـا إلّا مقتول أو مسمـوم ، ثم نزل عن منبـره فدعـا بابن ملجم لعنـــه الله فـأتي بـــه قـال : يـــا بن رسـول الله إستبقني أكن لـــك وأكفيك أمر عدوك بالشام فعلاه الحسن عليه السلام بسيفـه فاستقبـل السيف بيده قطع خنصره ، ثم ضربه ضربة علي يافوخه فقتله لعنة الله عليه .

وفي فرحة الغـري قال الثعلبي (الثقفي خ ل) في كتـاب مقتل أميـر المؤمنين ونقلته من نسخة عتيقة تاريخها سنة خمسة وخمسون وثـلاثمائـة

وذلك على أحد القولين أن عبد الله بن جعفر قال : دعوني أُسفي بعض ما في نفسي عليه يعني ابن ملجم لعنه الله ، فدفع إليه فأمر بمسمار فحمي بالنار ، ثم كحله فجعل ابن ملجم يقول : تبارك الخالق للإنسان من علق يابن أخ إنك لتكحلن بمملول ممض . ثم أمر بقطع يده ورجليه فقطع ولم يتكلم ، ثم أمر بقطع لسانه فجزع فقال له بعض الناس : يا عدو الله كحلت عينك بالنار وقطعت يداك ورجلاك فلم تجزع وجزعت من قطع لسانك ؟ فقال لهم : يا جهال أنا والله ما جزعت لقطع لساني ولكني أكره أن أعيش في الدنيا فواقاً لا أذكر الله فيه ، فلما قطع لسانه احرق بالنار لعنه الله .

ويروى أنه لما رجع الحسن والحسين عليهما السلام من دفن أمير المؤمنين وجدا في طريقهما رجلاً شيخاً أعمىٰ مريضاً وهو يبكي فتقدم إليه الحسن وقال له : ما يبكيك يا شيخ ؟ فقال : كان رجل كل يوم يأتين باللبن والدقيق وله ثلاثة أيام قد انقطع عني ولا يأتيني ، فقال له الحسن : ومن ذلك الرجل ؟ فقال : لا أعرفه ، فقال : صفه لي ؟ فقال : لم أر وجهه حتى أصفه لك إلاَّ إنه كان لي كالأُم الشفيقة بولدها كان يكلمني برفق ويمرضني بشفقة ويؤنسني ويضاحكني ثم ينصرف عني ، فقال له الحسن : هذه صفة أبينا أمير المؤمنين عليه السلام فعظم الله لك الأجر فيه فقد قضىٰ نحبه والآن رجعنا من دفنه فصرخ الشيخ صرخة فارقت روحه الدنيا وفي خبر فغشي عليه ، فلما أفاق قال : أسألكم بالله أن تدلوني على قبره فأخذوه ، فلما أحس بالقبر جعل يبكي ويعول ويلطم فجلس الحسن والحسين عنده وجعلا يبكيان ، ثم جعل الشيخ يضرب رأسه على القبر حتى قضىٰ نحبه فاشتغل الحسن والحسين بتغسيله وتكفينه ودفنوه عند أمير المؤمنين ورجعا يبكيان ويلطمان .

وروي الصدوق قدس الله روحه بإسناده عن أسيد بن صفوان صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما كان اليوم الذي قبض فيه أمير المؤمنين

عليه السلام ارتج الموضع بالبكاء ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجاء رجل باك مسترع مسترجع وهو يقول اليوم انقطعت خلافة النبوة حتى وقف بباب البيت الذي فيه أمير المؤمنين .

فقال رحمك الله يا أبا الحسن كنت أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً وأشدهم يقيناً وأخوفهم لله عزّ وجلّ ، وأعظمهم عناء وأحوطهم على رسول الله وأمنهم على أصحابه وأفضلهم مناقب وأكثرهم سوابق وأرفعهم درجة وأقربهم من رسول الله وأشبههم به هدياً ونطقاً وخلقاً وخلقاً وسمتاً وفعلاً وأشرفهم منزلة وأكرمهم عليه ، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً قويت حين ضعف أصحابه وبرزت حين استكانوا ونهضت حين وهنوا ولزمت منهاج رسول الله إذ هم أصحابه كنت خليفته حقاً لم تنازع ولم تضرع برغم المنافقين وغيظ الكافرين وكره الحاسدين وضغن الفاسقين فقمت بالأمر حين فشلوا ونطقت حين تتعتعوا ومضيت بنور الله عزّ وجلّ حين وقفوا ، ولو إتبعوك لهدوا وكنت أخفضهم صوتاً وأعلاهم قنوطاً وأقلهم كلاماً وأصوبهم منطقاً وأكبرهم رأياً وأشجعهم قلباً وأشدهم يقيناً وأحسنهم عملاً وأعرفهم بالأمور . كنت والله للدين يعسوباً أولاً وآخراً الأول حين تفرق الناس والآخر حين فشلوا كنت للمؤمنين أبا رحيماً إذ صاروا عليك عيالاً فحملت أثقال ما عنه ضعفوا وحفظت ما أضاعوا ورعيت ما أهملوا وشمرت إذا اجتمعوا وعلوت إذ هلعوا وصبرت إذ جزعوا وأدركت ما عنه تخلفوا ونالوا بك ما لم يحتسبوا كنت للكافرين عذاباً صباً وللمؤمنين غيثاً وحصناً فطرت والله بنعمائها وفزت بحبائها وأحرزت سوابقها وذهبت بفضائلها لم تفلل حجتك ولم يزغ ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك ولم تخن كنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف ، وكنت كما قال رسول الله ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله عزّ وجلّ كبيراً في الأرض جليلاً في السماء عزيزاً عند المؤمنين لم يكن لأحد فيك مهمز

ولا لقائل فيك مغمز ولا لأحد فيك مطمع ولا لأحد عندك هوادة الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه والقوي العزيز عندك ضعيف ذليل ، حتى تأخذ منه الحق والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء شأنك الحق والصدق والرفق وقولك حكم وحتم وأمرك حلم وحزم ورأيك علم وعزم فاقلعت وقد نهج السبيل وسهل العسير وأطفأت النيران وإعتدل بك الدين وقوي بك الإيمان وثبت بك الإسلام والمؤمنين وسبقت سبقاً بعيداً واتعبت من بعدك تعباً شديداً فجللت عن البكاء وعظمت رزيتك في السماء وهدت مصيبتك الآنام ، فأنا لله وإنّا إليه راجعون ، رضينا عن الله قضائه وسلمنا لله أمره فوالله لن يصاب المسلمون بمثلك أبداً كنت للمؤمنين كهفاً وحصناً وعلى الكافرين غلظة وغيظاً فالحقك الله بنبيه ولا حرّمنا أجرك ولا أضلنا بعدك وسكت القوم حتى إنقضىٰ كلامه وبكىٰ وابكىٰ أصحاب رسول الله . ثم طلبوه فلم يصادفوه .

وفي كتاب نور الأبصار للشبلنجي عن المناقب لأبي بكر الخوارزمي قال قال أبو القاسم بن محمد : كنت في المسجد الحرام فرأيت الناس مجتمعين حول مقام إبراهيم فقلت ما هذا ؟ فقالوا : راهب قد أسلم وجاء إلى مكة وهو يحدث بحديث عجيب فأشرفت عليه فإذا شيخ كبير عليه جبة صوف وقلنسوة صوف عظيم الجثة وهو قاعد عند المقام يحدث الناس وهم يستمعون له ، فقال : بينما أنا قاعد في صومعتي في بعض الأيام إذا شرفت منها أشرافة فإذا طائر كالنسر الكبير قد سقط على صخرة على شاطىء البحر فتقيأ فرمىٰ من فيه ربع إنسان ، ثم طار فغاب يسيراً ثم عاد فتقيأ ربعاً آخراً ، ثم طار وعاد فتقيأ هكذا إلى أن تقيأ أربعة أرباع إنسان ، ثم طار فدنت الأرباع بعضها من بعض فالتأمت فقام منها إنسان كامل وأنا أتعجب مما رأيت ، فإذا بالطائر قد انقض عليه فاختطف ربعه، ثم عاد واختطف ربعاً آخر ، ثم طار وهكذا إلى أن اختطف جميعه فبقيت متفكراً

ومتحسراً أن لاكنت سألته من هو وما قصته ، فلما كان في اليوم الثاني إذا بالطائر قد أقبل وفعل كفعله بالأمس ، فلما إلتأمت الأرباع وصارت شخصاً كاملاً نزلت من صومعتي مبادراً إليه وسألته بالله من أنت يا هذا ؟ فسكت فقلت له : بحق من خلقك ألا ما أخبرتني من أنت ؟ فقال : أنا ابن ملجم ، فقلت : ما قصتك مع هذا الطائر ؟ قال : قتلت علي بن أبي طالب فوكل الله بي هذا الطائر يفعل بي ما ترىٰ كل يوم فخرجت من صومعتي وسألت عن علي بن أبي طالب ؟ فقيل لي : إنه ابن عم رسول الله ، فأسلمت وأتيت إلى بيت الله الحرام قاصداً الحج وزيارة رسول الله .

أقول : رأيت هذا الخبر في كتاب الخوارزمي كما ذكر .

ورواه الراوندي في الخرائج أيضاً إلاَّ أنه قال : فبينما هو يخبرني إذا نقض الطائر فأخذ ربعه وطار .

وفي المناقب لابن شهرآشوب رحمه الله عن علي بن الجعد عن شعبة عن قتادة ومجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أن السماء والأرض لتبكي على المؤمن إذا مات أربعين صباحاً وإنها تبكي على العالم إذا مات أربعين شهراً وإن السماء والأرض ليبكيان على الرسول أربعين سنة وإن السماء والأرض ليبكيان عليك يا علي إذا قتلت أربعين سنة .

قال ابن عباس : لقد قتل أمير المؤمنين عليه السلام على الأرض بالكوفة فأمطرت السماء ثلاثة أيام دماً .

وفيه عن أبي حمزة عن الصادق عليه السلام قال : وقد روي أيضاً عن سعيد بن المسيب أنه لما قبض أمير المؤمنين عليه السلام لم يرفع من وجه الأرض حجر إلاَّ وجد تحته دم عبيط .

وعن أربعين الخطيب وتاريخ النسوى أنه سئل عبد الملك بن

مروان الزهري ما كانت علامة يوم قتل علي ؟ قال : ما رفع حصاة من بيت المقدس إلاَّ كان تحتها دم عبيط .

قال : ولما ضرب عليه السلام في المسجد سمع صوت لله الحكم لا لك يا علي ولا لأصحابك .

فلما توفي سمع في داره ﴿**افمن يلقىٰ في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة**﴾ الآية . ثم هتف هاتف آخر مات رسول الله ومات أبوكم .

وفي أخبار الطالبين أن الروم أسروا قوماً من المسلمين فأتي بهم إلى الملك فعرض عليهم الكفر فأبوا فأمر بإلقائهم في الزيت المغلي وأطلق منهم رجلاً يخبر بحالهم ، فبينما هو يسير سمع وقع حوافر الخيل فوقف فنظر وإذا أصحابه الذين أُلقوا في الزيت ، فقال لهم في ذلك ، فقالوا : قد كان ذلك فنادى مناد من السماء في شهداء البر والبحر أن علي بن أبي طالب قد إستشهد في هذه الساعة ، فصلوا عليه فصلّينا عليه ونحن راجعون إلى مصارعنا .

وقال أبو زرعة الرازي بإسناده عن منصور بن عمّار : أنه سئل عن أعجب ما رآه ؟ قال : ترى هذه الصخرة في وسط البحر يخرج من هذا البحر كل يوم طائر مثل النعامة فيقع عليها ، فإذا استوى وقفاً تقيأ راساً ثم تقيأ يداً وهكذا عضواً عضواً ، ثم تلتئم الأعضاء بعضها إلى بعض حتى يستوي إنساناً قاعداً ثم يهم للقيام فإذا هم للقيام نقره نقرة فأخذ رأسه ثم أخذه عضواً عضواً كما أقاءه .

قال : فلما طال علي ذلك ناديته يوماً من أنت ؟ ثم التفت إليّ وقال : هو عبد الرّحمٰن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب وكّل الله به هذا الطير فهو يعذبه إلى يوم القيامة وزعمهم أنهم يسمعون العواء من قبره .

أقـول : وقد تقـدم قريبـاً عن أبي القاسم بن محمـد ما يشبـه هـذا الخبر .

وفي كتـاب مقاتـل الطالبين بـإسنـاده عن إسمـاعيـل بن راشـد في إسناده قال لما أتى عائشة نعي علي أمير المؤمنين عليه السلام تمثلت :

فالقت عصاها واستقرت بها النوى كمـا قـرّ عينـاً بـالأيـاب المسـافـر

ثم قالت : من قتله ؟ فقيل : رجل من مراد فقالت :

فـإن يـك نـائيـاً فلقـد بغـاه غـلام ليس في فيـه التـراب

فقـالت لها زينب بنت أُم سلمـة : العلي تقولين هـذا ؟ فقـالت : إذا نسيت فذكروني ثم تمثلت :

مـا زال إهـداء القصـائـد بيننـا بـإسم الصديق وكثـرة الألقـاب
حتى تـركت كأن قـولـك فيهم في كـل مجتمـع طنين ذبـاب

قال : وكان الـذي جاءهـا بنعيه سفيـان بن أُمية بن عبـد شمس بن أبي الوقاص .

وعن تفسيـر فـرات بن إبـراهيم رحمـه الله عن علي بن محمـد بن مخلد الجعفي معنعنـا عن سليمـان بن يسـار قـال : رأيت ابن عبـاس رضـوان الله عليـه لمـا تـوفي أميـر المؤمنين عليه السلام بـالكـوفـة وقـد قعـد في المسجـد منحنياً ووضـع فرقـه على ركبتيه وأسنـد يده تحت خـده وقال : أيها الناس إني قـائل فـاسمعوا من شـاء فليؤمن ومن شاء فليكفـر سمعت من رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إذا مـات أميـر المؤمنين وأخـرج من الـدنيـا ظهرت في الدنيا خصال لا خير فيها .

فقلت : ومـا هي يـار سـول الله؟ فقـال : تقـل الأمـانـة ، وتكثـر الخيـانة ، حتى يـركب الـرجـل الفـاحشـة وأصحـابـه ينـظرون إليـه والله لتضـايق الدنيـا بعده بنكبـة ألا وإن الأرض لم تخـل مني مـا دام علي بن أبي طـالب حياً في الـدنيا بقيـة من بعدي أميـر المؤمنين علي في الـدنيـا

عــوض مني بعــدي علي كجلدي ، عـلي لحـمي عـلي عــظمي عـلي عـروقي علي أخي ووصي في أهلي وخليفتي في قـومي ومنجــز عـداتي وقـاضي ديني قد صحبني علي في مسلمـات أمري وقـاتـل معي أحـزاب الكفار وشاهـدني في الوحي وأكـل معي طعام الأبـرار وصافحـه جبرائيـل مراراً نهاراً جهـاراً وشهد جبـرائيل وأشهـدني أن علياً من الـطيبين الأخيار وأنـا أشهـدكم معـاشـر النـاس لاتتسـاءلون من علم أمـركم مـا دام علي فيكم ، فـإذا فقدتمـوه فعند ذلـك تقوم الآيـة« ﴿**ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينـة**﴾ صـدق الله وصـدق نبي الله . أقـول : وهــذه ثـلاث قصائـد في رثـاء أميـر المؤمنين عليه السلام أقـدم منهـا قصيـدة الفـاضـل العلامة الأديب الميرزا محمد علي الأوردبادي .

قال سلمه الله تعالىٰ :

سلي عمـا دهىٰ القـدر اليقينـا ... أأردى صـرفـه الـذكـر المبينـا
أم إنتاب الهدى خـطب ممض ... لـه خسـر الـورى دنيـاً ودينـا
بليـل قـد قفـاه صبـاح غـدر ... فيـاليت الدجىٰ لا أنفـك جونـاً
فهـل لابن الخنـا جـذت يمين ... لـرب العـالمين بـه يـمينـاً
نعم ذهب الحمـام بصنـو طـه ... فـأودى رزأه بـالـعـلمينـا
ويـالا كـان في الأيـام يـوم ... قضىٰ فيـه أميـر الـمؤمـنينـا
دفينـاً في التـراب وفي حشـاه ... قـد احتدم الشجى داءاً دفينـا
أمن حكم المنـون لكـل وغـد ... على الليث الضبـارم أن يلينـا
ألم يـك حيدر الغـزوات قدمـاً ... قـد اتخـذ الهيـاج لـه عـرينـا
وصي المصطفىٰ أن راح يسطو ... يشيب بهـول مـوقفـه الجنينـا
تحف بـه المـلائكـة كـل حين ... ولا يسهـو عن الأخـطار حينـا
وفي ظبـة الصفيـح لـه قضـاء ... إذا مـا استقبـل القـدر اليقينـا
فكيف دهىٰ وعين اللّه تـرنـو ... مصـاب أثكـل الـذكـر المبينـا
واشجىٰ الملك والملكوت رزء ... تـردد عنـده الـرسـل الحنينـا
وأبكىٰ البيـت والأستـار مـنـه ... شجىٰ اذرى المحصب والحجونا

ومـزهق مـرحب ومبيـر عمـرو بـأي رزيـة أمسي طـعـينـاً
وفي المـرحاب أي إمـام عـدل غـداً في مصـرع البلوى رهيناً
ولم يـدفـع عن القـرآن أيـد عـواصم ذلك الخـطر الكمينـا
ولا من كـاشف كرب المعـالي دحى عن ليلة القـدر الشجونـا
إلى من تنـزل الأمـلاك فيهـا ثبىٰ والـروح تقصـده قمينـا
وقـد أودىٰ ملاذا الـرسـل طـراً ويمم للعبـاد نـوى شـطونـا
ونادى الروح ان قد فاض فيهـا إمـام عـلم الـروح الأمـينـا
وإذ عـدت المنيـة كـل رشـد أباحت ذلك الحصن الحصينا
عـشيـة أرقـلت تسعىٰ إلـيـه تغـد السيـر مقلقـة وضينـا
وأبدت في المناهـة من سراهـا على خيـر الورى حـرباً زبـونـا

وقال الأديب الأريب الحاج علي البغدادي رحمه الله :

شهر الصيام بـه الإسلام قـد فجعا وفي رزيتـه قلب الهدى إنصـدعـا
شهر الصيام بكت عين السماء دماً فيـه وجبريـل مـا بين السمـاء نعـا
اليوم في سيف اشقىٰ العالمين هوى شخص الوصي وفي محرابه صرعا
اليـوم مات الهـدى والدين منهـدم وفي ثياب الأسىٰ قد مـات مدرعـا
اليـوم فلتسكب الأيتـام عبـرتهـا ولتترك الصبر لكن تصحب الجزعا
اليـوم في قتله الهـادي وفـاطمـة مـاتا وعليـاً نزار سـورها انصـدعـا
سعت بقتـل وصي المصطفىٰ فئـة على قلوبهم الشيـطان قـد طبعـا
قـد غادر واشمـل دين اللّه مفترقـاً ويـزعمون بقتـل المـرتضىٰ جمعـا
هذا ابن ملجم قد أردىٰ أبـا حسن أهل درى اليوم من أردى ومن صرعا
مـا نـالـه سيف أشقـاهـا بضـربتـه لكنمـا صنـع المقـدور مـا صنعـا
وكيف بـالسيف ما ضلت مضـاربه إذا تسـاقط دون المـرتضىٰ قـطعـا
سيف أُصيب به رأس الوصي لقـد أصاب قلب الهدى والعلم والورعا
مـا بالهـا هجعت عن يومـه مضـر وبعـده الدين والإسـلام ما هجعـا
فلتنـدب الطهـر فهـر نـدب ثـاكلة تساقط الدمع من أحشائها قطعاً

وقال مؤلف هذا الكتاب جعفر بن محمد النقدي عفى عنه :

في السمـاوات رنـة وعـويـل ... من لـه قـام نـاعيـاً جبـرائيـل
أصبح الكون داجي اللون حزناً ... فهـل المـرتضىٰ علي قتيـل
يـا حسامـاً أردى الوصي شبـاه ... فيك قد أردي الهدى والرسـول
والـنبيـون والشـرائـع طـراً ... وأصيب التكـبيـر والـتهـليـل
وبـك الـدين هـد ركنـاً وأودى ... بشبـاك التنـزيـل والتـأويـل
يا ليالي الصيام من كان يحييك ... بـسيـف ابن مـلجـم مـقـتـول
أيهـا المسجـد المعـد لـذكـر ... اللّه ذكـر الإلٰـه فيـك جـديـل
قتلوا في الصلوة من ليس لـلأ ... عمـال إلاَّ بـه يكـون القبـول
خضبت منـه شيبتـه وهـو في ... المحراب عن ذكر ربه لا يحول
حف فيـه الغـر الكـرام بنـوه ... وهـو عنهم بنفسـه مـشغـول
نـدبـوه وفي القـلوب حـريق ... من جوى الحزن والدموع تسيل
يـا قـتيـلا بـكـاه قـرآن طـه ... وبـكـاه التـوراة والإنـجيـل
وبكـاه خيـر النبيين في الجنـ ... ـة حـزنـاً كمـا بكتـه البتـول
يـا ربيـع الأيـام من لـلأيـامى ... واليتامى إن غاب عنهـا الكفيل
من دجىٰ الغي بعد وجهك يجلو ... وجهه عن حمي الهدى ويـزيل

فـصـل

في كرامات جليلة ظهرت من قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام

نقلهـا صاحب المقـامات العـاليـة السيـد عبـد الكـريم بن طـاوس الحسني قدس سره في كتابه (فرحة الغـري) وغيره منهـا ما ظهـر في هذا العصر أو قريب منه .

قـال السيد طـالب ثـراه : أخبـرني عمي السعيـد رضي الـدين ابن طاووس والفقيه نجم الدين أبو القـاسم بن سعيد والفقيـه المقتدي نجيب الـدين يحيىٰ بن سعيد أدام الله بـركتهم عن الفقيه محمـد بن عبـد الله بن زهـرة الحسيني عن محمد بن الحسن العلوي الحسيني السـاكن بمشهـد

الكـاظم عن القـطب الـراونـدي عن محمــد بن علي بن الحسن الحلبي الـطوسي ونقلته من خـطه حرفـاً حرفـاً عن المفيد محمـد بن النعمان عن محمد بن أحمد بن داود عن أبي الحسين محمـد بن تمام الكـوفي قال : حـدثنـا أبـو الحسن علي بن الحسن بن الحجـاج من حفـظه قـال : كنـا جلوساً في مجلس ابن عمي أبي عبد الله محمـد بن عمران بن الحجـاج وفيه جماعة من أهل الكوفة من المشائخ وفيمن حضـر العباس بن أحمـد العباسي ، وكانوا قد حضروا عند ابن عمي يهنـونه بـالسلامـة لأنه حضـر وقت سقـوط سقيفـة سيـدي ومـولاي أبي عبــد الله الحسين بن علي عليه السلام في ذي الحجــة من سنـة ثــلاث وسبعين ومــأتين ، فبينمــا هم قعــود يتحـدثون إذ حضـر المجلس إسماعيـل بن عيسىٰ العبـاسي فلمـا نـظرت الجماعة إليـه أحجمت عما كـانت فيه وأطـال إسماعيـل الجلوس ، فلما نـظر إليهم قـال لهم : يـا أصحـابنـا أعـزكم الله لعلي قــطعت حـديثكم بمجيىء ، قــال أبــو الحسن علي بن يحيى السليمــاني وكــان شيــخ الجماعة ومقدماً فيهم : لا والله يا أبا عبد الله أعزك الله مـا أمسكنا بحـال من الأحوال ، فقال لهم : يـا أصحابنـا إعلموا أن الله عـزّ وجلّ مسـائلي عمــا أقـول لكم ومــا اعتقـده من المــذهب حتى حلف بعتق جـواريــه ومماليكه وحبس دوابـه أنه لا يعتقـد إلاَّ ولاية علي بن أبي طـالب والسادة من الأئمـة عليهم السلام وعـدهم واحـداً واحـداً وســاق الحـديث فـأبسط إليـه أصحـابنا وسـألهم وسألـوه ، ثم قال لهم : رجعنـا يوم جمعـة من الصلاة من المسجـد الجامـع مع عمي داوود فلمـا كان قبـل منازلنـا وقبل منـزله وقـد خلا الـطريق قال لنـا : أينمـا كنتم قبـل أن تغـرب الشمس فصيـروا إلي ولا يكــون أحـد منكم على حــال فيتخلف لأنــه كــان جمــرة بني هـاشم ، فصرنـا إليه آخـر النهار وهـو جالس ينتـظرنا ، فقـال : صيحوا بفـلان وفلان من الفعلة فجـاءه رجلان معمـا التهما والتفت إلينـا فقـال : اجتمعوا كلكم فاركبـوا في وقتكم هذا وخـذوا معكم الحمل غـلاماً كـان لـه أسود يعـرف بالجمـل وكـان لـو حمـل هـذا الغـلام على سكـر دجلة

لسكـرها من شـدته وبـأسه وامضـوا إلى هذا القبـر الذي افتتن بـه الناس ويقولون أنـه قبر علي حتى تنبشـونه وتجيئـوني بأقصىٰ مـا فيه ، فمضينـا إلى المـوضـع فقلنـا دونكم ومـا أمـر بـه فحفـر الـحفـارون وهـم يقـولـون لا حـول ولا قـوّة إلاّ بـالله العلي العـظيم في أنفسهم ونحن في نـاحيـة حتى نـزلـوا خمسـة أذرع ، فلمـا بلغـوا إلى الصـلابـة قـال الحفـارون : قـد بلغنـا إلى مـوضـع صلب وليس نقـوى بنقـره فـأنـزلـوا الحبشي فأخذ المنقار فضرب ضـربة سمعنـا لها طنينـاً شديـداً في البر . ثم ضـرب ثانيـة فسمعنا طنينـاً أشد من ذلـك ، ثم ضرب ثـالثـة فسمعنـا طنيناً أشد مما تقدم ، ثم صـاح الغلام صيحـة فقمنا فـأشرفنـا عليه وقلنـا للذين كانوا معه إسألوه ما باله ؟ فلم يجبهم وهـو يستغيث فشدوه بـالحبل وأخرجوه فإذا على يده من طـرف أصابعـه إلى مرفقـه دم وهو يستغيث لا يكلمنا ولا يجر جواباً فحملنـاه على البغل ورجعنـا طائـرين ولم يزل لحم الغـلام ينتثر من عضـده وجنبه وسـائر شفتـه الأيمن حتى انتهينا إلى عمي فقال : أيش وراكم ؟ فقلنا : ما ترىٰ وحدثناه بـالصورة فـالتفت إلى القبلة وتاب مما هـو عليه ورجـع عن المذهب وتـولىٰ وتبـرأ وركب بعـد ذلك في الليـل إلى علي بن مصعب بن جـابـر فسـألـه أن يعمـل على القبـر صنـدوقـاً ولم يخبـره بشيء ممـا جـرىٰ ووجـه من طم المـوضـع وعمـر الصندوق عليه ومات الغلام الأسود من وقته .

قـال أبـو الحسن بن الحجـاج : رأينـا هـذا الصنـدوق الـذي هـذا حـديثه لـطيفاً وذلـك من قبل أن يبني عليـه الحائط الـذي بناه الحسن بن زيد ، وهذا آخر ما نقلته من خط الطوسي رحمه الله .

ثم قـال السيد رضـوان الله عليه وأخبـرني عبد الـرحمـان الحـربي الحنبلي عن عبـد العزيـز بن الأخضر عن محمـد بن ناصـر السلامي عن أبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون البرسي قال : أخبرني الشـريف أبو عبـد الله الحسين المقـدم ذكـره ، قـال : حـدّثنـا أبـو الحسن محمـد بن الحسن بن عبـد الله الجـواليقي بقـراءة علي لفـظاً وكتبـه لي بخـطه قـال

أخبرنا أبي قال أخبرنا جدي أبو أُمي محمد بن علي بن رحيم الشناني قال : مضيت أنا ووالدي علي بن رحيم وعمي حسين بن رحيم وأنا صبي صغير في سنة نيف وستين ومائتين بالليل ومعنا جماعة مختفين إلى الغري لزيارة قبر مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فلما جئنا إلى القبر وكان يومئذٍ حول قبره حجارة سود ولا بناء حوله عنده وليس في طريقه غير قائم الغري ، فبينا نحن عنده وبعضنا يصلّي وبعضنا يزور إذا نحن بأسد مقبل نحونا فلما قرب منا مقدار رمح قال بعضنا لبعض : أبعدوا عن القبر حتى ننظر ما يريد ، فأبعدنا فجاء الأسد إلى القبر فجعل يمرغ ذراعه على القبر فمضى رجل منا وشاهده وعاد فأعلمنا فزال الرعب عنا وجئنا بأجمعنا حتى شاهدناه يمرغ ذراعه على القبر وفيه جراح فلم يزل يمرغه ساعة ثم إنزاح عن القبر ومضىٰ وعدنا إلى ما كنا عليه من القراءة والصلاة والزيارة وقراءة القرآن .

ومن محاسن القصص ما قرأته بخط والدي قدس الله روحه على ظهر كتاب بالمشهد الكاظمي على مشرفة السلام ما صورته قال : سمعت من شهاب الدين بندار بن ملكدار القمي يقول حدثني كمال الدين شرف المعالي بن غياث القمي ، قال : دخلت إلى حضرة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فزرته وتحولت إلى موضع المسألة ودعوت وتوسلت فتعلق مسمار من الضريح المقدس صلوات الله على مقدسه في قبائي فمزقه فقلت مخاطباً لأمير المؤمنين عليه السلام : ما أعرف عوض هذا إلاَّ منك ، وكان إلى جانبي رجل رأيه غير رأيي ، فقال لي مستهزئاً : ما يعطيك عوضه إلاَّ قبأ ورديا فانفصلنا من الزيارة وجئنا إلى الحلة وكان جمال الدين قشمر الناصري رحمه الله قد هيأ لشخص يريد أن ينفذه إلى بغداد يُقال له ابن مايست قباء وقلنسوة فخرج الخادم على لسان قشمر وقال : هاتوا كمال الدين القمي المذكور فأخذ بيدي ودخل إلى الخزانة وخلع علي قباء ملكياً ورديا فخرجت ودخلت حتى أُسلم على قشمر وأقبل كفه فنظر إليّ نظراً

عـرفت الكراهـة في وجهـه والتفت إلى الخـادم المغضب وقـال : طلبت فـلاناً يعني ابن مـايست ؟ فقال الخـادم : إنما قلت كمـال الـدين القمي وشهد الجماعة الذين كانوا جلساء ، الأمير إنـه أمر بحضـور كمال الـدين القمي المـذكور فقلت أيهـا الأمير مـا خلعت عليَّ أنت هذه الخلعـة بل أميـر المؤمنين خلعها علي فـالتمس مني الحكـايـة ، فحكيتهـا لـه فخـر سـاجـداً وقـال : الحمـد لله كيف كـانت الخلعـة على يـدي ثم شكـره وقـال : تستحق ، هذا آخـر ما حـدث به شهـاب الدين وكتب أحمـد بن طـاووس هـذا آخـر مـا وجـدت بخـطه فنقلتـه ، وروى ذلـك السيـد محمد بن شرفشاه الحسيني عن شهاب الدين بندار أيضاً .

وقـال رحمه الله وجـدت ما صـورته عن العم السعيـد رضي الدين علي بن طـاووس عن الشيـخ حسين بن عبـد الكـريم الغـروي وإن كـان اللفظ يـزيد أن ينقص عمـا وجدتـه مسـطوراً، قـال : كـان قـد وفـد إلى المشهـد الشـريف الغـروي على سـاكنـه السـلام رجـل أعمى من أهـل تكـريت وكان قـد عمي على كبر ، وكـانت عينـاه دلتـا على خـده وكـان كثيراً ما يقعد عند المسألة ويخـاطب الجناب الأشـرف المقدس بخـطاب غير حسن وكنت تارة أهم بـالإنكار عليـه وتارة يـراجعني الفكر بـالصفح عنه فمضى على ذلك مدة ، فإذا أنـا في بعض الأيام قـد فتحت الخزانـة إذ سمعت ضجـة عظيمـة فظننت أنـه قـد جـاء للعلويين بـر من بغـداد أو قتل في المشهد قتيـل فخرجت ألتمس الخبـر فقيل لي هٰهنـا عمي قد رد بصـره فـرجـوت أن يكـون ذلـك الأعمىٰ ، فلمـا وصلت إلى الحضـرة الشريفة وجدته ذلك الأعمىٰ بعينه وعينـاه كأحسن مـا يكون فشكـرت الله تعالىٰ على ذلك قال (ره) : وزاد والدي على هذه الروايـة أنه كـان يقول لـه من جملة كـلامـه كخـطاب الأحيـاء .

قال رحمه الله ؛ ومن هـذا الجنس سمعت والدي قـدس الله روحه يحكي وسمعت والـدي غيـر مـرّة عن الشيـخ الحسين بن عبـد الكـريم

الغـروي رحمـه الله الحكـايـة إلاَّ في ذكـرهـا وإن لم أحقق لفـظه ولكن المعنىٰ منهـا أرويه عنـه واللفظ وجدتـه مرويـاً عن العم السعيد عنـه أنـه كـان ايلغاري أميـراً بالحلة وكـان قد اتفق أنـه نفذ سـرية إلى العـرب ، فلما رجعت السرية نزلـوا حول سـور المشهد الأشـرف المقدس الغـروي على الحـال بـه أفضـل الصلوات والسـلام ، قـال الشيـخ حسين : فخـرجت بعد رحيلهم إلى ذلـك الموضـع الذي كـانـوا فيـه نـزولاً لأمـر عـرض ، فوجـدت كـلابي سـربـوش ملقـاة في الـرمـل فمـددت يـدي وأخذتهما ، فلما صارا في يدي ندمت نـدامة عـظيمة وقلت : أخـذتهما وتعلقت ذمتي بمـا ليس فيه راحـة ، فلما كـان بعد مـدة زمانيـة اتفق أنـه مـاتت عندنـا بـالمشهـد امـرأة علويـة فصلّينـا عليهـا فخـرجت معهم إلى المقبـرة وإذا بـرجـل تـركي قـائم يفتش مـوضعـاً لقيت الكـلابين فقلت لأصحـابي : إعلموا إن ذلـك التركي يفتش على كـلابي سربـوش وهمـا معي في جيبي وكنت لمـا أردت الخروج إلى الصّـلاة على الميت لاحت لي الكـلابان في داري فـأخذتهمـا ثم جئت أنـا وأصحـابي فسلّمت على التـركي وقلت له : على مـا تفتش ؟ قال : أُفتش على كـلابي سـربـوش ضاعت مني منذ سنـة ، فقلت : سبحان الله تضيـع منك منـذ سنة تـطلبه اليوم ؟ قال : نعم اعلم أنني لما دخلت السريـة وكنت معهم فلما وصلنـا إلى خنـدق الكوفـة ذكرنـا الكـلابين فقلت : يـا علي همـا في ضمـانـك لأنهما في حرمـك وأنا أعلم أنهمـا لا يصيبهما شيء ، فقلت لـه : الآن مـا حفظ الله عليك شيئـاً غيرهمـا ، ثم ناولتـه إيـاهمـا واعتقـد أن المـدة كانت سنة .

وقـال رحمه الله : وقفت في كتـاب قـد نقـل عن الشيـخ حسن بن الحسين بـن الطحال المقدادي قال : أخبـرني أبي عن أبيه عن جـده أنه أتـاه رجل مليـح الوجـه نقي الأثواب دفـع إليه دينـارين وقـال لـه : إغلق على القبة وذرني فأخـذها منـه وغلق الباب فنـام فرأى أميـر المؤمنين عليه السلام في منـامه وهـو يقول : أقعـد أخرجـه عني فإنـه نصـراني فنهض علي بن

طحـال وأخذ حبـلاً فوضعـه في عنق الرجـل وقال لـه : أخرج تخـدعني بـالدينـارين وأنت نصراني ؟ فقـال له : لست بنصـراني ، قـال : بلى إن أمير المؤمنين عليه السلام أتاني في المنام وأخبرني أنك نصراني ، وقـال أخرجـه عني ، فقال : أمدد يدك فأنـا أشهد أن لا إلٰـه إلاَّ الله وأن محمداً رسـول الله وأن عليـاً ولي الله ، والله مـا علم أحـد بخـروجي من الشـام ولا عرفني أحد من أهل العراق ، ثم أحسن إسلامه :

علي ولي الـمؤمـنيـن بـذمـة ومالي سواه في الأئمـة مطمـع
له الشرف الأعلىٰ وذو الآية التي يقـربهـا هـذا الخـلائق اجمـع
بـأن علياً أفضـل النـاس كلهم وأورعهم بعـد النبي واشجـع
فلو كنت أهـوى ملة غيـر ملتي لمـا كنت إلاَّ مسلمـاً أتشيـع

قصة أبي البقا ، قيم مشهـد مولانـا أمير المؤمنين عليه السلام : وفي سنـة إحدى وخمسمائة بيع الخبـز المشهد الشـريف الغروي كـل رطل بقيـراط بفي أربعين يـومـاً ، فمضى القـوام من الضـر على وجـوههم إلى القـرى وكـان من القوام رجـل يُقال لـه أبو البقـا ابن سويقـة وكان لـه من العمـر مائة وعشر سنين ، فلم يبق من القوام سواه فاضـر به الحـال ، فقالت لـه زوجتـه وبنـاتـه : هلكنـا امضِ كمـا مضي القـوام فلعـل الله يفتـح شيئـاً نعيش به فعزم على المضي فـدخل إلى القبـة الشريفـة صلوات الله على صاحبها وزار وصلّى وجلس عنـد رأسه الشـريف وقال : يـا أمير المؤمنين لي في خـدمتـك مـائـة سنـة مـا فـارقتـك مـا رأيت الحلة ، ومـا رأيت السكـون ، وقد أضـرَّ بي وبأطفـالي الجوع وهـا أنا مفـارقـك ويعـز علي فراقك أستودعك هذا فراق بيني وبينـك ، ثم خرج ومضي مـع المكاريـة حتى يصيـر إلى الموقف وسـوراء في صحبته وهبـان السلمي وأبو كـردان وجمـاعة من المكـاريـة طلعـوا من المشهـد بليـل وأقبلوا إلى أبي هبيش فقال بعضهم لبعض : هذا وقت كثير فنزلـوا ونزل أبـو البقا معهم فنـام ، فرأى أمير المؤمنين عليه السلام وهـو يقول : يـا أبا البقـا فارقتني بعـد طول هـذه المدة عد إلي حيث كنت ، فانتبه بـاكياً ، فقيـل له : مـا يبكيك ؟ فقص

عليهم المنام ورجع ، فحيث رأينه بناته صرخن في وجهه فقص عليهن القصة وطلع وأخذ مفتاح القبة من الخازن أبي عبد الله بن شهريار القمي وقعد على عادته وبقي ثلاثة أيام ففي اليوم الثالث أقبل رجل وبين كتفيه مخلاة كهيئة المشاة إلى طريق مكة ، فحلها وأخرج منها ثياباً لبسها ودخل إلى القبة الشريفة وزار وصلّى ودفع إليّ ديناراً وقال : أئت بطعام نتغدى فمضى القيم أبو البقا وأتى بخبز ولبن وتمر ، فقال له : ما يوافق لي هذا ولكن أمضِ به إلى أولادك يأكلونه وخذ هذا الدينار الآخر واشتر لنا به دجاجاً وخبزاً ، فأخذت له بذلك فلما كان وقت صلاة الظهر صلّى الظهرين وأتى إلى داره والرجل معه فإحضر الطعام وأكلا وغسل الرجل يديه وقال لي : إئتني بأوزان الذهب فطلع القيم أبو البقا إلى زيد بن واقصة وهو صائغ على باب دار التقي بن أسامة العلوي النسابة فأخذ الصينية وفيها أوزان الذهب وأوزان الفضة فجمع الرجل جميع الأوزان فوضعها في الكفة حتى الشعير والأرز وحبة الشبه وأخرج كيساً مملوءاً ذهباً وترك منه بحذاء الأوزان وصبه في حجر القيم ونهض وشد ما تخلف معه ومد مداسه فقال له القيم : يا سيدي ما صنع بهذا ؟ فقال له : هو لك الذي قال لك ارجع إلى حيث كنت ، قال : لي أعطه حذاء الأوزان ولو جئت بأكثر من هذه الأوزان لأعطيتك . فوقع القيم مغشياً عليه ومضى الرجل فزوج القيم بناته وعمر داره وحسنت حاله .

قصة البدوي

مع شحنة الكوفة

وفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة كان الأمير مجاهد الدين سنقر أمر بقطع الكوفة وقد وقع بينه وبين بني خفاجة ، فما كان أحد منهم يأتي إلى المشهد ولا غيره إلاَّ وله طليعة فأتي فارسان فدخل أحدهما وبقي الآخر طليعة فخرج سنقر من مطلع الرهيمي وأتى مع السور ، فلما بصر به الفارس نادى لصاحبه جاءت العجم تحته سابق

من الخيل ، فأفلت ومنعوا الآخر أن يخرج من الباب واقتحموا وراءه فدخل راكباً ، ثم نزل عن فرسه قدام باب السلام الكبير البراني فمضت الفرس فدخلت في باب ابن عبد الحميد النقيب ابن أسامة ودخل البدوي ووقف على الضريح الشريف ، فقال سنقر : إئتوني به فجاءت المماليك يجذبونه من الضريح الشريف وقد لزم البدوي برمانة الضريح وقال : يا أبا الحسن أنا عربي وأنت عربي وعادة العرب الدخول وقد دخلت عليك لا يا أبا الحسن دخيلك دخيلك وهم يكفون أصابعه عن الرمانة الفضة وهو ينادي ويقول لا تخفر ذمامك يا أبا الحسن فأخذوه ومضوا به فأراد أن يقتله فقطع على نفسه مأتي دينار وحصان من الخيل الذكور ، فكفله ابن بطن الحق على ذلك ومضىٰ ابن بطن الحق يأتي بالفرس والمال ، فلما كان الليل وأنا نائم مع والدي محمد بن الطحال بالحضرة الشريفة وإذا بالباب يطرق فنهض والدي وفتح الباب وإذا أبو البقاء بن الشيرجي السواري ومعه البدوي وعليه جبة حمراء وعمامة زرقاء ومملوك على رأسه منشفة مكورة يحملها فدخلوا القبة الشريفة حين فتحت ووقفوا قدام الشباك وقال : يا أمير المؤمنين عبدك سنقر يسلم عليك ويقول لك إلى الله وإليك المعذرة والتوبة وهذا دخيلك وهذا كفارة ما صنعت ، فقال له والدي : ما سبب هذا ؟ قال : إنه رأى أمير المؤمنين عليه السلام في منامه وبيده حربة وهو يقول له والله لئن لم تخل سبيل دخيلي لأنتزعن نفسك على هذه الحربة وقد خلع عليه وأرسله ومعه خمسة عشر رطلاً فضة بعيني رأيتها وهي سروج وكيزان ورؤوس أعلام وصفائح فضة ، فعملت ثلاث طاسات على الضريح الشريف صلوات الله على مشرفه وما زالت إلى أن سكت في هذه الحلية التي عليه الآن ، وأما البدوي وابن بطن الحق فرأى أمير المؤمنين في منامه في البرية وهو يقول له : إرجع إلى سنقر فقد خلي سبيل البدوي والذي كان قد أخذه فرجع إلى المشهد واجتمع بالأسير المطلق هذا رأيته سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

قصـة السيف

الذي سرق من الحضرة الشريفة وظهر فيما بعد

قال : وفي سنة أربع وثمانين وخمسمائة في شهـر رمضان المبـارك كانوا يأتون مشـائخ زيـدية من الكـوفة كـل ليلة يزورون الإمـام عليه السلام وكان فيهم رجـل يُقـال لـه عبـاس الأمـعـص قـال ابن الـطحـال وكـانت نـوبـة الخـدمـة تلك الليلة عليّ فجـاؤوا على العـادة وطـرقـوا البـاب ففتحت وفتحت باب القبة الشريفة وبيـد عباس سيف فقـال لي : أين أطرح هـذا السيف فقلت أُطـرحه في هـذه لزاويـة وكان شـريكي في الخـدمـة شيـخ كبير يقال له بقا بـن عنقـود فوضعـه ودخلت فاشعلت لهم شمعـة وحركت القناديل وزاروا وصلوا وطلعـوا وطلب عباس السيف ، فلم يجـده فسألني عنه فقلت له : مكانه فقال : ما هـو هٰهنا ، فـطلبه فمـا وجده وعـادتنا أن لا نخلي أحد ينام بـالحضرة سـوى أصحاب النـوبة فلمـا يئس منه دخـل وقعـد عند الـرأس وقال : يـا أمير المؤمنين أنـا وليـك عبـاس واليـوم لي خمسـون سنـة أزورك في كـل ليلة في رجب وشعبـان ورمضـان والسيف الـذي معي عاريـة وحقك إن لم تـرده عليّ ما رجعت زرتـك أبـداً وهـذا فـراق بيني وبينـك ومضىٰ ، فـأصبحت فـأخبـرت السيـد النقيب السعيـد شمس الـدين علي بن المختـار فضجـر عليّ وقـال : ألم انهكم أن ينـام أحـد بالمشهـد سـواكم فـاحضـرت الختمـة الشـريفـة وأقسمت بهـا أنني فتشت المـواضع وقلبت الحصـر وما تـركت أحداً عنـدنا فـوجد من ذلـك أمـراً عظيمـاً وصعب عليـه ، فلمـا كـان بعـد ثـلاثـة أيـام وإذا أصـواتهم بـالتكبيـر والتهليـل ففتحت لهم البـاب على جـاري عـادتي وإذا بعبـاس الأمعص والسيف معه ، فقال : يا حسن هذا السيف فـالزمـه ، فقلت : أخبرني خبره ؟ قال : رأيت مولانـا أمير المؤمنين عليه السلام في منـامي وقد أتي إليّ وقـال : يـا عبـاس لا تغضب إمضِ إلى دار فـلان بن فـلان إصعـد الغـرفـة التي فيهـا التبن وبحيـاتي عليـك لا تفضحـه ولا تعلم بـه أحـداً فمضيت إلى النقيب شمس الـدين فأعلمتـه بذلـك فطلع في السحـر إلى

الحضـرة وأخذ السيف منـه وحكى له ذلـك ، فقال :لا أعـطيـك السيف حتى تَعلمني من كان آخذه ؟ فقال له عباس : يا سيـدي يقول لي جـدك بحيـاتي عليك لا تفضحـه ولا تعلم به أحـداً وأخبرك ، ولم يعلمـه ومات ولم يعلم أحـداً من الآخـذ للسيف ، وهـذه الحكـايـة أخبـرنـا بمعنـاهـا المذكور القـاضي العالم الفـاضل المـدرس عفيف الدين ربيـع بن محمد الكوفي عن القاضي الـزاهد علي بن بـدر الهمداني عن عبـاس المذكـور يوم الثلاثاء خامس عشر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائة .

قصـة لطيفـة

قـال : وفي سنة تسـع وثمانين وخمسمـائة كـانت نوبتي أنـا وشيخ يُقـال له أبـو الغنائم بن كـدونا وقـد أغلقت الحضرة الشـريفة صلوات الله على صـاحبها فـإذا وقع في مسـامعي صوت أحـد أبـواب القبـة فـارتعت لـذلـك وقمت ففتحت البـاب الأول ودخلت إلى بـاب الـوداع فلمست الأقفال فوجدتها على ما هي عليه ومشيت إلى الأبواب أجمع فوجدتها بحالها وكنت أقول والله لو وجدت أحداً للزمته، فلمـا رجعت طالعـاً وصلت إلى الشباك الشريف وإذا رجـل على ظهر الضـريح أحققـه في ضوء القنـاديل فحين رأيته أخذتني القعقعـة والرعـدة العظيمـة ورنى لساني في فمي إلى أن صعـد إلى سقف حلقي فلزمت بكلتـا يـدي عمـود الشبـاك والصقت منكبي الأيمن في ركنـه وغاب وجـدي عني ساعـة ، وإذا همهمة الـرجل ومشيـه على فرش الصحن بـالقبة تحـريك الختمـة الشريفـة بالـزاوية من القبـة وبعد سـاعة رد روعي وسكن مـا عندي ، فنـظرت فلم أره فرجعت حتى أطلع وجدت الباب المقابل باب الحضرة للنساء قد فتـح منه مقـدار شبـر فرجعت إلى بـاب الوداع ففتحت الأقفـال والأغلال ودخلت أغلقتـه من داخل فهذا ما رأيته وشاهدته .

قصـة أخـرى

وقال أيضاً : أن رجلاً يُقال لـه أبو جعفـر الكناتيني سـأله رجـل أن

يدفع إليه بضاعة فلما ألح عليه أخرج ستين ديناراً وقال له : إشهد لي يا أمير المؤمنين بذلك فأشهده عليه بالقبض والتسليم ، ففعل ذلك فلما قبض المبلغ بقي ثلاث سنين ما أعطاه شيئاً وكان بالمشهد رجل ذو صلاح يُقال له مفرج فرأى في المنام كان الذي قبض المال قد مات وقد جاؤوا به على العادة ليدخلوا الحضرة الشريفة صلوات الله على صاحبها ، فلما وصلوا إلى الباب طلع أمير المؤمنين عليه السلام إلى القبة وقال : لا يدخل هذا البناء ولا يصلّي أحد عليه ، فتقدم ولد له يُقال له يحيى ، فقال : يا أمير المؤمنين وليك قال صدقت ولكن أشهدني عليه لأبي جعفر الكناتيني بمال ما أوصله إليه ، فلما أصبح مفرج أخبرنا بذلك فدعونا أبا جعفر وقلنا له أي شيء لك عند فلان ؟ قال : مالي عنده شيء ، فقلنا له : ويحك شاهدك إمام ؟ قال : ومن شاهدي ؟ فقلنا له : أمير المؤمنين فوقع على وجهه يبكي فأرسلنا إلى الرجل الذي قبض المال ، فقلنا له : أنت هالك فأخبرناه بالمنام فبكي ومضي فأحضر أربعين ديناراً فسلمها إلى أبي جعفر وأعطاه الباقي .

قصة أخرى

وحكى علي بن مظفر النجار قال : كانت لي حصة في ضيعة فقبضت مني غضباً ، فدخلت إلى أمير المؤمنين عليه السلام شاكياً وقلت : يا أمير المؤمنين إن ردت هذه الحصة عليّ عملت هذا المجلس من مالي ، فردت الحصة عليه فغفل مدة فرأى أمير المؤمنين عليه السلام في منامه وهو قائم في زاوية القبة وقد قبض على يده وطلع حتى وقف على باب الوداع البراني وأشار إلى المجلس وقال : يا علي يوفون بالنذر ، فقال له : حباً وكرامة يا أمير المؤمنين وأصبح يشتغل في عمله .

قصة أخرى

قال : سمعت بعض من أثق به يحكي عن بعض الفقهاء عن القاضي بن بد الهمداني وكان زيدياً صالحاً متعبداً توفي في رجب سنة

ثلاث وستين وستمائة ودفن بالسهلة . قال كنت بالجامع بالكوفة وكانت ليلة مطيرة فدق باب مسلم جماعة فذكر بعضهم أن معهم جنازة فادخلوها على الصفة التي تحاذي باب مسلم بن عقيل (رض) ، ثم أن أحدهم نعس فرأى في منامه كأن قائلاً يقول لآخر : ما نبصره هل لنا معه حساب وينبغي أن نأخذه منه معجلاً قبل أن يتعدى الرصافة فما يبقىٰ لنا معه طريق ، فانتبهت وحكيت لهم المنام وقلت لهم : خذوه معجلاً فأخذوه ومضوا في الحال .

وقال رحمه الله في ذلك الكتاب : ذكر إبراهيم بن علي بن محمد بن بكروس الدينوري في كتاب : نهاية الطلب وغاية السؤول في مناقب آل الرسول ، وقد اختلفت الروايات في قبر أمير المؤمنين عليه السلام والصحيح أنه مدفون في الموضع الشريف الذي على النجف الآن ويقصد ويزار وما ظهر لذلك من الآيات والآثار والكرامات أكثر من أن تحصىٰ ، وقد أجمع الناس عليه على اختلاف مذاهبهم وتباين أقوالهم وقد كنت في النجف ليلة الأربعاء ثالث عشر ذي الحجة سنة سبع وتسعين وخمسمائة ونحن متوجهون نحو الكوفة بعد أن فارقنا الحاج بأرض النجف ، وكانت ليلة مصحية كالنهار وكان من الوقت ثلث الليل فظهر نور دخل القمر في ضمنه ولم يبق له أثر وكان يسير إلى جانبي بعض الأخيار وشاهد ذلك أيضاً ، فتأملت سبب ذلك وإذا على قبر أمير المؤمنين عليه السلام عمود من نور يكون عرضه في رأي العين نحو الذراع وطوله عشرون ذراعاً ، وقد نزل من السماء وبقي على ذلك حدود ساعتين ما زال يتلاشىٰ على القبة حتى اختفىٰ عني وعاد نور القمر على ما كان عليه ، وكلّمت الجندي الذي كان على جانبي فوجدته قد ثقل لسانه وما زلت به حتى عاد لما كان عليه وأخبرني أنه شاهد مثل ذلك ، ثم ذكر السيد قدس سره أن هذا باب متسع لو ذهبنا إلى جميع ما قيل فيه لضاق عنه الوقت ولظهر العجز عن الحصر .

قال : مؤلف هذا الكتاب جعفر بن محمد النقدي عفى عنه وأنا

أذكر بعضاً من هذه الكرامات التي ظهرت بعد عصر هذا السيّد الأجل أو قبل عصره ولم تذكر في كتاب .

فمن ذلك ما شاع وذاع وذكره جماعة في مؤلفاتهم وهي قصة الخليع الشاعر المعروف وابن حماد وتفصيلها : أن الشاعر المعروف بالخليعي نظم قصيدة في مدح أمير المؤمنين عليه السلام وأنشدها بباب الروضة المقدسة فأكرم من قبل أمير المؤمنين عليه السلام بخلعه غراء وقعت على كتفه وشيء ستر من باب الروضة، ولما اجتمع بالشاعر المعروف بابن حماد أفتخر عليه وقال له : أنا أعز منك عند أمير المؤمنين عليه السلام لأني مدحته بقصيدة واحدة فاستوجبت منه هذا الإكرام وأنت في كل يوم تمدحه بقصيدة ولم يعطك شيئاً ، فقال له ابن حماد : أنا لم أطلب منه ولو طلبت لأعطاني ما أُريد ، وبعد النزاع والمفاخرة استقر رأيهما أن ينظم كل واحد منهما قصيدة في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ويطلب منه أن يبيّن له مقامه عنده عليه السلام ويودعان القصيدتين في ضريحه الأقدس فنظماهما وأودعاهما وبعد المراجعة وجدا أنه عليه السلام كتب تحت قصيدة الخليعي بماء الذهب أحسنت وكتب تحت قصيدة ابن حماد بماء الفضة أحسنت فانكسر ابن حماد ، واغتم غماً شديداً ، فلما جن عليه الليل ونام رأى في منامه أمير المؤمنين عليه السلام يقول له : يابن حماد لا يهمك ما رأيت فإن صاحبك جديد الإيمان ففي غد جئني بشعر حتى أجيبك ، فنظم قصيدة .

ولما بلغ في إنشادها إلى بيت يقول فيه :

(من قتل مرحباً وابن ود)

أتاه الجواب أنا أنا ، فحمد الله على هذه النعمة وكان الخليعي منحرفاً عن أمير المؤمنين عليه السلام في بدء أمره ، ثم استبصر وصار شاعر أهل البيت عليهم السلام .

ومن ذلك أن السيد محمد الشريف الكاظمي ابن السيد فلاح

الحسيني كـان فاضـلاً أديباً شـاعراً وكـان من سـروات بني هـاشم وذوي كراماتهم ، حـدثني جماعـة من مشائخي أنـه إحتاج إلى بعض الـدراهم وهــو في النجف الأشـرف فقصــد أميـر المؤمنين وجلس في الــروضــة المقدسة أمام قبره الشريف وأنشأ :

أبــا حسن ومثلك مـن ينــادى لكشف الضـر والهول الشـديد
أتصرع في الوغىٰ عمرو بن ود وتقتــل مـرحبــاً بـطل اليهــود
وتسقىٰ أهـل بـدر كـأس حتف مـصبــرة كـعتبــة والــولـيــد
وتجـري النهـروان دمـاً عبيـطاً بقتـل المـارقين ذوي الجحـود
وتابىٰ أن تكف جيوش عسـري وتنصـرني على الـدهـر العنيـد
فها هو قـد أراني الشهب ظهراً وحـرم نـاظـري طيب الهجـود
أتـرضـى أن يكدر صفـو عيشي وتصبــح أنت في عيش رغيـد
تنعم في الـجنــان خـلي بــال ومني القلب في جهــد جهيـد
أمـا قـد كنت تؤثـر قبـل هــذا ببذل القوت في القحط الشديد
فكيف أخيب منــك وأنت مثـر جـواهر كـدرت عيش الحسـود
فـمـن در ويــاقــوت ولــعــل والـمــاس يلوح عـلى عـقــود
ومن قنــديـل تبــريــات يجلو سنــاه الهم من قلب الــوفــود
فجـدلي يـا علي ببعض هــذا فـإن التبـر عنـدك كـالصعيـد
ولي يـا بن الكـرام عليـك حق رثـاء سليلك الـظامي الشهيـد
فكم أجــريت من دمـع عليــه وكم فـطرت قلبـاً كـالحـديـد
فكن في هــذه الـدنيــا معيني وكن لي شــافعـا يــوم الـورود

فلما أنتهىٰ بها سقط عليـه قنديـل ذهب فأخـذ من يده وعلق فـوقع عليه ثانيـاً فأخـذه ومضىٰ ولم يتعرضـه أحد ، وقـد ذكرت بهـذه الحكايـة نـادرة للفاضـل الشيخ محمـد صـالـح آل محي الـدين النجفي وهـو أنـه رحمـه الله إحتـاج يـومـاً إلى بعض الـدراهم فـوقف عنـد ضـريــح أميـر المؤمنين عليه السلام وأنشأ يقول :

فجــدلي يـا علي يجــزء تبــر فــإن التبـر عنــدك كـالتــراب

فـإن لم تعـطني تبـراً فـإني أغيـر ملتـي وأصيـر بـابـأي

فسمعه بعض العلماء فأخذه معه وأجازه بعشر ليرات عثمـانية وقـال له : هذا من أمير المؤمنين عليه السلام .

ومن ذلك فتحه عليه السلام باب روضته المقـدسة لأهـل البحرين كمـا في مزار البحار وفتحـه باب سـور النجف للزوار والأعراب مـراراً وكراراً كمـا هو معلوم لدى أهل النجف .

ومن ذلك ظهور النور مراراً من الروضة المقـدسة وذكـر بعضها في فرحة الغري في ضمن القصص الكثيرة .

ومن ذلك قتله الوهابية حين أتوا لتخريب النجف الأشـرف وإنشاد بعض أهل العلم أبياتاً باللسان العامي منها (سموك حـامي الحمى وتريـد إلك حماي) .

ومن ذلـك قتله مرّة بن قيس حين جـاء لتخريب قبـره الشريف وقـد ذكر القصة شيخنا النوري في كتابه دار السلام ، وذكر قصصـاً أمثال هـذه القصة فليراجعها من شاء في الكتاب المذكور .

ومن ذلـك مـا شـاع وذاع ونقله جمـاعـة في كتبهم منهم العـلامـة المجلسي في مـزار البحار واللفظ لـه قال (ره) تـواترت الأخبـار ونـظمـوا في الأشعـار وشاع في جميـع الأصقاع والأقـطار واشتهر اشتهـار الشمس في رائعة النهار وكان بالقـرب من تاريـخ الكتابـة سنة إثنتين وسبعين بعـد الألف من الهجـرة وكانت كيفيـة تلك الواقعـة على ما سمعتـه من الثقاة أنه كان في المشهد الغروي عجوز تسمىٰ بمريم وكانت معروفـة بالعبـادة والتقـوىٰ فمرضت مـرضاً شـديداً وامتـد بها حتى صـارت مقعـدة مـزمنـة وبقيت كـذلك قـريباً من سنتين بحيث أشتهـر أمرهـا وكـونهـا مـزمنـة في الغري ، ثم أنها لتسـع ليال خلون من رجب تضـرعت لدفـع ضرهـا إلى الله تعـالىٰ واستشفعت بمـولانـا أميـر المؤمنين صلوات الله عليـه وشكت

إليـه عليه السلام في ذلك ، ونـامت فـرأت في منـامهـا ثـلاث نسوة دخلن إليهـا واحـدتهن كالقمـر ليلة البدر نـوراً وصفاء وقلن لهـا لا تخافي ولا تحـزني فإن فرجك في ليلة الثاني عشر من الشهر المبـارك فانتبهت فـرحة وقصت رؤيـاها علي من حضـرها وكـانت تنتظر ليلة ثـاني عشر رجب فمـرت بها ولـم تـر شيئاً ، ثم تـرقبت ليلة الثاني عشـر شعبان فلم تـر شيئـاً أيضـاً ، فلما كانت ليلة تاسع شهر رمضان رأت في منـامها تلك النسـوة بأعيـانهن وهن يبشـرنهـا فقلن لهـا : إذا كـانت ليلة الثـاني عشـر من هــذا الشهـر فـامضِ إلىٰ روضـة أميـر المؤمنين صلوات الله عليـه وارسلي إلى فـلانـة وفلانة وفلانة وسمين نسوة معروفـات وهن باقيـات إلى حين هذا التحـرير واذهبي بمن معـك إليها ، فلمـا أصبحت قصت رؤياهـا وبقيت مسـرورة مستبشـرة بذلـك إلى أن دخلت تلك الليلة فأمـرت بغسل ثيـابها وتـطهيـر جسـدها وأرسلت إلى تلك النسـوة ودعتهن فـأجبن وذهبن بهـا محمـولـة لأنهـا كـانت لا تقـدر على المشي ، فلمـا مضى قـريب من ربـع الليـل خـرجت واحدة منهن واعتـذرت منها وبقيت معهـا إثنتـان وانصـرف منهن جميـع من حضر الـروضة المقـدسـة وغلقت الأبـواب ولم يبق في الرواق غيرهن ، فلما كان وقت السحر أرادت صاحبتاهـا أكل السحـور أو شرب التتن ، فـاستحيتا من الضـريح المقـدس فتركتـاها عنـد الشباك المقـابل للضـريح المقـدس في جـانب القبلة وذهبتـا إلى البـاب الـذي في جهـة الخلف ويفتـح إلى الصحن وخلفه الشبـاك فدخلتـا هناك وأغلقتـا البـاب لحاجتهما ، فلما رجعتا إليها بعد قضاء وطرهما لم تجداهـا في الموضـع الـذي تـركتـاهـا ملقـاة فيـه فتحيـرتـا فمضتـا يميناً وشمـالاً فـإذا بهـا تمشي في نهاية الصحـة والاعتدال فسـألتاهـا عن حالهـا وما جـرى عليها فـأخبرتـهمـا أنكما لمـا أنصرفتمـا عني رأيت تلك النسوة الـلاتي رأيتهن في المنـام أقبلن وحملنني وأدخلنني داخـل القبـة المنـورة وأنـا لا أعلم كيف دخلت ومن أين دخلت ، فلمـا قـربت من الضـريـح المقـدس سمعت صـوتاً من القبـر يقول حـركن المرأة الصالحـة وطفن بها ثـلاث

مـرّات فطفن بي ثـلاث مرّات حـول القبر ثم سمعت صـوتاً آخـر أخرجن من بـاب الفرج فـأحرجنني من الجـانب الغـربي الـذي يكـون خلف من يصلّي بين البابين بحذاء الـرأس وخلف الباب شبـاك يمنة الإستـطراق ، ولم يكن الباب معروفـاً قبل ذلـك بهذا الاسم قـالت : فالآن مضين عني وجئتمـاني وأنا لا أرىٰ بي شيئـاً من المـرض والألم والضعف ، وأنـا في غاية الصحة والقوة ، فلمـا كان آخـر الليل جـاء خازن الحضـرة الشريفـة وفتـح الأبـواب فـرآهن يتمشين بحيث لا تتميـز واحـدة منهن . قـال المجلسي (ره) : وإني سمعت من المـولىٰ الصالـح التقي مولانـا محمد طـاهر الـذي بيـده مفـاتيـح الـروضـة المقـدسـة ومن جمـاعـة كثيـرة من الصلحاء الذين كانوا حاضرين في تلك الليلة في الحضـرة الشريفـة أنهم رأوها في أول الليلة محمولـة عند دخـولها وفي آخـر الليل سـائرة أحسن ما يكون عند خروجهـا . قال رحمـه الله : والحمد لله على كـرامة أميـر المؤمنين صلوات الله عليه لتقر أعين أولياءه وتـرغم أنوف أعـداءه وأمثـال ذلك كثيرة لو أردنا ذكرها لطال الكتاب .

ومن ذلـك ما بلغ حـد التواتـر لدىٰ مشـايخ النجف ونقله الفـاضل النوري عن السيّد مرتضىٰ النجفي ونقلناه باختصار وهـو أن الزاهـد الورع العالـم الشيخ مهدي ملا كتاب طاب ثراه . كان جالساً عنـد باب الـرحمة في الصحن المقـدس وحولـه جماعـة من أهل العلم فجلس إليـه العـالم التقي الشيـخ جـواد العـاملي وعليـه آثـار الحـزن ، فسـألـه الشيـخ عن حـاله ؟ فقـال : إن رجلاً في السـوق يطلبني ثـلاثين شاميـاً وقـد طـالبني بخشـونـة ولا أتمكن من إعـطائـه شيئـاً ، فقـال الشيـخ : لا تهتم فـإنـه علي ، فقال الجماعة : على سبيل المـداعبة وهم يعلمـون أن ليس عنده شيء من أين لـك مـا قلت إلاَّ أن تحـولـه على الصـراف اليهـودي ؟ فقال : نعم أحوله على الصراف الحقيقي قم يـا شيخ جـواد فقد أحلتـك على أميـر المؤمنين ، فـاقبض منـه ، ولمـا كـانـوا يعلمـون أن الشيـخ لا يقـول نكـراً قـال الشيـخ جـواد : قبلت الحـوالـة وقـام ودخـل الحضـرة

الشـريفة ، فمـا كانت إلاَّ سـاعة وإذا بـه قـد رجـع والمجلس بحـالـه لم يتفـرق وبيده كيس فيـه ثلاثـون شاميـاً وقال : لمـا دخلت البـاب الثـاني قلت يـا أميـر المؤمنين إني لم آت إليـك زائـراً وإنـك تعلم ذلـك وإنمـا جئتك من جهة الشيـخ مهدي . قـال فقبلت العتبة وأخـذت في الرجـوع ،فلمـا مشيت خطوات وإذا بشخص يقـول خذ هـذا فإنـه حوالـة الشيـخ فـالتفت فناولني هـذا . ثم التفت فلم أجـده في الـرواق ولا في الايـوان وهذا من فضل الله تعالىٰ فكبر الحاضرون جميعاً .

ومن ذلـك ما حـدثني به جمـاعة شـاهـدوا القصـة وكلهم ثقـاة أن ناصبياً أراد في يوم الغدير أن يدخل الحضرة المقـدسة بنعـاله ، فعـارضه الكشوان فشتمه ودخل ، فلما وصـل الإيوان وقـابل الضـريح إنقلب على قفاه وعرضت له حالـة جنون وأخبـر أن سيداً خـرج من الروضـة وضربـه بإصبعه ومات بعد يـومين وقد أرخ القصـة الشيخ أحمـد قفطان بقـوله من أبيات :

صـاحب الروضـة أرخ أسد قبـل أن يدخلهـا قد سـطره

ومن ذلك تجدد كرامات لـه عليه السلام في كل عـام كما في الكلمـة التي ذكـرها الـرحالـة ابن بطوطـة في رحلته المسمـاة تحفة النـظار في غرائب الأمصار قال في الجـزء الأول منها عنـد زيارتـه النجف الأشرف ، وهـذه الروضة ظهـرت لها كـرامات ثبت بهـا عندهم أن بهـا قبر علي رضي الله عنه ، فمنها أن في ليلة السـابع والعشـرين من رجب وتسمىٰ عندهم ليلة المحيا يؤتي إلى تلك الروضـة بكل مقعـد من العراقين وخـراسان وبـلاد فـارس والروم فيجتمـع منهم الثلاثـون والأربعون ونحـو ذلك ، فـإذا كان بعد العشاء الآخرة جعلوا فوق الضريح المقدس والناس ينتـظرون قيامهم وهم مـا بين مصل وذاكـر وتال ومشـاهد للروضـة ، فإذا مضىٰ من الليـل نصفه أو ثلثاه أو نحو ذلك قام الجميع أصحـاء من غير سـوء هم يقولـون لا إله إلاَّ الله محمد رسـول الله علي ولي الله وهذا أمـر مستفيض عندهم

سمعته من الثقاة ولم أحضر تلك الليلة لكني رأيت بمدرسة الضياف ثلاثة من الرجال أحدهم من أرض الروم والثاني من أصبهان والثالث من خراسان وهم مقعدون فاستخبرتهم على شأنهم ، فأخبروني أنهم لم يدركو اليلة المحيا وأنهم منتظرون أوانها من عام آخر وهذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد ويقيمون سوقاً عظيمة مدة عشرة أيام إلى أن قال ومن الناس في بلاد العراق وغيرها من يصيبه المرض فينذر للروضة نذراً إذا برىء . ومنهم من يمرض رأسه فيصنع رأساً من الذهب أو فضة ويأتي به إلى الروضة فيجعله النقيب في الخزانة وكذلك اليد والرجل وغيرهما من الأعضاء وخزانة الروضة عظيمة فيها من الأموال ما لا يضبط لكثرته انتهىٰ .

وكانت زيارة هذه الرحالة في سنة ٧٢٥ من الهجرة ولنختم هذا الفصل بقصة ذكرها جماعة من العلماء في مؤلفاتهم عن زيد النساج قال : كان لي جار وهو شيخ كبير عليه آثار النسك والصلاح وكان يدخل إلى بيته ويعتزل عن الناس ولا يخرج إلاَّ يوم الجمعة ، قال زيد : فمضيت يوم الجمعة إلى زيارة زين العابدين عليه السلام فدخلت إلى مشهده وإذا أنا بالشيخ الذي هو جاري قد أخذ من البئر ماء وهو يريد أن يغتسل غسل الجمعة والزيارة ، فلما نزع ثيابه وإذا في ظهره ضربة عظيمة أكبر من شبر وهي تسيل قيحاً ومدة فاشمأز قلبي منها ، فحانت منه التفاتة فرآني فخجل فقال لي : أنت زيد النسج ؟ فقلت : نعم ، فقال : يا بني عاوني على غسلي ، فقلت : لا والله لا أعاونك حتى تخبرني بقصة هذه الضربة التي بين كتفيك ومن كف من خرجت وأي شيء كان سببها ؟ فقال لي : يا زيد أخبرك بها بشرط أن لا تحدث بها أحداً من الناس إلاَّ بعد موتي ، فقلت : لك ذلك ، فقال : عاوني على غسلي ، فإذا لبست أطماري حدثتك بقصتي ، قال زيد : فساعدته فاغتسل ولبس ثيابه وجلس في الشمس وجلست إلى جانبه وقلت له : حدثني يرحمك الله ؟ فقال لي : إعلم إنا كنا عشرة أنفس

قد تواخينا على الباطل وتوافقنا على قطع الطريق وارتكاب الآثام وكانت بيننا نوبة نديرها في كل ليلة على واحد منا ليصنع لنا طعاماً نفيساً وخمراً عتيقاً وغير ذلك ، فلما كانت الليلة التاسعة وكنا قد تعشينا عند واحد من أصحابنا وشربنا الخمر ، ثم تفرقنا وجئت إلى منزلي ونمت ، أيقظتني زوجتي وقالت لي : إن الليلة الآتية نوبتها عليك وما عندنا في البيت حبة من الحنطة ، قال : فانتبهت وقد طار السكر من رأسي وقلت كيف أعمل وما الحيلة وإلى أين أتوجه ؟ فقالت لي زوجتي : الليلة ليلة الجمعة ولا يخلو مشهد مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام من زوار يأتون إليه يزورونه فقم وامضِ واكمن على الطريق فلا بد أن ترىٰ أحداً تأخذ ثيابه وتبيعها وتشتري شيئاً من الطعام لتتم مروتك عند أصحابك وتكافيهم على صنيعهم ، قال : فقمت وأخذت سيفي وجحفتي ومضيت مبادراً وكمنت في الخندق الذي في ظهر الكوفة وكانت ليلة مظلمة ذات رعد وبرق فأبرقت برقة فإذا أنا بشخصين مقبلين من ناحية الكوفة ، فلما قربا مني أبرقت برقة أُخرىٰ فإذا هما امرأتان ، فقلت في نفسي في مثل هذه الساعة تأتيني امرأتان ، ففرحت ووثبت إليهما وقلت لهما إنزعا الحلي الذي عليكما سريعاً فطرحاه فأبرقت السماء برقة أُخرىٰ فإذا إحداهما عجوز والأُخرىٰ شابة من أحسن النساء وجهاً كأنها ظبية قناص أو درة غواص فوسوس لي الشيطان على أن أفعل بها القبيح ، وقلت في نفسي مثل هذه الشابة التي لا يوجد مثلها حصلت عندي في هذا الموضع واخليها فراودتها عن نفسها فقالت العجوز : يا هذا أنت في حل مما أخذته منا من الثياب والحلي فخلنا نمضي إلى أهلنا فوالله إنها بنت يتيمة من أُمها وأبيها وأنا خالتها وفي الليلة القابلة تزف إلى بعلها وإنها قالت لي : يا خالة إن الليلة القابلة أُزف إلى ابن عمي وأنا والله راغبة في زيارة سيدي علي بن أبي طالب وإني إذا مضيت عند بعلي ربما لا يأذن لي بزيارته ، فلما كانت هذه الليلة ليلة الجمعة خرجت بها لأزورها مولاها

وسيّدها أمير المؤمنين عليه السلام فالله عليك لا تهتك سترها ولا تفض ختمها ولا تفضحها بين قومها ، فقلت لها : إليك عني وضربتها وجعلت أدور حول الصبية وهي تلوذ بالعجوز وهي عارية ما عليها غير السروال وهي في تلك الحال تعقد تكتها وتوثقها عقداً فدفعت العجوز عن الجارية صرعتها على الأرض وجلست على صدرها ومسكت يدها بيد واحدة ، وجعلت أحل عقد التكة باليد الأخرىٰ وهي تضطرب تحتي كالسمكة في يد الصياد وهي تقول : المستغاث بك ياالله المستغاث بك يا علي بن أبي طالب خلصني من يد هذا الظالم ، قال : فوالله ما استتم كلامها إلاّ وحسست حافرفرس خلفي ، فقلت في نفسي هذا فارس واحد وأنا أقوى منه وكانت لي قوة زائدة وكنت لا أهاب الرجال قليلاً أو كثيراً ، فلما دنى مني فإذا هو عليه ثياب بيض وتحته فرس أشهب تفوح منه راحة المسك ، فقال لي : يا ويلك خل المرأة فقلت له : اذهب لشأنك فأنت نجوت وتريد أن تنجي غيرك . قال : فغضب من قولي ولكزني بشيء قليل من ذبال سيفه فوقعت مغشياً عليّ لا أدري أنا في الأرض أو في غيرها وانعقد لساني وذهبت قوتي لكني أسمع الصوت وأعي الكلام ، فقال لهما : قوما إلبسا ثيابكما وخذا حليكما وانصرفا لشأنكما ، فقالت العجوز: فمن أنت يرحمك الله وقد من الله علينا بك وإني أُريد منك إلى زيارة سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب ؟ قال : فتبسم في وجوهما وقال لهما : أنا علي بن أبي طالب إرجعا إلى أهلكما فقد قبلت زيارتكما ، قال فقامت العجوز والصبية وقبلتا يديه وانصرفتا في سرور وعافية ، قال الرجل : فأفقت من غشوتي وانطلق لساني فقلت له : يا سيدي أنا تائب إلى الله على يدك وإني لا عدت أدخل بمعصية أبداً ، فقال : إن تبت تاب الله عليك ، فقلت له : تبت والله على ما أقول شهيد ، ثم قلت له : يا سيدي إن تركتني وفي هذه الضربة هلكت بلا شك ، قال : فرجع إليّ وأخذ بيده قبضة من تراب ثم وضعها على الضربة ومسح بيده الشريفة عليها فالتحمت بقدرة الله

تعالىٰ ، قال زيد النساج فقلت له : كيف التحمت وهذه حالها ؟ فقال لي : والله إنها كانت ضربة مهولة أعظم مما تراها الآن ولكنها بقيت موعظة لمن يسمع ويرىٰ .

فصل
في تاريخ النجف الأشرف

وفضله وموضع قبره عليه السلام وكيفية ظهوره وغير ذلك مما يتعلق بمدفنه صلوات الله عليه في بدء عمران النجف الأشرف إلى عصرنا الحاضر وفضل زيارته عليه السلام .

قال في (معجم البلدان) النجف بالتحريك قال السهيلي بالفرع عينان يُقال لإحداهما : الربض والأُخرىٰ النجف ، تسقيان عشرين ألف نخلة وهو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد ذكرته الشعراء في أشعارها فأكثرت فقال علي بن محمد العلوي المعروف بالحماني الكوفي :

فيا أسفي على النجف المعرى ... وأودية منورة الأفاحي
وما بسط الخورنق من رياض ... مفجرة بافنية فساح
ووا أسفاً على القناص تغدو ... خرائطها على مجرى الوشاح

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي يمدح الواثق ويذكر النجف الأشرف :

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف ... نحيي داراً لسعدي ثم ننصرف
وأبك المعاهد من سعدي وجارتها ... ففي البكاء شفاء الهائم الدنف
أشكو إلى اللّه يا سعدي جوى كبد ... حرى عليك متى ما تذكري تجف
أهيم وجداً بسعدي وهي تصرمني ... هذا لعمرك شكل غير مؤتلف
دعم عنك سعدي فسعدي عنك نازحة ... وأكفف هواك وعد القول في لطف

ما أن أرى الناس في سهل ولا جبل اصفي هواء ولا أعذى من النجف
كان تربته مسك يفوح به أو عنبر دافه العطار في صدف
حفت ببر وبحر من جوانبها فالبر في طرف والبحر في طرف
وبين ذاك بساتين تسيح بها نهر يجيش مجاري سيله القصف
وما يزال نسيم من أياً منه يأتيك منه برياً روضة أنف
تلقاك منه قبيل الصبح رائحة تشفي السقيم إذا أشفى على التلف
لو حله مدنف يرجو الشفاء به إذاً شفاه من الأسقام والدنف
يؤتي الخليفة منه كلما طلعت شمس النهار بأنواع من التحف
والصيد منه قريب إن هممت به يأتيك مؤتلفاً في زي مختلف

أقول : ثم خرج إلى مدح الواثق ونقل ياقوت بيتين من المدح وقد فات هذا الشاعر أن يصف النجف بمعناه الحقيقي بعد وصف الظاهر وذلك ما حواه من وجود جثمان أمير المؤمنين فيه وقد أضفت إلى شعره هذين البيتين لذلك الغرض فقلت :

أعده اللّه مثوىٰ للوصي كما أعد يثرب للمختار ذي الشرف
في حسن ظاهره الأبصار حائرة لكن معناه عن غير المحب خفي

قال ياقوت ولبعض أهل الكوفة :

وبالنجف الجاري أن زرت أهله مهاً مهملات ما عليهن سائس
خرجن بحب اللهو في غير ريبة عفائف باغى اللهو منهن آيس

إلى آخر الأبيات السبعة التي نقلها ، ولم نجد حاجة إليها في كتابنا هذا ويُقال للنجف الغري ، أما لحسنه لأن الغري في اللغة هو الحسن من كل شيء هذا رجل غري الوجه إذا كان حسناً مليحاً أو لمجاورته الغريين وأنهم كنوا عن التثنية بالوحدة أو لهجو بالغري مفرداً طلباً للخفة ومن ذلك قول عزّ الدين ابن أبي الحديد المعتزلي :

يا براق إن جئت الغري فقل له أتراك تعلم من بأرضك مودع
فيك ابن عمر أن الكليم وبعده عيسى يقفيه واحمد يتبع

بـل فيك جبـريـل وميكـال وإسـرا فيــل والمــلا المقــدس أجمــع
بـل فيـك نـور اللّه جـل جــلالـه لـذوي البصـائــر يستشف ويلمـع
فيك الإمام المرتضىٰ فيك الوصي المجتبى فيــك البــطين الأنــزع

أمـا الغريـان المجاوران للنجف فقـد قال ياقـوت همـا طـربـا لأن ولاهمـا بناتـان كالصـومعتين بظاهـر الكوفـة قرب قبـر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال قال ابن دريد الـطربال قـطعة من جبـل أو قطعـة من حائط تستطيل في السماء وتمتد .

وفي الحديث كان عليه الصلاة والسلام إذ أمر بطربال مـائل أسـرع الـمشي ، والجمـع الطرابيـل وقيل الـطربال القـطعة العـانية من الجـدار والصخرة العظيمة المشرفة من الجبل وطرابيل الشـام صوامعهـا ، ثم قال بعد كلام وإنمـا سميا الغـريين لحسنهما ، ثم ذكـر قصة بنـائهما وهـو أن المنذر بن أمرىء القيس بن مــاء السماء وهـو أحد مشـاهير ملوك العـرب كـان له نـديمان من بني أسـد يُقال لأحـدهمـا خـالـد بن نضلة ولـلآخـر عمـر بن مسعود ، فثمـلا فراجعـا الملك ليلة في بعض كلامـه فأمـر وهـو سكران فحفر لهما حفيرتان في ظهر الكوفة ودفنهمـا حيين ، فلما أصبـح استدعاهما فأخبر بالـذي أمضاه فيهمـا فغمه ذلـك وقصد حفـرتهما وأمـر ببناء طربـالين عليهما وهمـا صومعتـان ، فقال المنـذر : ما أنـا بملك إن خالف الناس أمـري لا يمر أحـد من وفود العـرب إلاَّ بينهما وجعـل لهمـا يـوم بؤس ويم نعيم يـذبـح في يـوم بؤسـه كـل من يلقـاه ويغـري بـدنـه الـطربالين ، فـإن رفعت له الـوحش طلبها الخيـل وإن رفع طـائـر أرسـل عليه الجوارح حتى يـذبح مـا يعن ويطليـان بدمـه ولبث بذلـك برهـة من دهره وسمي أحد اليومين يوم البؤس وهو اليوم الذي يقتل فيـه ما ظهـر له من إنسـان وغيره وسمي الآخـر يـوم النعيم يحسن فيـه إلى كـل من يلقى من النـاس ويحملهم ويخلع عليهم ، ثم ذكـر سبب أبـطال هـذه السنـة فقـال : فلم يزل على ذلـك حتى مر بـه في بعض أيـام البؤس رجـل من طي يُقـال له حنـظلة فقرب ليقتـل ، فقال : أبيت اللعن أني أتيتـك زائراً

ولأهلي من بحرك مائراً فلا تجعل ميرتهم ما تورده عليهم من قتلي ، قال له المنذر : لا بد من قتلك فسل حاجتك تقضي لك قبل موتك ، فقال : تؤجلني سنة أرجع فيها إلى أهلي فأحكم فيهم بما أريد ، ثم أسير إليك فينفذ في أمرك ، فقال له المنذر : ومن يكفلك إنك تعود فنظر في وجوه جلسائه فعرف شريك بن عمرو بن شراحيل الشيباني فقال :

يا شريك يابن عمرو هل من الموت محاله
يا شريك يابن عمرو يا أخا من لا أخا له
يا أخا المنذر فك اليـ ـوم رهناً قد أناله
يا أخا كل مضاف وأخا من لا أخا له
إن شيبان قبيل أكرم الناس رجاله
وأبو الخيرات عمرو وشراحيل الحما له
رقباك اليوم في المجد وفي حسن المقاله

فوثب شريك وقال : أبيت اللعن يدي بيده ودمي بدمه إن لم يعد لأجله ، فاطلقه المنذر ، فلما كان من القابل قعد المنذر في مجلسه في بؤسه ينتظر حنظلة فأبطأ عليهم فقدم شريك ليقتل ، فلم يشعر إلاَّ وراكب قد طلع وإذا هو حنظلة وقد تحنط وتكفن ومعه نادبته تندبه ، فلما رأى المنذر ذلك عجب من وفائه وقال : ما حملك على قتل نفسك ؟ فقال : أيها الملك إن لي ديناً يمنعني من الغدر ، قال : وما دينك ؟ قال : النصرانية فاسحسن ذلك منه واطلقهما معاً وأبطل تلك السُّنة وكان سبب تنصره وتنصر أهل الحيرة فيما زعموا .

قال وروى الشرقي بن القطامي قال : الغري الحسن من كل شيء وإنما سُميا الغريان لحسنهما وكان المنذر بناها على صورة غريين كان بعض ملوك مصر بناهما انتهىٰ محل الحاجة من نقله ، ويُقال أن يوم البؤس ويوم النعيم كانا للنعمان بن المنذر ، ونقل في (المستطرف)

قصة الطائي وشريك مع النعمان ، كما أنه ذكر أن شريك هو ابن عدي ابن شرحبيل وأن الطائي قال له :

يا شريك بن عدي ما من الموت انهزام
من لأطفال ضعاف عدموا طعم الطعام
بين جوعٍ وانتظار وافتقار وسقام
يا أخا كل كريم أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جدلي بضمان والتزام
ولك الله بأني راجع قبل الظلام

وإنه طلب تأجيل قتله آخر النهار لأن لقياه النعمان كان أول النهار وأن النعمان صار يقول لشريك إن صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك علي سبيل حتى يأتي المساء وإنه لما أتىٰ الطائي مساء ، قال : والله ما رأيت أعجب منكما ؟ أما أنت يا طائي فما تركت لأحد في الوفاء مقاماً يقوم فيه ولا ذكراً يفتخر به ، وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء ، فلا أكون أنا الأمر الثلاثة، إلاَّ وإني قد رفعت يوم بؤسي عن الناس ونقضت عادتي كرامة لوفاء الطائي وكرم شريك .

قلت : والله اعلم بحقيقة الحال ، وكانت أرض النجف في أيام ملوك الحيرة أرضاً خضراء مأهولة بالأعراب وكانت على حالها حتى تمصرت الكوفة في سنة ١٧ من الهجرة أو (١٩) أو بينهما ، فكانت أرض النجف كمنتزه لأهل الكوفة وكان أمير المؤمنين عليه السلام في أيام خلافته في الكوفة يخرج منفرداً إلى النجف ويشتغل بالعبادة هناك وربما كان يخرج إليها مع الخواص من أصحابه ويحدّثهم بفضل تلك الأرض المقدسة ، كما في حديث كميل بن زياد ونقل المجلسي رحمه الله عن بعض مؤلفات أصحابنا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان ذات يوم يصلي بالغرى إذ أقبل رجلان معهما تابوت على ناقة فحطا التابوت وأقبلا إليه

، فسلمـا عليه فقـال عليه السلام : من أين أقبلتما ؟ قـالا : من اليمن . قـال : ومـا هذه الجنـازة ؟ قالاً : كـان لنـا أب شيـخ كبيـر فلمـا أدركتـه الـوفـاة أوصىٰ إلينـا أن نحمله وندفنـه في الغرى ، فقلنـا : يا أبـانا إنـه مـوضـع شاسع بعيد عن بلدنا ومـا الذي تـريد بـذلك ؟ فقـال : إنه سيـدفن هناك رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعـة ومضر ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الله أكبـر الله أكبر أنـا والله ذلك الـرجل ، ثم قـام فصلّىٰ عليه ودفنـاه ومضيـا من حيث أقبلا .

قلت : والـذي يفهم من هـذا الخبـر أن فضـل أرض النجف كـان معـروفاً لـدى العلماء من النـاس قبل أن يـدفن أمير المؤمنين عليه السلام والـذي يزيدنا تبصراً في ذلك ما نقله في (معجم البلدان) عنـد ذكر بـإنقيا بكسـر النون وإنها ناحية من نواحي الكوفـة ، قال : وفي أخبـار إبراهيم الخليـل عليه السلام خـرج من بـابـل على حمـار لـه ومعـه ابن أخيـه لـوط يسـوق غنمـاً ويحمل دلواً على عاتقه حتى نـزل بإنقيـا وكان طـولها اثني عشـر فرسخـاً وكانوا يزلزلون في كل ليلة ، فلمـا بات إبـراهيم عندهم لم يـزلزلـوا فقال لهم شيـخ بات عنـده إبراهيم عليه السلام والله مـا دفع عنكم بشيـخ بات عنـدي فإني رأيته كثيـر الصّلاة فجـاؤوه وعرضـوا عليه المقـام عندهم وبـذلوا لـه البـذول ، فقـال : إنمـا خـرجت مهـاجـراً إلى ربي ، وخـرج حتى أتى النجف ، فلما رآه رجع أدراجـه أي من حيث مضىٰ فتباشـروا وظنوا إنـه رغب فيمـا بـذلـوا لـه ، فقـال لهم : لمن تلك الأرض ؟ يعني النجف . قـالوا : هي لنـا ، قال : فتبيعـونهـا ؟ قـالوا : هي لـك فـوالله مـا تنبت شيئـاً ، فقـال : لا أحبهـا إلاَّ شـراء فـدفـع إليهم غنيمـات كن معـه بهـا والغنم يُقـال لهـا بـالنبـطيـة نقيـا ، فقـال : أكـره أن أخـذهـا بغيـر ثمن فتصنعـوا ما صنـع أهـل بيت المقـدس بصـاحبهم ووهبـوا لـه أرضهم ، فلمـا نزلت بهـا البركـة رجعوا عليـه ، وذكر إبـراهيم عليه السلام أنـه يحشـر من ولده من ذلك الموضع سبعون ألف شهيد فـاليهود تنقـل موتـاها إلى هـذا المكـان لهذا السبب إلى هنـا كـلام يـاقـوت في معجم البلدان ، وقـولـه

سبعون ألف شهيد أي لهم ثـواب الشهداء وقـوله : فـاليهود تنقـل موتـاها أي أهـل الكتاب الـذين عرفـوا حديث إبـراهيم والتخصيص بـاليهـود من إجتهاد ياقوت وإلاَّ فمن جاء بعـد إبراهيم ممن آمن بـإبراهيم عليه السلام وصـدقه كـان ينقل مـوتاه في هـذا المكان المقـدس ويؤيد مـا نقله ياقـوت في المعجم الخبر الذي رواه الصـدوق رحمه الله في (علل الشـرائع) ونقله المجلسي طـاب ثراه في مـزار البحار وهـو مضمون مـا نقله وفيه زيـادة أن إبـراهيم عليه السلام رغب في أن مـا يحشـر منهـا يكـون في ملكـه وفي العصـر المشؤوم الأموي كانت النجف بـرية خضـراء واسعة فيهـا قريـة صغيرة وفي تـربتها الخضراء محل كبيـر ترتـع فيـه الـظبـاء ويقصـده النـاس للصيـد والقنص وعمـرت هذه البـرية بقصـور وأنهار جـارية في العصـر العباسي وكثـرت فيهـا البساتين حتى اتخـذت كمضيف للمترفين من العبـاسيين وغيرهم ، ولم يكن يوجد للقبر الشريف أثر في أيام بني أميّـة وكان أمـره مكتومـاً ، ولـذلـك اختلف غيـر الشيعـة من النـاس في محله . أمـا الشيعـة فقـد اجمعوا أنه بـالغرى في المشهـور الآن ما رووه خلفـاً عن سلف إلى أئمة الدين صلوات الله عليهم أجمعين ، فإنهم كـانوا يـزورونه هنـاك ، وكان لا يعـرف ذلـك إلاَّ الخـواص من الشيعـة إلى أن ورد الصـادق جعفـر بن محمـد عليهما السلام الحيرة في زمن السفـاح بينه لشيعتـه ، ومن هذا اليـوم إلى الآن يزوره كافة الشيعة في ذلـك المكان والـذين زاروا قبر أميـر المؤمنين عليه السلام مـع الصادق وبـأمره في مـوضعه الآن هم صفـوان الجمال ومعـاويـة ابن عمـار ومحمد بن مسلم وعمـر بن يزيـد وإبان بن تغلب وغيـرهم من أصحابه ، وفي شرح النهج لابن أبي الحديد أن قبـره بالغـرى وما يـدعيه أصحـاب الحـديث يعني من السنين من الاختـلاف في قبـره وأنـه حمـل إلى المـدينة أو أنـه دفن في رحبـة الجـامـع أو عنـد بـاب الإمـارة أو ذود البعيـر الذي حمـل عليه فـأخذتـه الأعـراب بـاطـل لا حقيقـة لـه وأولاده أعرف بقبره وأولاد كل أحد أعـرف بقبور آبـائهم من الأجانب وهـذا القبر الـذي زاره بنوه لمـا قـدمـوا العـراق منهم جعفـر بن محمـد إلى آخـر مـا قال .

وقال المفيد في الإرشاد حدثنا عبيد الله بن محمد بن عائشة قال حدثني عبد الله بن حازم قال : خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيد فصرنا إلى ناحية الغريين فرأينا ظباء ، فأرسلنا عليها الصقور والكلاب فجاولتها ساعة ثم لجأت الظبأ إلى أكمة فصعدت عليها فسقطت الصقور ناحية ورجعت الكلاب ، فتعجب الرشيد من ذلك ، ثم أن الظبأ هبطت من الأكمة فنهضت الصقور والكلاب ، فرجعت الظبأ إلى الأكمة فتراجعت عنها الكلاب والصقور ففعلن ذلك ثلاثاً ، فقال هارون اركضوا فمن لقيتموه فأتوني به ، فأتيناه بشيخ من بني أسد فقال له هارون : أخبرني ما هذه الأكمة ؟ قال : إن أخبرتك لي الأمان ؟ قال : لك عهد الله وميثاقه . قال : حدثني أبي عن آبائه أنهم كانوا يقولون في هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب عليه السلام جعله الله حرماً لا يؤتي إليه شيء إلاّ أمن، فنزل هارون فدعىٰ بماء فتوضأ وصلّىٰ عند الأكمة وتمرغ عليها وجعل يبكي ثم انصرفنا ، قال محمد بن عائشة : فكان ذلك في قلبي فلما كان بعد ذلك حججت إلى مكة فرأيت بها ياسراً من رجال الرشيد فكان يجلس معنا إذا طفنا فجرى الحديث إلى أن قال قال لي الرشيد ليلة من الليالي وقد قدمنا مكة ونزلنا الكوفة : يا ياسر قل لعيسىٰ بن جعفر فليركب ، قال : فركبا جميعاً وركبت معهما حتى إذا صرنا إلى الغريين ، فأما عيسىٰ فطرح نفسه فنام وأما الرشيد فجاء إلى الأكمة وصلّى عندها وكلما صلّىٰ دعا وبكىٰ وتمرغ على الأرض ، ثم قال : يابن عم أنا والله أعرف فضلك وسابقتك وبك والله جلست مجلسي الذي أنا فيه وأنت أنت ولكن ولدك يؤذونني ويخرجون عليّ ، ثم يقوم فيصلي ويعيد هذا الكلام ويدعو ويبكي حتى إذا كان وقت الفجر قال لي : يا ياسر أقم عيسىٰ ! فأقمته فقال له : قم وصلّ عند قبر عمك ، قال له : وأي عم مني ؟ قال : هذا قبر علي بن أبي طالب فتوضأ عيسىٰ وقام وصلّى ، فلم يزالا كذلك حتى طلع الفجر فقلت يا أمير المؤمنين أدرك الصبح فركبنا فرجعنا إلى الكوفة .

وفي فرحة الغرى : بعد نقل هذا الخبر وذكر صفي الدين محمد بن مسعد نحو هذا المتن في رواية رآها في بعض الكتب الحديثة القديمة وأسنده بما صورته ، قال : حدثنا محمد بن سهل قال حدثنا عبد العزيز بن يحيىٰ قال حدثنا محمد بن دينار العتبي ، قال حدثنا عبد الله بن محمد بن عائشة ، قال : حدثنا عبد الله بن حازم بن خزيمة ، قال : خرجنا مع الرشيد من الكوفة نتصيد فصرنا إلى ناحية الغريين والثوية وذكر نحو المتن ، فلما وصل إلى آخره زاد فيه بعد قوله ورجعنا إلى الكوفة ، ثم أن الرشيد خرج إلى الرقة وأنا معه فقال لي ذات ليلة ونحن بالرقة وذلك بعد سنة فقال لي : يا ياسر تذكر ليلة الغريين ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : أتدري قبر من ذلك ؟ قلت : لا . قال : قبر علي بن أبي طالب عليه السلام ، قلت : يا أمير المؤمنين تفعل هذا بقبره وتحبس أولاده ؟ فقال : ويحك إنهم يؤذونني ويحرجوني إلى ما أفعل بهم أنظر إلى من في الحبس منهم ببغداد والرقة ، فكانوا مقدار خمسين رجلاً ، فقال : ادفع إلى كل رجل منهم ألف درهم وثلاثة أثواب وأطلق جميع من في الحبس منهم ببغداد والرقة ، قال ياسر ففعلت ذلك فما لي عند الله حسنة أكثر منها ؟ فقال ابن عائشة : فصدق عندي حديث ياسر ما حدّثني به عبد الله بن حازم .

وفي فرحة الغرى أيضاً عن ابن الطحال أن الرشيد بنىٰ عليه بنياناً بآجر أبيض أصغر من هذا الضريح اليوم ، يريد الضريح الذي كان في عصره ، قال : ولما كشفنا الضريح الشريف وجدناه مبنياً عليه تربة وحصباً وأمر الرشيد أن يبني عليه قبة فبنيت من طين أحمر وطرح على رأسها جرة خضراء ، قال وهي في الخزانة إلى اليوم .

وفي عمدة الطالب : بعد ذكر زيارة الرشيد للقبر الشريف ثم أن هارون أمر فبنيت عليه قبة وأخذ الناس في زيارته والدفن لموتاهم حوله إلى إن كان زمن عضد الدولة فناخسرو بن بوية الديلمي عمره عمارة

عظيمة وخرج على ذلك أموالاً جزيلة وعين له أوقافاً ولم تزل عمارته باقية إلى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وكان قد ستر له عدة حيطان بخشب الساج المنقوش فاحترقت تلك العمارة وجددت عمارة المشهد وقد بقي من عمارة عضد الدولة قليل وقبور آل بوية هناك ظاهرة مشهورة لم تحترق ، انتهىٰ .

قلت ولعضد الدولة خدمات كثيرة لأرض النجف ، فمن ذلك بناؤه أول سور حصن تلك الأرض المقدسة وحفظها من شرار الأعراب ، ومنها بناؤه دوراً حول المشد المقدس للسدنة وأشراف المجاورين ، ومنها إجرائه النفقات السنوية عليهم ، ومنها زيارته المتكررة ترغيباً لغيره من الملوك والأعيان ، منها إجراءه الماء لتلك البقعة الطاهرة وإصلاحه الداثر من الأبار والأنهار التي كانت تنقل الماء من الفرات إليها .

ومنها : اتخاذه مقبرة حول المشهد العلوي للبويهيين وكان هو أول من دفن من قومه وكانت وفاته في شهر شوال سنة ٣٧٢ من الهجرة المباركة وخدماته لقبر الحسين عليه السلام والكاظمين عليهما السلام لا تقل عن خدماته لقبر أمير المؤمنين عليه السلام ، وقلّده في أعماله هذه غيره من سلاطين آل بويه وخدموا الحضرات المقدسة بخدمات جليلة وفي أول زيارة زارها عضد الدولة يقول الصابي أبو إسحاق من قصيدة :

توجهت نحو المشهد العلم الفرد على اليمن والتوفيق والطائر السعد
تزور أمير المؤمنين فيا له ويا لك من مجد منيخ على مجد
فلم ير فوق الأرض مثلك زائراً ولا تحتها مثل المزور إلى اللحد
مددت إلى كوفان عارض نعمة يصوب بلا برق يروع بلا رعد
وتابعت أهليها ندى بمثوبة فرحت إلى فوز وراحوا إلى رفد

والظاهر أن هذه الزيارة التي ذكرها السيّد الأجل السيد عبد الكريم بن طاووس في كتابه فرحة الغرى قال (ره) : حدّثنا

يحيىٰ بن عليان الخازن بمشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه وجد بخط الشيخ أبي عبد الله بن محمد السرف المعروف بابن البرسي رحمه الله المجاور بمشهد الغرى سلام الله على صاحبه على ظهر كتاب بخطه قال : كانت زيارة عضد الدولة للمشهدين الشريفين الطاهريين الغروي والحائري في شهر جمادي الأولى في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وورد مشهد الحائر لمولانا الحسين عليه السلام لبضع بقين من جمادي ، فزاره صلوات الله عليه وتصدق وأعطىٰ الناس على اختلاف طبقاتهم وجعل في الصندوق دراهم ففرقت على العلويين فأصاب كل واحد منهم إثنان وثلاثون درهماً وكان عددهم الفين ومائتي اسم ووهب للعوام والمجاورين عشرة آلاف درهم ، وفرق على أهل المشهدين من الدقيق والتمر مائة ألف رطل ومن الثياب خمسمائة قطعة وأعطىٰ الناظر عليهم ألف درهم وخرج وتوجه إلى الكوفة لخمس بقين من جمادي المؤرخ ودخلها وتوجه إلى المشهد الغرى يوم الإثنين ثاني يوم وروده ، وزار الحرم الشريف وطرح في الصندوق دراهم فأصاب كل واحد منهم أحد وعشرون درهماً وكان عدد العلويين ألف وسبعمائة اسم وفرق على المجاورين وغيرهم خمسمائة ألف درهم وعلى المترددين خمسمائة ألف درهم وعلى الناحية ألف درهم وعلى الفقراء والفقهاء ثلاثين ألف درهم وعلى المغتربين من الخازن والبواب على يد أبي الحسن العلوي وعلى يد أبي القاسم بن أبي عائد وأبي بكر بن سيار رحمه الله انتهىٰ وقد أزاد الملوك والأعيان بعد عمارة عضد الدولة في النجف الأشرف وفي الروضة العلوية عمارات كثيرة منهم الخليفة الناصر والمستنصر وعمل هذا الأخير للمرقد المقدس الضريح الشريف وبالغ فيه كما في فرحة الغرى ، أي بالغ في حسن صنعه أو في قيمته .

وفي الفرحة أيضاً أن الصاحب عطاء الملك بن محمد الجويني صاحب ديوان الدولة الايلخانية عمل الرباط وكان وضع أساسه سنة

ست وسبعين وستمائة وأبتدأ تحقق الحفر للقناة إليه سنة اثنتين وستين وستمائة وأجرىٰ الماء في النجف في شهر رجب سنة ست وسبعين وستمائة ، وقد كان سنجر بن ملكشاه أجهد في ذلك من قبل فلم يتفق له ، ذكره ابن الأثير الجزري في تاريخه وآثار البناء باقية انتهى ، وللملوك الصفوية خدمات لهذه البقعة الطاهرة تذكر فتشكر فإن الشاه إسماعيل الأول لما زار العتبات العالية ورأى ما يقاسيه سكان النجف من عدم الماء وذلك لاندثار القنوات في أيامه أوصل إليهم الماء ووقف البساتين التي على حافتيه على المحقق الشيخ علي الكركي وذريته وكان النهر الذي أوصله إلى النجف نهراً عامراً لكن لم تطل الأيام حتى لعبت به الحوادث .

وللشاه عباس الأول خدمات كثيرة منها : بناؤه سور الصحن الشريف ويُقال أنه كان بهندسة الشيخ البهائي رحمه الله ، وضعه على نحو أن كل حجرة من الحجرات الشريفة التي هي في أطراف الصحن المقدس يقابل كوكباً من الكواكب المربية للعلوم بحيث إذا كان طالب العلم الرياضي في حجرة تقابل الكواكب المربي للعلم الرياضي ، تعلم ذلك العلم بمدة قليلة ووضع جدار الصحن على نحو يتحقق أول الظهر في أي فصل كان من فصول السنة بوصل الشمس إلى الجدار

وبني الشيخ البهائي (ره) مكاناً في الصحن لمحافظةنعال الزائرين .

وكتب عليه :

هذا الأفق المبين قد لاح لديك فاسجد متذللا وعفر خديك
ذا طور سنين فاغضض الطرف به هذا حرم الغرة فاخلع نعليك

وعمر هذا الملك رواق عمران بن شاهين المعروف وقيل إن الشاه صفي الصفوي هو الذي عمر رواق عمران بن شاهين ولهذا الرواق قصة ذكرها في فرحة الغرى ونقلها جماعة وهي أن عمران بن شاهين من أهل العراق عصىٰ علي عضد الدولة ، فطلبه طلباً حثيثاً فهرب منه إلى المشهد العلوي مختفياً فرأى أمير المؤمنين عليه السلام في منامه

يقول له يا عمران في غـد يأتي فنـاخسرو إلاَّ المكـان فيخرجـون من بهذا فتقف أنت هٰهنـا وأشـار إلى زاويـة من زوايـا القبـة فـإنهم لا يـرونـك فسيدخل ويزور ويصلّي ويبتهل في الدعا والقسم بمحمـد وآله أن يـظفره بـك فادن منـه وقل لـه أيهـا الملك من هـذا الـذي قـد ألححت بـالقسم بمحمد وآله أن يظفرك به فيقول رجـل شقي ونازعني في ملكي وسلطاني فقـل ما لمن يـظفـرك بـه فيقـول ان حتم عليّ بـالعفـو عنـه عفـوت عنـه فاعلمه بنفسك فإنـك تجد منـه ما تـريد فكـان كما قـال له ، فقـال : أنا عمران بن شاهين ، قال من أوقفك هٰهنا ؟ قال له : هذا مـولانا ، قـال : في منامي غداً يحضر فنا خسـرو إلى هٰهنا وأعـاد عليه القـول فقال لـه : بحقه عليك قال : لك فناخسرو ، قلت : أي وحقه ، فقال عضد الدولـة مـا عرف أحـد أن إسمي فناخسـرو إلاَّ أُمي والقابلة وأنـا ، ثم خلع عليـه خلعة الوزراء وطلع من بين يـديه إلى الكـوفة ، وكـان عمران بن شـاهين قد نذر عليه أنه متى عفى عنـه عضد الـدولة أتىٰ إلى زيـارة أمير المؤمنين حـافياً حـاسراً ، فلمـا جنه الليـل خرج من الكـوفة وحـده فرآى علي بن طحال أمير المؤمنين عليه السلام في منامه وهو يقول لـه : أقعد لـوليي عمران بن شاهين وافتح الباب فقعد وفتـح الباب وإذا بـالشيخ قـد أقبل فلمـا وصل قـال لـه : بسم الله مـولانـا ، فقـال لـه : ومن أنـا ؟ فقـال : عمـران بن شـاهين . قال : لست بعمـران بن شاهين ؟ قـال : بلىٰ أن أمير المؤمنين أتـاني في منامي وقـال لي : افتح لـوليي عمران بن شـاهين . قال لـه : بحقـه هو ؟ قـال : لك . قـال : أي وحقه هـو ؟ قـال لي ، فـوقـع على العتبة يقبلها وأحـاله على ضـامن السمك بستين دينـارا وكانت لـه زواريق تعمل في الماء لصيد السمك .

قـال (ره) أقـول : وبني الـرواق المعـروف بـرواق عمـران في المشهدين الشريفين الغروي والحائري .

قلت : وكـان هـذا الـرواق معـروفـاً بـإسم بـانيـه إلى أن جـدده الصفويون وجدد الشاه الصفي عمارة القبة المنورة والمرقـد الطاهـر وكان المتـولي من قبله في ذلك وزيـره الميرزا تقي خـان المـازنـدراني وأنجـز

عمله في ضمن ثلاث سنوات ونقلوا صخراً من نواحي النجف الأشرف كان في غاية الصفاء وحسن اللون عثروا عليه هناك فاستغنىٰ من إتيان الصخور من محل آخر وكانوا يعدون ذلك من كرامات أمير المؤمنين عليه السلام ولإنسداد القنوات أمر الشاه صفي بإجراء الماء إلى أرض النجف من الفرات وبعد هذه العمارات حدثت تجديدات وتلحيظات في المرقد الأطهر وفي الصحن الشريف حتى عصر السلطان نادر شاه الذي دوخ الملوك وكان خلف الصفوية في بلاد فارس فيقال أنه كان نذر لله أن يقوم لأمير المؤمنين عليه السلام بخدمة لم يقم بها غيره من الملوك ، فقام بتذهيب القبة والمنائر وتجديد ما كان يحتاج للتجديد من الصحن والرواق وقيل إنه لم يكن يعرف شيئاً من الأديان ، ولما أخذ بغداد رأى الزوار يسيرون إلى النجف الأشرف ، فسأل عنهم أرباب دولته قائلاً : إلى أين يسيرون هؤلاء ؟ فقال له وزيره الميرزا مهدي خان : يسيرون إلى زيارة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فقال : ومن هو حتى يُزار ؟ فقال له الوزير : هو وصي رسول الله وأخوه وزوج إبنته . فقال : هل يرون هناك شيئاً من الكرامات ؟ قالوا : نعم ، قال : يا ميرزا مهدي خان أن أُريد أن أنظر كرامة بعيني وإلاَّ أخذت رأسك وهدمت قبة علي بن أبي طالب ، فقال : نعم يا مولانا إن حضرة علي بن أبي طالب عليه السلام لم يدخلها الخمر ولا الكلاب أما الخمر فتستحيل خلاً ، وأما الكلاب فتموت أو تفر ، فمر يحّمل الخمر وخذ الكلاب هناك لتنظر صحة ما ذكرت فأمر نادر شاه بحمل ثلاثة أباريق من الخمر وثلاثة كلاب وسلسها بسلسلة من الذهب وقبض رأس السلسلة بيده وختم الخمر بخاتمه وأمر بالسير إلى النجف ، فلما قربوا من الأرض المقدسة وإذا بالكلاب قطعت السلاسل وهربت لوجوهها فتعجب نادرشاه من ذلك ونظر إلى أبارق الخمر وإذا هي خل من أحسن الخل ، فخر للأرض ساجداً تعظيماً لأمير المؤمنين عليه السلام وأمر ببناء ذلك البنيان المقدس وفي هذه الكرامة يقول الميرزا زكي خان

الملقب بنديم الشاه شعراً بالفارسية :

در خاك نجف نديم آسوده بخواب أنديشه مكن زپرسش روز حساب
جائيكه بدل بسركه گردد مي ناب بي شبهه شود گنه مبدل بثواب

ولما أراد الدخول إلى الصحن الشريف لم يتجاسر على الدخول فأمر بسلسلة من الذهب ، وقال : ألقوها في عنقي وجروني كالكلب إلى باب علي ، فلم يجسر أحد على ذلك وإذا بشخص أقبل من كبد البر وأخذ السلسلة وألقاها في عنقه وجره إلى باب الصحن ، فلما زار وخرج سأل عمن فعل ذلك فتفقدوا الرجل فلم يجدوه ، ولما كملت القبة الشريفة سألوا عما يكتبوا في قنتها فقال اكتبوا : (يد الله فوق أيديهم) فكتبوا ذلك ، فقال الوزير للبنائين : أن نادرشاه رجل أعجمي لم يقرأ ولم يكتب فسلوه عما قال فإن الله أجرىٰ ذلك على لسانه فسألوه فقال : كتبوا ما قلت لكم بالأمس وآثار نادرشاه كثيرة وإسمه إلى اليوم مكتوب على البنيان وفي القبة الشريفة وفي تاريخ الشروع في تذهيبها وتذهيب المنائر الكريمة يقول السيد نصر الله الحائري رحمه الله من قصيدة أولها :

إذا ضامك الدهر يوماً وجارا فلذ بحمى أمنع الخلق جارا

وأحسن بيت فيها في القبة المباركة :

هي النار نار الكليم التي عليها الهدى قد تبدي جهارا

وبيت التاريخ :

تبدي سناها عياناً فأرخت (أنست من جانب الطور نارا)

ويقول السيد حسين بن ميررشيد طاب ثراه من قصيدة :

أمطلع الشمس قد راق النواظر أم نار الكليم بدت من جانب الطور
أم قبة المرتضىٰ الهادي بجانبها منارتا ذكر تقديس وتكبير
وصدر أيوان عز راح منشرحاً صدر الوجود به في حسن تصدير

إلى أن يقول فيها :

قـد بان تـذهيبها عن أمـر معتضـد بالنصر للحق عـالي القدر منصـور

إن شهـادة هذا الأديب الفـاضل يكـذب المنقـول عن نـادر أنـه لم يكن يعـرف شيئاً من الأديان ويمكن أن يُقال أن هذا الشعـر إنما قيـل فيه بعد تبصره واتخاذه دين الحق فلا تكذيب للمنقول المحتمل الصدق :

أغوث البرايا شهنشاه الـزمان عـلا النـــادر الملك مغـوار المغـــاويـــر
أدامـه الله ذو العـرش المجيـد لنـا كهفـــاً ودافـع عنـــه كـل محـــذور

وبيت التاريخ : ١١٥٥

يـا طـالبـاً عـام إبـداء البنـاء لهـــا أرخ تجلي لكم (نـــور على نـور)

وعلى ذكر القبة الشريفة أحب أن أنقل مـا يختص بهـــا من قصيـدة عبد الباقي أفندي العمري قال :

قبـــة المـــرتضىٰ علي تعـــالـىٰ شـأنهـا عن مـــوازن وعـديـــل
من نضـار صيغت بغيـر نـظيـر فـي مثـــال مـنـــزه عن مـثيـــل
فـوقهـا كـالإكليـل لاح هـــلال رمقتـــه السهـام بـــطرف كليـل
كبـرت فـاستقلت الفلك الـــدو أر عنـهـا بأن يـرى من بـديـل
جللت مـــرقـداً جليـــلاً تجلت فـوقـه هيبـة المليـك الجليـــل
فـعلىٰ قـبـــة السمـــاء إذا مـــا فضلوهـــا أقـــول بـــالتفضيـــل
هي بـاء مقلوبـة فـوق تلك الـ ـنقـــطة المستحيـلة التـــأويـــل
هي فلك بـل ما عليـه استـوى الفلك ومن فوق لوحه من قبيل
هي كهف النجاة طور المناجاة ثمـال العفـاة مـأوى الـدخيـــل
هي حق للجوهر الخاص ما للـ ـعرض العام عنـدها من مقيـل
هي ظل ما ضـل من قال يـوماً بحمـاها من تحت ظـل ظليـل
هي غمـــد لـذي فقـــار بـطين من سيـــوف اللّه العلي صقيـل
هي غـاب ثـوى بـــه أسـد اللّه عـلي بصـــدر أشـــرف غـيـــل

ذاك ليث أردى العدى بزئير وحسام أبادهم بصليل
كورة لليعسوب مازج صرف الشهد منها أطايب الزنجبيل
كرة مستديرة فوق قطب دبر الكائنات بالتعديل
أفرغتها يمنىٰ المفاخر من تبر المعالي في قالب التبجيل
صبغتها بالنور أيدي التجلي بقدامي من خافقي جبرائيل
فغشاها النور الإلٰهي حتى بخيال جلّت عن التخييل
قد حوي فصل بابها جمل الفضـ ـل التي قد غنين عن تفصيل
كعروس بدت بوجه جميل بسبى شمس الضحىٰ بخد أسيل
هي في الليل مثلها في نهار وبوقت الضحىٰ كوقت الأصيل
قابلتها البدور باللثم ليلاً وشموس النهار بالتقبيل
صحنها كالقنديل يزهو صفاء وهي تحكي ذبالة القنديل

وللملوك القا جارية خدمات لهذه البقعة المباركة لا تقل عن خدمات غيرهم ، فإن السلطان محمد شاه القا جاري جدد الضريح الفضي المشبك الموضوع على قبر أمير المؤمنين عليه السلام ووسعه ، وفي أيام فتح علي شاه أهدى وزيره الحاج محمد حسين الأصفهاني الصدر الأعظم باباً من الفضة للحرم الشريف واقتدى به الناس في بقية الأبواب وحصن النجف بسور رفيع بذل عليه أموالاً طائلة لمنع غارات الوهابيين إضافة إلى السور القديم الذي كان مهدداً بتلك الغارات لانخفاضه وانحطاطه ويُقال أن هذا السور بني بأمر الشاه على يد وزيره المذكور ، أما ناصر الدين شاه فقد صنعت في أيامه أبواب فضية للحضرة المقدسة ، منها على نفقته الخاصة ومنها على نفقة غيره وتجددت بعض العمارات وعلقت القناديل الذهبية والفضية وأهدي تاجاً مرصعاً بالدر والجوهر فيه الماسة مكتوب عليها سورة الملك ووسع الصندوق الفضي الذي على القبر الشريف فوق الصندوق النادري وتنقل له خدمات جليلة أيام زيارته الحضرة العلوية ، وللعثمانيين خدمات وإصلاحات كثيرة وعمارات للصحن الشريف وللبلدة المقدسة

تتجـدد كل سنـة إلى يومنـا هذا ومن هنـا فلنذكـر شيئاً ممـا ورد عن أئمة الـــدين في فضـل زيـــارة أميـــر المؤمنين عليه السلام ، عن المفضـــل بن عمـــر الخثعمي ، قـال : دخلت على أبي عبـد الله عليه السلام فقلت لـه يـابن رسـول الله إني اشتـاق إلى الغرى ، قـال : فمـا شـوقـك إليـه ؟ قلت لـه : إني أحب أن أزور قبـر أميـر المؤمنين عليه السلام ، فقـــال لي : هـل تعـــرف فضـل زيـارتـه ؟ فقلت : لا ، ألا تعـــرفني ذلـك ؟ قـــال : إذا زرت قبـر أميـــر المؤمنين فـاعلم أنك زائـر عظام آدم عليه السلام وبـدن نوح وجسم علي عليه السلام ، فقلت : يـابن رسول الله يقـولون أن جسـد آدم عليه السلام هبط بسرا نـديب في مـطلع الشمس وزعموا أن عـظامه في بيت الله الحـرام ، فكيف صارت عظامه بالكوفة ، فقال : إن الله عزّ وجلّ أوحىٰ إلى نـوح وهو في السفينة أن يـطوف بالبيت أسبـوعاً وطـاف بـالبيت كمـا أوحىٰ إليـه ، ثم نـزل في الماء إلى ركبتيه واستخرج تابـوتاً فيـه عظام آدم فحمله في جـوف السفينة حتى طـاف ما شـاء الله أن يـطوف ، ثم ورد إلى بـاب الكـوفـة في وسط مسجـدها وفيهـا قال الله تعـالىٰ لـلأرض إبلعي مـاءك فبلعت مـاءها من مسجد الكوفة كما بـدأ الماء منـه وتفرق الجمـع الذي كـان مع نـوح في السفينـة ، فأخـذ نوح التـابوت فـدفنه في الغـرى وهو قـطعة من الجبـل الذي كلّم الله به مـوسىٰ تكليماً وقـدّس عليه عيسىٰ تقـديساً واتخـذ عليه محمـداً وجعله للنبيين مسكناً ، فـوالله ما سكن فيـه بعد أبـويـه الـطيبين آدم ونـوح أكـرم من علي بن أبي طـــالب ، فـإذا زرت جـــانب الكـوفـــة النجف فـزر عظام أميـر المؤمنين عليه السلام فإنـك زائـر الإبـاء الأولين ومحمـد خـاتـم النبيين وعلي سيّـد الـوصيين عليهم السلام ، وإن زائـره تفتـح لـه أبـــواب السماء عند دعوته فلا تكن عند الخير نواماً .

وعن الصادق عليه السلام أنه قـال : حدّثني أبي عن جـده الحسين قال أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قـال لعلي عليه السلام : والله لتقتلن بـأرض العـراق وتـدفن بهـــا ، فقال : يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وعمـرها وتعـاهدهـا ، فقال : يـا أبـا الحسن إن الله تعالىٰ جعـل قبرك وقبـر ولدك بقـاعـاً من بقـاع الجنـة

وعرصة من عرصاتها وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن إليكم وتحمل المذلة والأذى فيكم فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرباً إلى الله تعالىٰ ومودة معهم لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي الواردون حوضي وهم زواري غداً في الجنة ، يا علي من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس ومن زار قبوركم عدل ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام ويخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتك كيوم ولدته أمه ، فأبشر وبشر أوليائك ومحبيك من النعيم وقرّة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وعنه عليه السلام : من زار قبر أمير المؤمنين عارفاً بحقه غير متجبر ولا متكبر كتب الله له أجر مائة ألف شهيد وغفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر وبعث من الآمنين وهون عليه الحساب واستقبلته الملائكة ، فإذا انصرف شيعته إلى منزله فإن مرض عادوه وإن مات شيعوه بالاستغفار إلى قبره ، وعنه يابن مارد من زار جدي عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حجة مقبولة وعمرة مبرورة والله يابن مارد ما تطعم النار قدماً في زيارة أمير المؤمنين ماشياً كان أو راكباً ، يابن مارد أكتب هذا الحديث بماء الذهب ، وعنه عليه السلام قال : إن إلى جانب كوفان قبراً ما أتاه مكروب قط فصلّىٰ عنده ركعتين أو أربع ركعات إلاَّ نفس الله كربة وقضىٰ حاجته ، قال : قلت قبر حسين بن علي ؟ فقال لي : برأسه لا فقلت قبر أمير المؤمنين ؟ فقال: برأسه نعم ، وفي خبر آخر من زار قبر أمير المؤمنين ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجة وعمرة ، فإذا رجع ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجتين وعمرتين .

وعن يونس بن أبي وهب القصري قال : دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله فقلت له : أتيتك ولم أزر قبر أمير المؤمنين ، فقال : بئس ما صنعت لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك ألا تزور من يزوره الله مع

الملائكة ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنين ، قلت : جعلت فداك ما علمت ذلك ؟ قال : فاعلم أن أمير المؤمنين عند الله أفضل من الأئمة كلهم وله ثواب أعمالهم وعلى قدر أعمالهم فضلوا .

وعنه عليه السلام : أن أبواب السماء لتفتح عند دخول الزائر لأمير المؤمنين ، والأحاديث في فضل زيارة أمير المؤمنين عليه السلام كثيرة ، فلنكتف بما نقلناه منها ولنختم هذا الفصل بهذا التخميس النفيس لعبد الباقي أفندي العمري والأصل للشيخ صالح التميمي رحمه الله .

القصيدة الكوثرية في مدح
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

يا عليا به تباهي العلاء وتناهي في نعته الإطراء
ما لمجد شأوت فيه انتهاء غاية المدح في علاك ابتداء
ليت شعري ما تصنع الشعراء
كنت للمجتبى بحرب وسلم ووزيراً قائماً بكل مهم
أنت صنو له بعلم وحكم يا أخا المصطفىٰ وخير ابن عم
وأمير إن عدت الامراء
رتب نلتها بنسبة طاها قصرت كل رتبة عن مداها
إن نظرنا الأنام من مبتداها ما نرى ما استطال إلاَّ تناهى
ومعاليك ما لهن انتهاء
لذراريك في سما المجد ضوء وبحضن الأدوار منهن خبأ
يقتفي الختم من سواريك بدء فلك دائر إذا غاب جزء
من نواحيه أشرقت أجزا
أو كشمس يغشى سناها الهباء من غبار تثيره الهيجاء
فيميط الهباء منها الهواء أو كبدر ما يعتريه خفاء
من غمام إلاَّ عراه أنجلاه
أنت بحر لكنه غير آجن لقريش به حمى ومساكن

لـك مـد قبـل التكـون كـائن يحذر البحر صولة الجـزر لكن
غـارة الـمـد غـارة شـعـواء
نلت فضـلاً أبا تـراب فـاقصى كـل فضل عم الـوجود وخصـا
وبيـوم الحسـاب لا يستقصى ربمـا رمل عـالـج يـوم يحصىٰ
لـم يـضـق فـي رمـالـه إلاَّ حـصـاء
ولـو أن الإقـلام كـل نبـات ومـيـاه الـبـحـار حـبـر دواة
ضقن عما أظهرت من خارقات وتضيق الأرقـام عن معجـزات
لـك يـا مـن ردت إلـيـه ذكـاء
منهجـاً للهـدى خلقت قـديمـاً جئت تهدي عمياً وتشفي سقيماً
فـاتخـذنـاك هـاديـاً وحكيمـاً يا صراطاً إلى الهدى مستقيمـاً
وبـه جـاء لـلصـدور الـشـفـاء
شدت في ذي الفقار للدين أصلا فتسـامى قـدراً وعـز وجـلا
وعلى مـا أسست قـولاً وفعـلاً بنى الـدين فـاستقـام ولـولا
ضـرب مـاضيـك مـا استقـام البنـاء
أنت والحـق دمتـمـا بـوفـاق أنت يوم اللقا على الحوض ساق
أنت ذاك الكـرار يـوم سبـاق أنـت للحـق سـلم مـا لـراق
يـتـأنـى بـغـيـره الارتـقـاء
فيـك خيـر الأنـام أوتي سئلا مثـل ما أوتي ابن عمـران قبـلا
يـا أبـا شبـر وقـد صـح نقـلا أنت هـارون والكليم مـحـلا
مـن نـبـي سـمـت بـه الأنـبـيـاء
قـل تعالـوا ندعـو بمحكم ذكر لـك فخـر بهـا على كـل فخـر
أنـا أدري وجملة الـخلق تـدري أنت ثـاني ذوي الكسا ولعمري
أشـرف الـخـلق مـن حـواه الـكـسـاء
كنت في جيب الغيب معنـى يـ ـصان حين لا أعصر ولا أحيان
أيقـل الأسـرار منـك مكـان ولقـد كنت والسمـاء دخـان
مـا بـهـا فـرقـد ولا جـوزاء

بك ليل العماء ضاء بلالي فاستضاء الوجود من ظلمة الغي
درة كنت والخلائق لا شيء في دجىٰ بحر قدره بين بردى
صدف فيه للوجود الضياء
نقطة أفرغت وليس وعاء ملئت حكمة ولا املاء
تحت باء لها العباء غطاء لا الخلا يوم ذاك فيها خلاء
فيسمى ولا الملاء ملاء
خبر جاءنا بذا مأثور وحديث مسلسل مشهور
عنعنه عن الصدور صدور قال زوراً من قال ذلك زور
وافترى من يقول ذاك إفتراء
قصب السبق من مقام كريم حزتها من لدن حكيم عليم
أنت يا من سبقت في تقديم آية في القديم صنع قديم
قاهر قادر على ما يشاء
هل أتى في سواك ذكر حكيم لك في نص آية تعظيم
أو لم يغن من له الجهل خيم نبأ والعظيم قال عظيم
ويل قوم لم يغنها الأنباء
خصك الله من لدنه بمفخر في مزايا العقول لا يتصور
كنت في غاية الهوية حيدر لم تكن في العموم من عالم الذر
وينهىٰ من العموم النهاء
إنما الناس إن نظرت معاذ فرقها في تفاضل متباين
خلني من دفائن وضغائن معدن الناس كلها الأرض لكن
أنت من جوهر وهم حصباء
كم قضينا من نشر تلك المطاوي عجباً يوقع النهي في مهاوي
ولقد صح إذ سبرنا القحاوي شبه الشكل ليس يقضي تساوي
إنما في الحقائق الاستواء
لم ينل نجم الأرض مهما تزيا مثل نجم السما مكاناً عليا
فاتحاد الألفاظ لم يغن شيئاً لا تفيد الثرى حروف الثريا
رفعة أو يعمه استعلاء

روضــة أنـت للعـقــول ودوح يجتني من طوباك رشـد ونصح
ومتى هب من عـبيــرك نـفــح شمل الروح من نسيمك روح
حــيــن مــن ربــه أتــاه الــنــداء
طـالمـا لـلأمـلاك كنت دليــلاً ولنــا مـوسهم هــديت سبيــلاً
يـوم نادى رب السمـا جبرئيـلا قــائـلاً من أنــا فـروى قليــلا
وهــو لــولاك فــأتــه الإهــتــداء
لـك شكـل نتيجــة للقضـايــا لــك قلب للعــالمين مــرايــا
لـك فعل حـوى رفيع المـزايـا لــك اسم رآه خيــر البــرايــا
مــذ تــدلــى وضــمــه الأســراء
فـوعـاه بـالحس حـداً ورسمــاً حيث ساوى ومعناه منك مسمى
قبل عرض الأسماء إسماً فإسما خط مع اسمه على العرش قدما
فــي زمــان لــم تــعــرض الأســمــاء
أثــر هـذا أُبــدي عـوالم ملك فاطر الأرض والسما ذات حبك
وأنــاط البــروج فيهــا بسـلك ثم لاح الصبـاح من غير شـك
وبــدى ســرهــا وبــان الــخــفــاء
فقضــاهــا مسبـب الأسبــاب نـوبـة لــلأرحـام والأصــلاب
وجـرى ما جـرىٰ بـأُم الكتـاب وبــرى الله آدمــاً مــن تــراب
ثــم كــانــت مــن آدم حــواء

وهذه القصيدة الكوثريـة للعلامـة الحجة السيـد رضا نجـل آية الله الكبرى السيد محمد الهندي سلمه الله تعالىٰ .

أمفلج ثـغــرك أم جــوهــر ورحيق رضـا بـك أم سكـر
قــد قـال لثغــرك صـانعــه (إنــا أعـطينــاك الكـوثــر)
والخـال بخـدك أم مســك نقـطت بـه الــورد الأحمـر
أم ذاك الخـال بـذاك الخـد فتيت النــد عـلىٰ مجمــر
عجباً من جمـرتـه تــذكــو وبهــا لا يحتــرق العـنبــر
يــا من تبــدو لي وفــرتــه في صبــح محيـاه الأزهــر

فـأجـن بـه بـالـليـل إذا يغشىٰ والصبـح إذا اسفـر
إرحم أرقـاً لـو لم يمـرض بنعـاس جفـونـك لم يسهـر
تـبيض لـهـجـرك عـيـنـاه حـزنـاً ومـدامعـه تحمـر
يـا لـلعـشـاق لـمـفـتـون يهـوي رشـاً أحـوىٰ أحـور
أن يبـد لـذي طـرب غنى أو لاح لـذي نسـك كبـر
آمـنـت هـوىٰ بـنـبـوتـه وبـعـيـنـيـه سـحـر يـؤثـر
أصـفـيـت الـود لـذي ملل عـيشـي بقـطـيعتـه كـدر
يـا من قـد أثـر هجـراني وعـليّ بـلقـيـاه إسـتـأثـر
أقسمت عليـك بما أولتـك النـظرة من حسن المنـظر
وبـوجهـك إذ يحمـر حيـاً وبـوجـه محبـك إذ يصفـر
وبلؤلؤ مبسمـك المنـظوم ولـؤلـؤ دمـعـي إذ يـنـثـر
أن تترك هذا الهجر فليس يـليق بـمـثـلي أن يـهـجـر
فأجل الأقـداح بصرف الـرا ح عسىٰ الأفـراح بهـا تنثـر
واشغـل يمنـاك بصب الكـأ س وخـل يسـارك للمـزهـر
فـدم العنقـود ولحن العـود يعيـد الخيـر وينفي الشـر
بكـر للسكـر قبيـل الفجـر فصفـو الـدهـر لمن بكـر
هـذا عملي فـاسلك سبلي إن كنت تقـر على المنكـر
فلقـد أسـرفت ومـا أسلفت لـنفـسـي مـا فـيـه أعـذر
سـودت صحيفـة أعمـالي ووكلت الأمـر إلى حـيـدر
هـو كهفي من نوب الـدنيـا وشفيعي في يـوم المحشـر
قـد تـمّت لـي بـولايـتـه نعم جمت عن أن تشكـر
لأصيب بهـا الحظ الأوفىٰ واخصص بـالسهم الأوفـر
بـالحفظ من النـار الكبـرى والأمن من الـفـزع الأكبـر
هـل يمنعني وهـو السـاقي أن أشرب من (حوض الكوثر)
أم يـطردني عـن مـائـدة وضعت للقـانـع والمعتـر
يـا من قـد أنكـر من آيـات أبـي حسـن مـا لا ينـكـر
إن كنـت لجهـلك بـالأيـام جحـدت مقـام أبي شبـر

فأسأل بدراً واسألِ أحداً وسل الأحزاب وسل خيبر
من دبر فيها الأمر ومن أردىٰ الأبطال ومن دمر
من هد حصون الشرك ومن شاد الإسلام ومن عمر
من قدمه طه وعلى أهل الإيمان له أمر
قاسوك أبا حسن بسوا ك وهل بالطور يقاس الذر
إنى ساووك بمن ناوو ك وهل ساووا نعلي قنبر
من غيرك يدعى للحرب وللمحراب وللمنبر
أفعال الخير إذا أنتشرت فى الناس فأنت لها مصدر
وإذا ذكر المعروف فما لسواك به شيء يذكر
أحييت الدين بأبيض قد أودعت به الموت الأحمر
قطباً للحرب يدير الضر بويجلوالكرب بيوم الكر
فاصدع بالأمر فناصرك الـ ـبتار وشانئك الأبتر
لو لم تؤمر بالصبر وكظم الغـ ـيظ وليتك لم تؤمر
سأنال أخو تيم فتناوله منه حبتر
لكن أعراض العاجل ما علقت بردائك يا جوهر
أنت المهتم بحفظ الدين وغيرك بالدنيا يغتر
أفعالك ما كانت فيها إلاَّ ذكرى لمن أذكر
حججاً ألزمت بها الخصماء وتبصره لمن استبصر
آيات جلالك لا تحصىٰ وصفات كما لك لا تحصر
من طول فيك مدائحه عن أدنىٰ واجبها قصر
فاقبل يا كعبة أمالي من هدى مديحي ما استيسر

خـاتمـة

في ذكر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وأزواجه وأصحابه

أما أولاده عليهم السلام فهم :

١ ـ الحسن ، و٢ ـ الحسين ، و٣ ـ زينب الكبـرىٰ ، و ٤ ـ زينب الصغـرىٰ المكنـاة بـأُم كلثـوم ، ٥ ـ المحسن وأُمهم الصـديقـة فـاطمـة بنتِ رسول الله صلوات الله عليهـا وعلى أبيها ، و ٦ ـ محمـد الأوسط وأُمه امـامـة بنت أبي العـاص بن الـربيهـا وأُمهـا زينب بنت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم. تـزوجها أميـر المؤمنين بوصيـة من فاطمـة صلـوات الله عليها ، ومحمـد هـذا ممن استشهد يـوم الـطف مـع الحسين عليه السلام ، و٧ ـ محمـد المكنىٰ بـأبي القاسم المعـروف بابن الحنفيـة وأُمه خـولة بنت جعفـر بن قيس من بني حنيفـة ، وكـانت وفـاتـه سنـة إحـدى وثمـانين ، والسبب في عـدم خـروجه مـع أخيه الحسين عليه السلام أنـه كان مـريضـاً بمـرض لم يتمكن معـه على حمـل السـلاح ، و٨ ـ العبـاس ، و٩ ـ جعفـر ، و١٠ ـ عثمـان ، و١١ ـ عبـد الله وأُمهم أُم البنين فاطمـة بنت حزام بن خـالـد الكـلابيـة ، واستشهـدوا جميعاً مـع أخيهم الحسين يوم الـطف، و١٢ ـ عمر، و١٣ ـ رقيـة وأُمهما حبيب بنت ربيعـة التغلبية ولـدتهما تـوأمين وعاش عمـر هذا إلى زمان الوليد بن عبد الملك بن مـروان ، ومات وهـو ابن سبع وسبعين

سنة ، قيل إنه لم يخرج مع أخيه الحسين لمرضٍ ، وقيل غير ذلك وأخته رقية كان تزوجها مسلم بن عقيل وهي أم عبد الله بن مسلم المقتول يوم الطف ، وأم علي ومحمد إبني مسلم ، و١٤ ـ يحيىٰ ، و١٥ ـ محمد الأصغر وأمهما أسماء بنت عميس الخثعمية ، وقيل أن محمد الأصغر أمه أم ولد والثاني من ولدي أسماء ـ و ١٦ ـ عون بن علي ومات يحيىٰ في حياة أمير المؤمنين صغيراً ومحمد الأصغر كان يكنىٰ بأبي بكر ، قيل قتل يوم الطف وقيل مات صغيراً كأخيه والمقتول يوم الطف هو أبو بكر بن ليلى بنت مسعود النهشلية وقتل عون يوم الطف بلا خلاف ، و١٧ ـ زينب الصغرىٰ وتكنىٰ أم كلثوم الصغرىٰ ، و ١٨ ـ رقية الصغرىٰ وأمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفية كانت الأولىٰ عند محمد بن عقيل ، فولدت له عبد الله ، والثانية عند عبد الرّحمٰن بن عقيل فولدت له سعداً وعقيلاً وأم الحسن ،و١٩ ـ الحسن ، و٢٠ ـ رملة وأمهما أم شعيب المخزومية تزوج الأولىٰ أحد أولاد عقيل ، والثانية تزوجها أبو الهياج عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، و٢١ ـ أبو بكر ، و٢٢ ـ عبد الله وأمهما ليلىٰ بنت مسعود النهشلية ، أما أبو بكر فقتل مع أخيه الحسين عليه السلام يوم الطف ، وأما عبد الله فإنه عاش إلى أيام المختار ، وقتل في المذار لم يدر قاتله ، و٢٣ ـ خديجة وأمها المحياة بنت امرىء القيس الكلابية ماتت وهي صغيرة ، و٢٤ ـ أمامة ، و٢٥ ـ أم هانيء ، و٢٦ ـ جمانة ، و٢٧ ـ فاطمة ، و٢٨ ـ تميمة ، و٢٩ ـ ميمونة ، و٣٠ ـ ام الكرام لأمهات شتىٰ فأولاده حسب ما ذكرنا ذكوراً وإناثاً ثلاثون . وقيل أكثر وقيل غير ذلك وتوفي عليه السلام عن أزواج أربع وثمانية عشر أم ولد ، وكان أوصىٰ أن جميع أمهات أولاده يحسبن على أولادهن بما إبتاعهن به وإن غيرهن من إمائه يتحررن من ثلثه صلوات الله عليه ، ولم تتزوج امرأة من نسائه بعده .

ولما خطبت زوجته أمامة روت عنه عليه السلام أنه لا يجوز لأزواج النبي

والوصيّ أن يتزوجن بعده .

أما أصحابه صلوات الله عليه فكثيرون وأقتصرنا هنا على ذكر من وفد منهم على معاوية بعد وفاته عليه السلام ذكوراً وإناثاً لاشتمال قصصهم على فضائله ، وشرح خصاله الحميدة ووفائهم له عليه السلام في دولة أعدائه وعدم إكتراثهم بما يلاقون في سبيل الحق الوافدون على معاوية وفود جماعة من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على معاوية روي أنه لما أجتمع الناس إلى معاوية بن أبي سفيان كتب إلى زياد بن سمية وكان عامله بالكوفة أوفد على أشراف أصحاب علي بن أبي طالب ولهم الأمان وليكونوا عشرة نفر خمسة من أهل الكوفة وخمسة من أهل البصرة ، فلما ورد عليه الكتاب بعث إلى حجر بن عدي وعدي بن حاتم الطائي وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وهانيء بن عروة المرادي وعامر بن وائلة الكناني ، وكان يكنىٰ بأبي الطفيل ودعاهم تجهزوا إلى أمير المؤمنين فقد جعل لكم الأمان وأحب رؤيتكم ، وكتب إلى خليفة بالبصرة أن أوفد إلى الأحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان وحارثة بن قدامة السعدي وخالد بن معمر السدوسي وشريك بن الأعور ، فلما قدموا عليه أشخصهم جميعاً إلى معاوية ، فلما قدموا على معاوية حجبهم يومهم وليلتهم وبعث إلى رؤساء الشام ، فلما جاؤوا وأخذوا مجالسهم ، قال معاوية لصاحب أذنه : أدخل عليّ حجر بن عدي ، فلما دخل وسلم قال له معاوية : يابن الأدبر القبيح المنظر أنت القاطع منا الأسباب والملتمس بحربنا الثواب والمساعد علينا أبا تراب ؟ فقال حجر : صه يا معاوية لا تذكر رجلاً كان لله خائفاً ولما يسخطه عائفاً وبما يرضي الله عارفاً خميص الضلوع طويل الركوع كثير السجود ظاهر الخشوع قليل الهجوع قائماً بالحدود طاهر السريرة محمود السيرة ناقد البصيرة ملك أمرنا ، فكان كبعضنا لم يبطل حقاً ولم يظلم أحداً ، ولم يقرب غوياً ، ولم يحف بريأً . ثم بكىٰ حتى نشج ثم رفع رأسه فقال : وأما توبيخك إياي فيما كان من نفسي فاعلم

يا معاوية أني غير معتـذر إليك ممـا فعلت ولا مكترث ممـا صنعت فاعلن بسرك وأظهر أمرك .

فقـال معاويـة لصاحب أذنـه : أخرجـه عني وأدخل عليّ عمـرو بن الحمق الخـزاعي ، فلما دخـل عليه قـال له معـاويـة : يـا أخـا خـزاعـة فـارقت الـطاعـة وأشهـرت علينـا سيفـك وأهـديت إلينـا حيفـك فـأطلت الأعـراض وشتمت الأعراض ودلاك بغـرور جهلك المحذور فكيف رأيت صنـع الله بصـاحبـك ؟ قـال : فبكىٰ عمـرو حتى سقط لـوجهـه فـرفعـه الشـرطي فقـال : يـا معـاويـة بـأبي وأمي من ذكـرت وتنقصت كـان والله العالـم بحكم الله المجد في طـاعة الله المحـدود في غيظ الله الزاهـد في الفـانية الـراغب في الباقيـة لا يظهـر منكراً ولا يـظهـر تجبـراً يعمـل بمـا يرضي الله عنه ويقرّبه منه رحمة الله عليه فقد مـزقنا فقـده وتمنينا المـوت بعده ، فقال معاوية لصـاحب أذنه : أخـرجه عني وأدخـل عليّ عدي بن حاتم الطائي ، فلما دخل عليه قال لـه معاويـة : ما أبقىٰ الـدهر من ذكـر علي بن أبي طـالب ، فقال عـدي : وهل رعىٰ إلاَّ ذكـره ؟ قـال : وكيف حبك له فتنفس الصعداء وقال : حبي والله جـديد لا يبيـد وقد تمكن من شغـاف الفؤاد إلى يـوم المعـاد وقـد امتـلأ من حبـه صـدري وفـاض في جسـدي وفكري ، فقـال الأمويـون : يـا أميـر المؤمنين أصبح عدي بعد صفين ذليلاً فبكىٰ عدي رحمه الله وأنشأ يقول :

يجـادلني معـاويـة بن حـرب ... وليس إلى الـذي يبغي سبيـل
يـذكـرنـي أبـا حسـن عليـاً ... وخـطبي في أبي حسن جليـل
فكـان جـوابـه مني شـديـداً ... ويـكفـي مثـله منـي الـقـليـل
وقـد قال الـوليـد وقـال عمـرو ... عـدي بـعـد صفيـن ذلـيـل
فقلت صـدقتم قـد هـد ركني ... وفـارقني الـذين بهم أُصـول
سيخسـر من يـواده ابن هنـد ... ويـربـح من يـواده الـرسـول

فقـال معاويـة لصاحب أذنـه : أخرجـه وادخل عليّ عـامر بن وائلة

وكان يكنىٰ أبا الطفيل ، فلما دخل عليه رحب به معاوية فقال أصحابه من هذا الذي رحبت به يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا خليل أبي تراب وفارس أهل العراق وشاعرهم يوم صفين ، فقالوا : الأم فارس وأفحش شاعرنا لو أمنه فغضب أبو الطفيل وقال : أما والله يا معاوية ما هؤلاء سبوني ولا أدري من هم وإنما أنت شتمتني فأخبرني من هم وإلاَّ وحق علي شتمتك ؟ فقال معاوية : هذا عمرو بن العاص ، وهذا مروان بن الحكم ، وهذا سعيد بن العاص ، وهذا ابن أُختي . فقال أبو الطفيل : أما عمرو فانطقته جباية مصر ، وأما مروان وسعيد فانطقتهما جباية الحجاز ، وأما ابن أُختك فقد وهبته لك ، فقال معاوية : يا أبا الطفيل ما أبقى الدهر لك من حب علي ، قال : والله حب أُم موسىٰ لموسىٰ وأشكو إلى الله التقصير . قال : فما أبقىٰ لك الدهر من وجدك عليه ، قال : وجد العجوز المقلاة والشيخ الرؤوف ، قال : فما بقي من بغضك لنا ؟ قال : بغض آدم لإبليس لعنه الله .

فقال معاوية لصاحب أذنه أخرجه عني وادخل عليّ هانيء بن عروة المرادي ، فلما دخل قال له معاوية : يا هانيء أنت المائل مع علي بن أبي طالب والمحارب للمسلمين مع علي يوم صفين ؟ فقال له هانيء : أنى لك يا معاوية بالشرف الشامخ والمجد الباذخ وما كنتم إلاّ شضية يخطفها العرب حتى بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم فدان له العباد في جميع البلاد ، وأما خروجي عليك يابن هند فغير معتذر إليك منه ولو كنت رأيتك ذلك اليوم لنفدت رمحي بين خصييك والله ما أحببناك مذ أبغضناك ولا بعنا السيوف التي بها ضربناك ، فقال معاوية لصاحب أذنه : أخرجه عني وادخل عليّ صعصعة بن صوحان ، فلما دخل عليه نظر فإذا الرجال عليهم السلاح وقوف ومعاوية جالس على سريره ، فقال صعصعة : سبحان الله ولا إلٰه إلاَّ الله والله أكبر يرفع بها صوته ، فالتفت معاوية يمنة ويسرة فلم ير شيئاً يفزعه ، فقال : يا صعصعة ما أظنك تدري ما الله ؟ فقال : بلىٰ والله يا معاوية ربنا ورب آبائنا الأولين

وإنـه لبالمـرصاد من وراء العبـاد ، فقال معـاوية : يـا صعصعـة مـا كنت أحب أن تقوم هذا المقام حتى يصيبك ظفر من أظفاري ، قـال : وأنا يـا معاوية لقـد أحببت أن لا أحييك بتحيـة الخلافـة حتى تجري مقـادير الله فيـك ، فالتفت معـاوية إلى عمرو بن العاص وقـال : أوسـع لصعصعـة ليجلس إلى جانبك ، فقال عمرو : لا والله لا أوسعت لـه على ترابيتـه ، فقـال صعصعـة : نعم والله يـا عمـرو أني لتـرابي ومن عبيـد أبي تـراب ولكنـك مـارج من نـار منهـا خلقت وإليهـا تعـود ، ومنهـا تبعث إن شـاء الله . فقال معاويـة : يا صعصعـة والله إني هممت أن أحبس عطايـا أهل العـراق في هذه السنـة ، فقال صعصعـة : والله يا معـاوية لـو رمت ذلك منهم لدهمك مائة ألف أمرد على مائـة ألف أجرد وصيـروا بطنـك ميادين لخيولهم وقطعوك بسيوفهم ورماحهم ، قال فـامتلأ معـاوية غيـظاً وأطرق طويلاً ، ثم رفع رأسه وقـال : لقد أكـرمنا الله حيث يقـول لنبيه ﷺ : وانه لذكرى لك ولقومك ونحن قومه وقال تعالىٰ : ﴿**لإيلاف قريش** - إلى قوله - ﴿**وآمنهم من خوف**﴾ ونحن قريش وقال تعالىٰ لنبيـه : ﴿**وأنذر عشيـرتك الأقـربين**﴾ ونحن عشيرتـه الأقربـون ، فقـال صعصعـة : على رسلك يـا معاوية فإن الله يقول : ﴿**فكذب به قومك وهو الحق**﴾ وأنتم قومه .

وقال تعالىٰ : ﴿**وقال الرسول يا رب ان قـومي اتخذوا هـذا القرآن مهجوراً**﴾ ولو زدت زدناك يا معاوية فافحمه .

قـال معاويـة لصاحب أذنـه : أخرجـه عني وأدخل عليّ خـالـد بن معمر السدوسي ، فلما دخل قال له معاوية : يا خالـد لقد رأيتـك تضرب أهل الشام بسيفك على فرسك الملهوب ، فقـال خالـد : يا معـاوية والله مـا ندمت على مـا كان مني ولا زلت على عـزيمتي أيثني ومـع ذلـك إني عند نفسي مقصر والله المستعـان والمدبـر ، فقال لـه معاويـة : ما علمت يا خالد ما نذرت عند قدومك في قومك ؟ قـال : لا ، فقال : نـذرت أن أنذر مقاتلهم وأسبي نساءهم، ثم أفرق بين الأُمهات والأولاد فيبايعـون ، فقال خالـد : وما تـدري ما قلت في ذلـك ؟ قال : لا ؟ قـال : فاسمعـه

مني فأنشأ يقول :

يـروم ابن هنـد نـذره من نسـائنـا ودون الذي يبغي سيوف قـواضب

قـال معاويـة لصاحب أذنـه : أخرجـه عني وأدخل عليّ جـارية بن قـدامة السعـدي وكان قصيـراً ، فلما دخـل قال لـه معاويـة : يـا جـاريـة أركضت علينـا الخيـل يـوم صفين في بني سعـد تمنيهم الفتن وتحملهم على قـيمات الأحن مـع قتلة أمير المؤمنين عثمـان وقـاتلت أم المؤمنين عـائشة ومـا أنت إلاّ جاريـة ؟ فقالت الجارية : إن الله فضـل على اسمـك إسمي ، قـال وكيف ذلك ؟ قـال : لأن الجـاريـة لا تكـون إلاّ من أحيـاء العـرب والمعاويـة لا تكون إلاّ من أُنـاث الكلاب ، وأمـا مـا ذكـرت من أمير المؤمنين عثمان فـأنتم خذلتمـوه وقتلتموه والـدار عند نـازحة ، وأمـا أُم المؤمنين عائشة فلما نظرنا في كتاب الله عـزّ وجلّ ولم نجـد لها علينـا حقـاً يلزمنا إلاّ أن تـطيع ربهـا وتقر في بيتهـا ، فلما ألقت الجـلابيب عن وجههـا بطل مـا كان لهـا علينا من حق ، وأمـا ركضي الخيل عليـك يوم صفين فـإنما ذلـك حيث أردت أن تقطع أعنـاقنا عـطشـاً ، فلم ننـظر في عاقبة ولم نخف جـائحة فثنينـا الخيل مـع أقدم النـاس إسلامـاً وأحسنهم كلاماً وأعلمهم بكتاب الله وسنة نبيـه حين أراد جهادك على بصيـرة وأنت على الحميـة الجاهليـة فإن أردت نـريك مثـل ذلـك اليـوم فخيلنـا معـدة ورماحنا محدة .

قال معاوية لصاحب أذنـه : أخرجـه وادخل عليّ شـريك الحـارثي ، فلما دخل وكان دميم المنظر ، فقال له معـاوية : إنـك شريـك وما لله من شـريك وإنـك لأعور والصحيـح خير من الأعـور وإنك لابن الأصفـر والأبيض خيـر من الأصفر وإنـك مخـالف والمستقيم خيـر من المخـالف وإنـك لدميم ولجميـل خير من الـدميم ، فكيف سدت قـومـك ؟ فقـال شريك : إنك لمعاويـة وما معـاوية إلاّ كلبـة عوت فـاستعوت فـاستنبحتها الكـلاب ، فسميت معاويـة وإنك لابن صخـر والسهـل خيـر من الصخـر وابن حـرب والسلم خير من الحـرب وابن أُمية ومـا أُمية إلاّ أمـة صغرتهـا

العرب ، فكيف صرت أمير المؤمنين علينا فأمر معاوية بإخراجه فخرج وهو يقول :

أيشتمني معاوية بن حرب وسيفي صارم ومعي لساني
وحولي من بني عمي رجال ضراغمة تهش إلى الطعان
يعير بالدمامة من سفاه وربات الجمال من الغواني

قال : ثم نهض معاوية من مجلسه ودخل داره وفي اليوم الثاني دعى بهم فاحضروا وأكرمهم وردهم إلى أهليهم مكرمين :

وفود الوليد بن جابر الطائي على معاوية

قال المرزباني : كان الوليد بن جابر بن ظالم الطائي ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم ، ثم صحب علياً عليه السلام وشهد معه صفين وكان من رجاله المشهورين ، ثم وفد على معاوية في أيام إستقامة الأُمور له وكان معاوية يثبته معرفة بعينه فدخل عليه في جملة الناس ، فلما انتهىٰ إليه إستنسبه فانتسب له فقال له : أنت صاحب ليلة الهرير ؟ قال : نعم ، قال : والله ما تخلو مسامعي من رجزك تلك الليلة وقد علا صوتك أصوات الناس وأنت تقول :

شدوا فداء لكم أُمي وأب فإنما الأمر غداً لمن غلب
هذا ابن عم المصطفىٰ والمنتجب تنميه للعلياء سادات العرب
ليس بموصوم إذا نص النسب أول من صلّى وصام واقترب

قال : نعم أنا قائلها ، فلماذا قلتها ؟ قال : لأنا كنا مع رجل لا يعلم خصلة توجب الخلافة ولا فضيلة تصير إلى التقدمة إلاَّ وهي مجموعة له كان أول الناس سلماً وأكثرهم علماً وأرجحهم حلماً ، فأت الجياد فلا يشق غباره يستولي على الأمد ، فلا يخاف عثاره وأوضح منهج الهدىٰ فلا يبيح مناره وسلك القصيد فلا تدرس آثاره ، فلما ابتلانا الله بافتقاده وحول الأمر إلى من يشاء من عباده دخلنا في جملة

المسلمين فلم ننزع يداً عن طاعة ولم نصدع صفات جماعة على أن لك منا ما ظهر وقلوبنا بيد الله وهو أملك بها منك ، فأقبل صفونا وأعرض عن كدرنا ولا تتركنا من الأحقاد فإن النار تقدح بالزناد ، قال معاوية : وإنك لتهددني يا أخا طي بأوباش العراق أهل النفاق ومعدن الشقاق ، فقال : يا معاوية الذين أشرقوك بالريق وحبسوك في المضيق وذادوك عن سنن الطريق حتى لذت منهم بالمصاحف ودعوت إليها من صدق بها وكذبت وأمن بمنزلها وكفرت وعرف من تأويلها ما أنكرت . فغضب معاوية فأدار طرفه فيمن حوله فإذا جلهم من مضر ونفر قليل من اليمن ، فقال : يا أيها الشقي الخائن إني لا خال إن هذا آخر كلام تتفوه به وكان عفير بن سيف بن ذي يزن بباب معاوية فعرف موقف الطائي ومراد معاوية ، فخاف عليه فهجم الدار وأقبل على اليمانية فقال : شاهت الوجوه ذلاً وقلا وجدعاً وفلا كثم الله هذه الأناف كثماً مرعياً ، ثم التفت إلى معاوية فقال : أي والله يا معاوية ما أقول قولي هذا حباً لأهل العراق ولا جنوحاً إليهم ولكن الحفيظة تذهب الغضب لقد رأيتك بالأمس خاطبت أخا ربيعة يعني صعصعة بن صوحان وهو أعظم جرماً عندك من هذا وأذكىٰ لقلبك واقدح في صفاتك وأجد في عداوتك وأشد انتصاراً في حربك ، ثم أثبته وسرحته وأنت الآن مجمع على قتل هذا زعمت استصغاراً لجماعتنا بأنا لا نمر ولا نجلي ولعمري لو وكلتك أبناء قحطان إلى قومك لكان جدك العاثر وذكرك لداثر وحدك المفلول وعرسك المشلول فاربع على ظلعك واطونا على بلالتنا ليسهل لك حزننا ويتطأ من لك شاردنا فإنا لا نرام بوقع الضيم ولا نتلظ جرع الخسف ولا نعمر بغمار الفتن ولا ندر على الغضب ، فقال معاوية : الغضب شيطان فاربع نفسك أيها الإنسان فأنا لم نأت إلى صاحبك مكروهاً ولم نرتكب منه مغضباً ولم ننتهك منه محرماً فدونك صاحبك فإنه لم يضق عنه حلمنا ويسع غيره ، وقد وهبنا له عشرة آلاف دينار ، فقال : عفير لا والله لم يقبلها منك وبادر فأخذ بيد الوليد وخرج

به إلى منزله وقال لـه : والله لتأوبن بـأكثر ممـا أب به معـدى من معاويـة وجمع من بدمشق من اليمانية وفرض على كل رجـل دينارين في عـطائه ، فبلغت أربعين ألفـاً فتعجلها من بيت المـال ودفعهـا إلى الـوليـد ورده إلى العراق مكرماً .

وفود عبدالله بن هاشم على معاوية

روى الـزبير بن بكـار أنه لمـا بعث معاويـة زياداً على البصـرة أمره أن يقــرر من ينــادي أن النــاس من الأســود والأحمــر فـي الأمــان إلاَّ عبد الله بن هاشم الـمــرقــال : ومكث يـطلبه أشـد الطلب فمـا وجد لـه خبـر ولا وقف منه على أثـر حتى قدم عليـه رجل من أهـل البصـرة فقـال لـه : يا أميـر المؤمنين أنا أدلـك على عبد الله بن هـاشم أكتب إلى زيـاد فإنه عند فلانة المخزوميـة فدعى معـاوية كـاتبه فكتب من معـاوية بن أبي سفيـان إلى زياد بن أبي سفيـان ، أما بعـد فإذا أتـاك كتابي هـذا فـأعمـد إلى حي بني مخـزوم وفتشـه داراً داراً حتى تـأتي دار فـلانـة المخـزوميـة فاستخرج منها عبد الله بن هـاشم المرقـال فاحلق رأسـه وألبسه جبـة شعر وقيـده وغـل يـده إلى عنقـه واحمله إليَّ على قتب بغيـر غـطاء ولا وطـاء وانفـذه إليّ . فحمله زيـاد إلى معـاويـة كمـا أراد بعـدمـا أقتحم حي بني مخزوم وأخرجه فوصل إلى الشام يـوم الجمعة وقـد لاقى نصباً كثيـراً من الهجير ما نحـل جسمه ، فلم يشعـر معاويـة إلاَّ وعبد الله بين يـديه وقـد ذبـل وتغير وجهـه فعرفـه معـاويـة ولم يعـرفـه عمـرو بن العـاص ، فقـال معاوية : يا أبا عبـد الله أتعرف هـذا ؟ قال : لا . قـال : هذا ابن الـذي كان يقول يوم صفين :

أعــور يـبـغـي أهـله مــحــلاً قـد عـالـج الحيـاة حتى مــلا

فقال عمرو : وإنـه لهودونـك الضب المضب فاشخب أوداجـه ولا رجعـة إلى أهل العـراق فإنهم أهـل فتنة ونفـاق وإن لـه مـع ذلـك هـوى يرديه وبطانة تغويه ، فـوالذي نفسي بيـده لأن أفلت من حبائلك ليجهـزن

عليك جيشاً يكثر صواهله بشر يوم لـك ، فقال عبـد الله وهو في القيـد : يابن الأبتر هلا كانت عندك هذه الحمـاسة يـوم صفين ونحن ندعـوك إلى البـراز وأنت تلوذ بشمائـل الخيل كـالأمة السـوداء أو كالنعجـة القوداء ، أما أنه إن قتلني معاوية فلقد قتل رجلاً كريم الخبـرة حميد المقـدرة ليس بالجبس المنكوس ، ولا الثلب المرفوس ، فقـال عمرو : دع عنـك كيت وكيت فلقـد وقعت بين لحيي لهـزم فـروس الأعـداء يسعـطك أسعـاط اللوذن الملجم ، فقـال له عبـد الله : أكثر اكثـارك فإني أعلمـك بطراً في الرخاء هيابة عند كفاح الأعـداء ترىٰ أن تقى مهجتـك بأن تبـدي سوئتـك أنسيت يـوم صفين وأنت تـدعـو إلى البـراز فتحيـد عن القتـال خـوفـاً أن يغمـرك وجال لهم أبـدان شـداد وأسنـة حـداد يتهبـون السـراج ويـذلـون العزيز ، قـال عمرو : قـد علم معاويـة أني شهدت تلك المـواقف فكنت فيهـا كـدرة الشـول ولقـد رأيت أبـاك المـرقـال في بعض تلك المـواقف تخفق أحشـائه وتنتق أمعـائه ، فقـال عبـد الله : لـو لقيـك أبي في ذلـك المقام لارتعدت منه فرائصـك ولم تسلم منه مهجتـك ولكنه قـاتل غيـرك فقتل دونك ، فقال معاويـة : ألا تسكت لا أم لك ، فقـال له عبـد الله : يـابن هند أتقـول لي هذا والله لئن شئت لأعـرقن جبينك ولأقيمنك وبين عينيك وسم تلين له أخداعاك أبـاكثر من المـوت تخوفني فقـال معاويـة : يكفي يـابن أخي ، وأمـر بـه إلى السجن . فكتب عمـرو إلى معـاويـة يقول :

أمـرتـك أمـراً حـازمـاً فعصيتني ... وكـان من التوفيق قتـل ابن هـاشم
وكـان أبـوه يـا معـاويـة النـدي ... رمـاك على حرت بحـز الغـلاصم
وقـاتلنـا حتى جـرب من دمـائنـا ... بصفين أمثـال البحـور الخضـارم
وهـذا ابنـه والفـرع يشبـه أصله ... ستقـرع أن أبـقيتـه شـر نـادم

فأجـابـه معاوية :

أرى العفـو عن علياً قـريش وسيلة ... إلى اللّه في اليوم العصيب القماطر

ولست أرى قتلي الغداة ابن هاشم بـادراك ثـاري في لـوي وعـامـر
بـل العفو عنـه بعد مـا بان جـرمه وزلت بـه إحدى الجـدود العواثـر
فكـان أبـوه يـوم صفين جمـرة علينـا فـاردتـه رمـاح شهـابـر

ثم أطلقه فكاد عمرو بن العاص يموت غيظاً .

وفود ضرار بن ضمرة على معاوية

يحكى أن معاوية وفد عليه ضرار بن ضمرة وكـان من أصحاب أميـر المؤمنين عليه السلام ومن خـواصه وأراد أن يفتـك بـه ، فلمـا رأى زهـده وتقـواه واشتغاله بالآخرة عن دنياه عدل عن ذلـك وأراد امتحانـه فقال : صف لي عليـاً ؟ فقال : إعفني ، فقـال : أقسمت عليـك بحقـه إلاَّ مـا وصفتـه ، قال : أما إذا كان ولا بد فإنه والله كـان بعيد المـدىٰ شديـد القوي يقـول فصـلاً ويحكم عدلاً ينفجـر العلم من جوانبه وتنفلق الحكمة من لسـانه ، يستوحش من الدنيـا وزهرتهـا ، ويأنس بـالليل ووحشتـه كان صلوات الله عليه غزير الدمعـة طويـل الفكرة يعجبـه اللباس مـا خشن ومن الطعـام ما جشب ، كان فينا كأحدنـا يجيبنا إذا سـألناه ويـأتينا إذا دعـوناه ونحن والله مع تقربـه لنا وقـربه منـا لا نكاد نكلمـه هيبة لـه ، كان صلوات الله عليـه يعظم أهل الدين ويقرّب المسـاكين لا يطمـع القوي في بـاطله ولا ييأس الضعيف من عـدله ، وأني أشهـد بالله لقـد رأيته في بعض مـواقفـه وقـد أرخ الليـل سدولـه وغارت نجـومه قـابضاً على لـحيتـه يتململ تململ السليم ويبكي بكـاء الحـزين وهـو يقـول : يـا دنيـا غـري غيـري أبي تعـرضت أم إليّ تشوقت ؟ هيهـات قد طلقتـك ثـلاثـاً لا رجعـة لي فيهـا فعمرك قصير وخـطرك كبير وعيشـك حقير ، آه من قلّة الـزاد وبعد السفـر ووحشة الطريق ، فبكىٰ معاوية وقـال : رحم الله أبا الحسن قـد كان والله كـذلك فكيف حـزنك عليـه يا ضُـرار ؟ قال : حـزن من ذبـح ولـدهـا فهي لا يـرقى دمعها ولا تخفى فجعتهـا فأمـر له بمـال جزيـل ، فلم يقبل منه شيئاً وانصرف وهو يندب أمير المؤمنين عليه السلام .

الوافدات على معاوية

من كتاب عقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي المالكي

وفود سودة بنت عمارة على معاوية قال الشهاب أحمد بن عبد ربه عن عامر عن الشعبي قال : وفدت سودة إبنة عمارة أخت الأشتر الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان ، فاستأذنت عليه فاذن لها فلما دخلت عليه سلّمت فقال لها : كيف أنت يا أخت الأشتر ، قالت : بخير . قال لها : أنت القائلة الأبيات :

شمر كفعل أبيك يابن عمارة ... يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر علياً والحسين ورهطه ... وأقصد لهند وابنها بهوان
إن الإمام أخا النبي محمد ... علم الهدى ومنارة الإيمان
فقد الجيوش وسر أمام لواءه ... قدماً بابيض صارم وسنان

قالت : يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب فدع عنك تذكار ما قد نسي ، قال : هيهات ليس مثل مقام أخيك ينسىٰ ، قالت : صدقت والله ما كان أخي خفي المقام ذليل المكان ولكن كما قالت الخنساء :

وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

وبالله اسأل إعفائي مما استعفيته ، قال : قد فعلت فقولي حاجتك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين إنك للناس سيّد ولأُمورهم مقلّد والله سألك عما افترض عليك من حقنا ولا تزل تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط بسلطانك فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دياس البقر ويومنا الخسيسة ويسألنا الجليلة هذا ابن أرطأة قدم بلادي وقتل رجالي وأخذ مالي ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فأما عزلته فشكرناك وأما لا فعرفنك ، فقال معاوية : إياي تهددين بقومك والله لقد هممت أن أدرك إليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك فسكتت ثم أنشدت تقول :

صلّىٰ الإلٰـه على روح تـضمنـه قبـر فـأصبـح فيـه الحق مـدفـونـاً
قـد حـالف الحق لا يبغي ثمنـاً فصـار بـالحق والإيمـان مقـرونـاً

فقال معاوية : ومن ذلك ؟ قـالت : ذلك سيـدي ومولاي علي بن أبي طالب ، قال : مـا أرى عليك منـه أثراً ؟ قـالت : بلى أتيته يـوماً في رجـل ولاه صدقـاتها فكـان بيننا مـا بين الغث والسمين فـوجـدتـه قـائمـاً يصلّي فانفتل من الصـلاة ثم قال بـرأفة وتعـطف : ألك حـاجة فـأخبرتـه خبـر الـرجـل ، فبكىٰ ثم رفـع يـديـه إلى السمـاء فقـال : اللّهمَّ إني لم أمـرهم بـظلم خلقـك ولا تـرك حقـك ، ثم أخـرج من جيبـه قـطعـة من جـراب فكتب فيـه بسم الله الـرّحمٰن الـرّحيم : ﴿**قـد جـاءتكم بينـة من ربكم فـأوفوا الكيـل والميزان ولا تبخسـوا الناس أشيائهم ولا تعثـوا في الأرض مفســدين بقيــة الله خيــر لكم إن كنتم مؤمنين ومــا أنــا عليكم بحفيظ**﴾ إذا أتـاك كتـابي هـذا فـاحتفظ بمـا في يـديـك حتى يـأتي من يقبضـه منك والسـلام فعزلـه ما خـزلـه بخـزام ولا ختمـه بختـام ، فقـال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لهـا والعدل عليهـا ، فقالت : إلىّ خـاصة أم لقومي عامة ؟ قال : ومـا أنت وغيرك ، قـالت : هي والله إذاً الفحشاء واللؤم إن كـان عدلاً شـاملاً وإلاَّ يسعني مـا يسع قـومي ، قال معـاويـة : هيهات لمظكم ابن أبي طالب الجرأة وغركم وهو قوله :

فلو كنت بــوابـاً على بــاب جنـة لـقلت لـهمــدان ادخـلوا بســلام
نــاديت همـدان والأبــواب مغلقة ومثـل همـدان سنى فتحـة البـاب
كـالهنـد وإني لـم تفلل مضــاربـه وجــه جميـل وقلب غيــر وجـاب

اكتبوا لها بحاجتها .

وفود بكارة الهلالية على معاوية

قال الشهاب أحمـد بن عبد ربـه المالكي : عن محمـد بن عبد الله الخزاعي عن الشعبي قال : استـأذنت بكارة الهـلالية على معـاوية فـأذن لهـا وهو يـومئذ بـالمدينـة فدخلت عليـه وكـانت إمـرأة قـد أسنت وغشى

بصـرها وضعفت قـوتها ترعش بين خادمتين لهـا ، فسلّمت وجلست فرد عليها معـاوية السلام وقال : كيف أنت يا خالـة ؟ فقالت : بخيـر يا أميـر المؤمنين . قال : غيرك الدهر ؟ قالت كذلـك هو ذو غيـر من عاش كبيـر ومن مـات فقيـد ، قـال عمـرو بن العـاص هي والله القـائلة يـا أميـر المؤمنين :

يـا زيـد دونـك فـاتخـذ من دارنـا سيفـاً حسـامـاً في التـراب دفينـا
قـد كنت أدخـره ليـوم كـريهـة فـاليـوم أبـرزه الـزمـان مصـونـا

قال مروان هي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أتـرىٰ ابن هنـد للخـلافـة مـالكـاً هيـهـات ذاك وإن أراد بـعـيـد
منتك نفسك في الخـلافة ضـلالة أغـراك عمـرو للشقـا وسعـيـد

وقال سعيد بن العاص : وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فـوق المنـابـر من أُميـة خـاطبـا
واللّه أخـر مـدتـي فـتـطاولـت حتى رأيت من الـزمـان عجـائبـا
في كـل يـوم للزمـان خـطيبهم بين الجميـع لآل أحمـد عـائبـا

ثم سكتـوا فقـالت : يـا معـاويـة نبحتني كـلابـك وكـلامهم أغشىٰ بصـري وقصر حجتي أنـا والله القائلة مـا قالـوا وما خفي عليـك مني أكثر فضحك وقال : ليس يمنعنا ذلك من بـرك أذكري حـاجتك ، قـالت : لا حاجة لى عندك وخرجت .

وفود الزرقاء على معاوية

قـال الشهاب أحمـد بن عبد ربـه المالكي : عن عبيـد الله بن عمر الغساني عن الشعبي قال : حـدثني جماعـة من بني أُمية ممن كـان يسمر مع معاوية قال : بينما معاويـة ذات ليلة مع عمـرو وسعيد وعتبـة والوليـد إذ ذكروا الزرقاء ابنة عـدي بن قيس الهمدانيـة وكانت شهـدت مع قـومها حرب صفين فقال : إيكم يحفظ كـلامها ، قـال بعضهم نحن نحفظه يـا

أمير المؤمنين ؟ قال : فأشيروا علي في أمرها ؟ قالوا : أقتلها ، فقال : بئس الرأي أشرتم به علي فكتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوي محارمها وعدة من فرسان قومها وأن يمهد لها وطاء ليناً ويسترها بستر خصف ويوسع لها بالنفقة فأرسل إليها فاقرئها الكتاب فقالت : إن كان جعل الأمر إليّ فإني لا آتيه وإن كان حتم فالطاعة أولىٰ فحملها وأحسن جهازها على ما أمر به ، فلما دخلت على معاوية قال مرحباً وأهلاً قدمت خير مقدم قدمه وافد كيف حالك ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال : كيف كنت في مسيرك ؟ قالت : ربيبة بيت أو طفلاً ممهداً ، قال : بذلك أمرناهم أتدرين لِم بعثنا إليك ؟ قالت : أنى لي بعلم ما أعلم ؟ قال : ألست الراكبة الجمل الأحمر يوم صفين والواقفة بين الصفين تحضين على القتال وتوقدين الحرب ، فما حملك على ذلك ؟ قالت : مات الرأس وبتر الذنب ولم يعد ما ذهب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والأمر يحدث بعده الأمر ، قال لها معاوية : أتحفظين كلامك يومئذ ؟ قالت : لا والله لا أحفظه ولقد نسيته ، قال : لكني أحفظه الله أبوك حين تقولين أيها الناس ارعوا وارجعوا إنكم قد أصبحتم في فتنة غشيتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحبة ، فيا لها فتنة عمياء صماء بكماء لا تسمع لنا عقها ولا تنساق لقائدها إن المصباح لا تضيء في الشمس ولا تنير الكواكب مع القمر ولا يقطع الحديد إلاّ الحديد من إسترشدنا أرشدناه ومن سألنا أخبرناه ، أيها الناس إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها فصبراً يا معشر المهاجرين على الغصص فكأن قد إندمل شعب الشتات والتأمت كلمة الحق ودمغ الحق بالظلمة فلا يجهلن أحد فيقول كيف وانى ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ألا وإن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء، لهذا اليوم وما بعده والصبر خير في الأُمور عواقباً إيهاً في الحرب قدماً غير ناكصين ولا متشاكسين . ثم قال لها : يا زرقا لقد شركت علياً في كل دم سفكه ، قالت : أحسن الله بشارتك وأدام

سلامتك فمثلك يبشر بالخير ويسر جليسة ، قال : أو يسرك ذلك ؟ قالت : نعم والله لقد سررت بالخير فإني لك بتصديق الفعل فضحك معاوية وقال : والله لوفائكم له بعد موته أعجب من حبكم له في حياته وأمر لها ولمن معها بجوائز وانصرفت عنه .

وفود أم سنان بنت جشمة على معاوية

قال الشهاب أحمد بن عبد ربه المالكى : عن سعيد بن أبى حذافة قال : حبس مروان وهو والي المدينة غلاماً من بني ليث في جناية جناها فأتته جدة الغلام وهي أم سنان بنت جشمة بن خرشة المذحجية فكلمته في الغلام فاغلظ مروان ، فخرجت إلى معاوية فدخلت عليه فانتسبت فعرفها فقال : يا ابنة جشمة ما أقدمك أرضنا وقد عهدتك تشتمينا وتحضين علينا عدونا فقالت : إن لبني عبد مُناف أخلاقاً طاهرة وأحلاماً وافرة لا يجهلون بعد علم ولا يسفهون بعد حلم ولا ينتقمون بعد عفو ، قال : صدقت نحن كذلك فكيف قولك :

عزب الرقاد فمقلتي لا ترقد ... والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مقام فشمروا ... إن العدو لآل أحمد يقصد
هذا علي كالهلال تحفة ... وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمد ... أن يهدكم بالنور منه تهتدوا
ما زال مذ شهد الحروب مظفراً ... والنصر فوق لوائه لا يفقد

قالت : كان ذلك يا أمير المؤمنين وارجو أن تكون لنا خلفاً فقال رجل من جلسائه وهي القائلة :

أما هلكت أبا الحسين فلم تزل ... بالحق تعرف هادياً مهدياً
فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت ... فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلفاً كما ... أوصىٰ إليك بنا فكنت وفياً

قالت : إن هذا اللسان صدق وقول نطق وقد والله ما ورثك

الشنآن في قلوب المسلمين إلاَّ هؤلاء فادحض مقالتهم وأبعد منزلتهم فإنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قرباً ومن المؤمنين حباً ، قال : وإنك لتقولين ذلك ؟ قالت : سبحان الله مثلك مدح بباطل ولا أعتذر إليه بكذب وإنك تعلم ذلك من رأينا كان والله علي أحبّ إلينا منك وأنت أحب إلينا من غيرك ، قال : ممن ؟ قالت : من مروان بن الحكم وسعيد بن العاص . قال : وبم استحققت ذلك عندك ؟ قالت : بسعة حلمك وكريم عفوك ، قال : فإنهما يطمعان في ذلك فما حاجتك ؟ قالت : أن مروان تبنك بالمدينة تبنك من لا يريد منها البراح لا يحكم بعدل ولا يقضي بسنة يتبع عثرات المسلمين ويكشف عورات المؤمنين حبس ابن أبني فأتيته فقال : كيت وكيت فاسمعته أخشن من الحجر والقمته أمر من الصاب . ثم رجعت إلى نفسي بالائمة وقلت لم لا أصرف ذلك لمن هو أولىٰ بالعفو عنه فأتيتك لتكون في أمري ناظراً قال : صدقت اكتبوا لها بإطلاقه .

وفود عكرشة بنت الأطرش على معاوية

قال الشهاب أحمد بن عبد ربه المالكي : عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة قال : دخلت عكرشة بنت الأطرش بن رواحة على معاوية متوكأة على عكاز فسلّمت عليه بالخلافة ، ثم جلست فقال لها معاوية : الآن يا عكرشة صرت عندك أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم إذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ليس بحي قال : ألست المقلدة حمائل السيوف بصفين وأنت واقفة بين الصفين تقولين أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم أن الجنة لا يرحل من أوطنها ولا يهرم من سكنها ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم مستظهرين الصبر على طلب حقهم إن معاوية جاء إليكم بعجم العرب غلف القلوب لا يفقهون الإيمان ولا يدرون ما الحكمة دعاهم بالدنيا فأجابوه واستدعاهم إلى الباطل فلبوه فالله الله عباد الله في دين الله

إياكم والتواكل ، فإن ذلك ينقض عن الإسلام ويطفىء نور الحق هذه الصغرى والعقبة الأخرىٰ ، يا معشر المهاجرين والأنصار أمضوا على بصيرتكم وأصبروا على عزيمتكم فكأني بكم غداً وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البعير فما حملك على ذلك ؟ فقالت : يا معاوية إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا والآن قد فقدنا ذلك ، فما يجبر لنا كسير ولا ينعش لنا فقير فإن كان ذلك عن رأيك فمثلك يتنبه عن الغفلة ويراجع التوبة وإن كانت عن غير رأيك فما مثلك إستعان بالخونة ولا استعمل الظلمة ، قال معاوية : يا هذه إنه ينوبنا عن أُمور رعيتنا أُمور تنبثق وبحور تنفهق ، فقالت : يا سبحان الله والله ما فرض الله لنا حقاً فجعله ضرراً على غيرنا وهو علام الغيوب ، قال معاوية : يا أهل العراق نبهكم علي بن أبي طالب فلم تطاقوا ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإتصالها .

قصة دارمية الحجونية مع معاوية

قال الشهاب أحمد بن عبد ربه المالكي : عن سهل التميمي عن أبيه قال : حج معاوية فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجون يُقال لها دارمية وكانت سوداء كثيرة اللحم فاخبر بسلامتها فبعث إليها فجيء بها فقال :ما جاء بك يا ابنة حام ؟ فقالت: لست لحام وإنما أنا امرأة من بني كنانة ، قال : صدقت أتدرين لِم بعثت إليك ، قالت : لا يعلم الغيب إلاَّ الله قال : بعثت إليك لأسألك على ما أحببت علياً وابغضتني ووالية وعاديتني ؟ قالت : أو تعفيني ؟ قال : لا أعفيك ، قالت : أما إذا أبيت فإني أحببت علياً على عدله في الرعية وقسمته بالسوية وابغضتك على قتال من هو أولىٰ منك بالأمر وطلبتك ما ليس لك بحق ووالية علياً على ما عقد له رسول الله ﷺ من الولاء وحبه المساكين وإعظامه لأهل الدين وعاديتك على سفكك الدماء وجورك في القضاء وحكمك بالهوى ، قال : فلذلك انتفخ بطنك وعظم ثدياك وورمت عجيزتك ؟ قالت : يا هذا بهندامك والله كان يضرب

المثل في ذلك لا بي . قال معاوية : يا هذه إربعي فإنا لم نقل إلاَّ خيراً إنه إذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها وإذا عظم ثدياها تروي رضيعها وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها ، فرجعت وسكتت قال لها : يا هذه هل رأيت علياً ؟ قالت : أي والله ، قال : فكيف رأيتيه ؟ قالت : رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك ولم تشغله النعمة التي شغلتك ، قال : فهل سمعت كلامه ؟ قالت : نعم والله كان كلامه يجلو القلوب من العمىٰ كما يجلو الزيت صدى الطست . قال : صدقت فهل لك من حاجة ؟ قالت : أو تفعل إذا سألتك ؟ قال : نعم . قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها ، قال : ماذا تصنعين بها ؟ قالت : أغذر بألبانها الصغار واستحيي بها الكبار وأكتسب بها المكارم وأصلح بها العشائر . قال : فإن أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل علي بن أبي طالب ؟ قالت : سبحان الله ولا دونه فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعد بالحلم مني عليكم فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلم
خذيها هنيئاً واذكري فعل ما جد جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال : أما والله لو كان علي حياً ما أعطاك منها شيئاً ؟ قالت : لا والله العظيم ولا وبرة واحدة من مال المسلمين .

وفود أم الخير بنت حريش على معاوية

قال أحمد بن عبد ربه المالكي : عن عبد الله بن عمر الغساني عن الشعبي : كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقي برحلها واعلمه أنه مجازيه بالخير خيراً وبالشر شراً بقولها فيه ، فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فاقرأها كتابه فقالت : أما أنا فغير زائغة عن طاعة ولا معتلة بكذب ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج في صدري ، فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها : يا أم الخير إن أمير المؤمنين كتب إليّ أنه مجازيني بالخير

خيراً وبالشر شراً فما لي عندك ؟ قالت : يا هذا لا يطمعك برك بي إن أسرك بباطل ولا يؤيسك معرفتي بك إن أقول فيك غير الحق ، فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية فأنزلها مع الحرم ، ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساءه فسلمت عليه بالخلافة فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير بحق دعوتني بهذا الاسم أم بالباطل ؟ فقالت : لكل أجل كتاب . قال : صدقت فكيف حالك يا خالة وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت : بخير وعافية ، فقال : بحسن نيتي ظفرت بكم ، فقالت : يا معاوية أعيذك من دحض المقال وما تؤدي عاقبته إلى الزوال ، قال : ليس هذا أردنا فأخبريني كيف كان كلامك إذ قتل عمّار بن ياسر ؟ قالت : لم أكن زورته قبل ولا رويته بعد وإنما كانت كلمات نفثها لساني عند الصدمة ، فإن أحببت أن أُحدث لك مقالاً غير ذلك فعلت . فقال معاوية لجلسائه : إيكم يحفظ كلامها ؟ فقال رجل منهم : أنا أحفظ بعض كلامها . قال : هات . قال : كأني بها وهي علىَ جمل أرمك وبيدها سوط منتشر الضفيرة وهي كالفحل يهدر في شقشقته تقول : أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، إن الله قد أوضح لكم الحق وأبان الدليل وبين السبيل ورفع العلم ولم يدعكم في عمياء مدلهمة فأين تريدون رحمكم الله أفراراً عن أمير المؤمنين أم فراراً من الزحف أم رغبة عن الإسلام أو إرتداداً عن الحق ، أما سمعتم الله جلَّ ثناؤه يقول : ﴿**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين**﴾ ، ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول : اللَّهمَّ قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشرت الرغبة وبيدك يا رب أزمة القلوب فاجمع اللَّهمَّ بها الكلمة على التقوىٰ وألف القلوب إلى الهدىٰ وأردد الحق إلى أهله هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل ، والرضي التقي ، والصديق الأكبر ، إنها أحن بدرية وأحقاد جاهلية ، وثب بها واثب حين الغفلة ليدرك ثارات بني عبد شمس .

ثم قالت : قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون

صبراً يا معاشر المهاجرين والأنصار قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم فكأني بكم غداً وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرت من قسورة لا تدري أين يسلك بها من فجاج الأرض باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وعما قليل ليصبحن نادمين متى تحل بهم الندامة فيطلبون الإقالة ولات حين مناص إنه من ضل والله عن الحق وقع في الباطل ، ألا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها واستطابوا الآخرة فسعوا لها ، فالله الله أيها الناس قبل أن تبطل الحقوق وتعطل الحدود وتقوىٰ كلمة الشيطان فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله وصهره وأبي سبطيه خلق من طينته وتفرع من نبعته وجعله باب دينه وأبان بعضه المنافقين ، وها هو ذا مفلق الهام ومكسر الأصنام صلّىٰ والناس مشركون وأطاع والناس كارهون، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزيه وافنىٰ أهل أُحد وهزم الأحزاب وقتل الله به أهل خيبر وفوق به جمع أهوائهم فيا لها من وقائع زرعت في قلوب نفاقاً وردة وشقاقاً وإزدادت المؤمنين إيماناً قد اجتهدت بالقول وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فقال معاوية : يا أُم الخير أراك ما أردت لهذا الكلام إلاَّ قتلي ولو قتلتك ما خرجت في ذلك ؟ قالت : والله ما يسوئني أن يجري قتلي على يدي من يسعدني الله بشقائه ؟ قال : هيهات يا كثيرة الفضول ما تقولين في عثمان ؟ قالت : وما عسيت أقول في عثمان استخلفه الناس وهم به راضون وقتلوه وهم له كارهون ، فقال لها : هذا ثناؤك ؟ قالت : ما أردت نقصاً قد كان سابقاً إلى الخير وإنه لرفيع الدرجة غداً . قال : فما تقولين في الزبير ؟ قالت : وما أقول في عمه النبي فاسألك بحق الله يا معاوية أن تعفيني من هذه المسائل ، قال : قد أعفيتك وأمر لها بجائزة .

وفود أروى بنت الحرث بن عبد المطلب على معاوية :

قال أحمد بن عبد ربه المالكي : عن العباس بن بكار قال : حدّثني

عبـد الله بن سليمان المـدني وأبو بكـر الهذلي أن أروىٰ بنت الحـرث بن عبد المطلب دخلت على معـاوية وهي عجـوز كبيرة ، فلمـا رآها معـاوية قـال : مرحبـاً بك وأهـلاً يا خـالة فكيف كنت بعـدنا ؟ فقـالت : يـابن أخي لقـد كفرت يـد النعمة وأسـأت لابن عمـك الصحبـة وتسميت بغيـر إسمـك وأخذت غيـر حقـك من غيـر دين كـان منـك ولا من آبـائـك ولا سـابقة في الإسـلام بعد أن كفـرتم برسـول الله ﷺ ، فاتعس الله منكم الجـدود وأضرع منكم الخـدود ورد الحق إلى أهله ولو كـره المشـركـون وكانت كلمتنا هي العليـا ونبينا ﷺ هـو المنصور فـوليتم علينا من بعـده وتحتجـون بقرابتـه ونحن أقرب إليـه منكم وأولىٰ بهـذا الأمـر فكنـا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون وكان عليّ بعد نبينـا بمنزلـة هارون من موسىٰ ، فغايتنا الجنة وغايتكم النار ، فقـال لها عمـرو بن العاص : كفىٰ أيتها العجوز الضالة واقصري عن قولك مع ذهـاب عقلك ، فقالت لـه : وأنت يـابن النابغـة تتكلم وأمك كـانت أشهر امـرأة تغني بمكـة وأخـذهن الأجرة ادعاك خمسة نفر من قـريش ، فسألت أمـك عنهم فقالت : كلهم أتاني فانظروا أشبههم به فـالحقوه بـه فغلب عليك شبـه العاص بن وائـل فلحقت ، فقـال مروان : كفىٰ أيتهـا العجوز واقصـري لمـا جئت لـه ؟ فقـالت : وأنت يابن الـزرقـاء تتكلم ، ثم التفتت إلى معـاويـة فقـالت : والله ما جرأه عليّ هؤلاء غيرك فإن أمك القائلة في قتل حمزة :

نـحن جـزينـاكـم بيـوم بـدر والحـرب بعد الحـرب ذات سعـر
مـا كـان لي عن عتبـة من صبـري وشـكـر وحـشـي عـلي دهـري
حـتـى تـرم أعـظمـى فـي قـبـري

فأجباتها بنت عمى :

خـزيت في بـدر وغيـر بـدر يـابنـة جبـار عـظيم الكفـر

فقال معاوية : عفا الله عما سلف يا خالة هات حاجتك ؟ فقالت :
ما لي إليك حاجة وخرجت عنه. هذا آخر ما نختم
به كتابنا هذا ونسأل الله تعالىٰ العصمة من
الضلال والموت على هدى محمد المصطفىٰ
وآله وهو حسبنا ونعم الوكيل
وصلّى الله على محمد وآله
الطاهرين

الفهـرس

مقدمة ٥
في ولادة أمير المؤمنين (ع) ٢٤
موشحة في ولادة علي (ع) ٣٠
في تربية النبي (ص) له (ع) ٣٢
كلام جامع لابن أبي الحديد في فضائله وعلومه ٣٣
في شجاعته (ع) ٣٤
في القوة والسخاء والجود ٣٤
في الحلم والصفح والجهاد والفصاحة ٣٧
في أخلاقه وزهده في الدنيا ٣٨
في عبادته (ع) ٣٨
في كافة فضائله (ع) ٣٨
قصيدة غراء للسيد الحميري رحمة الله عليه ٣٩
فصل في علم أمير المؤمنين (ع) ٣٩
في قضائه وأحكامه (ع) ٣٩
فصل في إخباره بالمغيبات ٤٠
إخباره بقتل حجر بن عدي الكندي ٤٥

إخباره بقتل كميل بن زياد ٤٦
إخباره بقتل قنبر مولاه ٤٧
فصل في شيء مما جاء في زهده وورعه وعبادته وتقواه ٤٨
فصل في شيء مما جاء في جوده وسخائه وكرمه ٥٥
فصل في شيء من معجزاته ٥٩
فصل في حديث تزويجه بالزهراء (ع) ٧٣
فصل في حديث الغدير ٨١
فصل في شجاعته ٩٨
غزوة بدر الكبرى ١٠٠
غزوة أُحد الكبرىٰ ١٠٧
غزوة الخندق ١١١
غزوة خيبر ١١٨
غزوة فتح مكة ١٢٢
غزوة حنين ١٢٨
غزوة ذات السلاسل ١٤١
في مواقفه بعد رسول الله (ص) ١٣٣
في حرب صفين ١٤٣
حرب النهروان ١٧٠
في ذكر شهادة أمير المؤمنين (ع) ١٧٨
في حال قاتله وهو ابن ملجم لعنه الله ٢٠٠
في رثاء أمير المؤمنين (ع) ٢٠٠
في كرامات ظهرت من قبر أمير المؤمنين (ع) ٢١١
قصة البدوي مع شحنة الكوفة ٢١٨
قصة السيف الذي سرق من الروضة العلوية ٢٢٠
قصة لطيفة سنة ٥٨٩ هجرية ٢٢١
قصة أُخرىٰ لأبي جعفر الكناتيني ٢٢١

قصة أُخرى عن علي بن مظفر النجار ٢٢٢
قصة عن القاضي ابن بد الهمداني ٢٢٢
في تاريخ النجف الأشرف وموضع قبره (ع) ٢٣٣
القصيدة الكوثرية في مدح أمير المؤمنين (ع) ٢٥٢
خاتمة في ذكر أولاد أمير المؤمنين (ع) ٢٥٨
في ذكر من وفد من أصحابه على معاوية ٢٦٠
دخول حجر بن عدي ٢٦٠
دخول عمرو بن الحمق الخزاعي ٢٦١
دخول عدي بن حاتم الطائي ٢٦١
دخول عامر بن وائلة ٢٦١
دخول هاني بن عروة المرادي ٢٦٢
دخول خالد بن معمر السدوسي ٢٦٣
دخول جارية بن قدامة السعدي ٢٦٤
دخول شريك الحارثي ٢٦٤
وفود الوليد بن جابر الطائي على معاوية ٢٦٥
وفود عبد الله بن هاشم الطائي على معاوية ٢٦٧
وفود ضرار بن ضمرة على معاوية ٢٦٩
وفود سودة بنت عمارة على معاوية ٢٧٠
وفود بكارة الهلالية على معاوية ٢٧١
وفود الزرقاء على معاوية ٢٧٢
وفود أُم سنان بنت جشمة على معاوية ٢٧٤
وفود عكرشة بنت الأطرش على معاوية ٢٧٥
قصة الدارمية الحجونية مع معاوية ٢٧٦
وفود أُم الخير بنت حريش على معاوية ٢٧٧
وفود أروى بنت الحرث على معاوية ٢٧٩
خاتمة الكتاب ٢٨٣